الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة: الثقافة الشعبية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي موسومة بـ

قصص الأنبياء بتن الثابت القرآني والمتحول الشعري الشعبي

– دراسة موازنة تحليلية –

إعداد الطالبة: **فتيحة بلحاجي**

إشـراف: **أ.د.سعيدي محمد**

لجنة المناقشة:

أ.د. زريوح عبد الحق	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. سعيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د. خير الدين سيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د. كاملي بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة بلعباس	عضوا
د. محمد بن سعيد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	عضوا
د. حشلافي لخضر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الجلفة	عضوا

الموسم الجامعي 2013 م– 2014م /1435هـ–1436هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ

سورة يوسف الآية 111

الشكر والتقدير

اللهم لك الحمد والشكر بما أنت أهل له كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وكريم إحسانك، والصلاة والسلام على أشرف خلقك...

وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان مقرونان بالمحبة والإجلال إلى أستاذي الفاضل:

الأستاذ الدكتور محمد سعيدي

لتفضله بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة، الذي لم يبخل عليّ يوما بوقته وعمله ونصيحته، عرفت فيه التواضع والحلم إضافة إلى العلم والأدب، وكيف لا أعرفه وقد كان أستاذي ومشرفي في مرحلة الماجستير أيضا فلك مني هذه الأبيات شكرا وتقديرا لشخصك:

أبحرت في بحر الكلام لأقتفي ❁ أحلى كلمات وأحلى الأحرف

لكنما الأمواج أردت قاربي ❁ فتحطمت خجلا جميع مجازفي

لو أنني أنشدت ألف قصيدة ❁ لوجدتها في حقكم لا لم تف

كما أتقدم بخالص شكري وعميق تقديري إلى أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وإثرائها بملاحظاتهم القيمة في سبيل تصحيح الأخطاء ومعالجة القصور وملء النواقص بارك الله فيهم ونفعني بتوجيهاتهم:

فلو أنني أوتيت كل بلاغة ❁ وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصرا ❁ ومعترفا بالعجز عنه واجب الشكر

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الإهـداء

أهدي ثمرة جهدي هذه:

- إلى اللذان قال المولى عز وجل فيهما: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾

إلى الحبيبين اللذيه خصاني بجميل الرعاية والحب والدعاء..... والدي العزيزيه أطال الله عمرهما وحفظهما.

- إلى الذي لم يدّخر جهدا في سبيل توفير الرّاحة والهدوء، وكان عونا لي بنفسه وماله وكان خير رفيق في هذه الحياة... زوجي الغالي.

- إلى الفرحة التي تسكه قلبي، إلى قرة عيني ومهجة فؤادي الذيه أدعو لهم المولى عز وجل بالسير في طلب العلم ليكونوا مه علماء المستقبل إن شاء الله،

أبنائي: العربي، ياسر، يوسف

إلى كل عائلتي ... وإلى كل طالب علم.

فتيحة بلحاجي

مقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم فضله،فلا ينسب عمل من أعمال العباد الا لله ،بيده الخير وهو على كل شيء قدير ،فالحمد لله والشكر له حتى يرضى ،الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يُسَطر كل خطاب ،و بحمده يتنعم أهل العلم في دار الثواب.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أولوا العقول والألباب صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض و الحساب ،وتُمهد لنا عند ربنا – ان شاء – زُلفى وحُسن مآب ،اما بعد:

إنّ القارئ للقرآن الكريم المارّ بمعانيه مرور المتأمّل المتدبّر في غاياته لا يجد شبها بينه وبين ما يكتبه العلماء والأدباء، لفصاحته، وأثره النّفسي والذّهني على السّامعين، وقد تعدّدت الدّراسات حول هذا الكتاب المعجز الّذي لا يُطاول، إلاّ أنّه يبقى بلا منازع بحرا يفيض بالبحوث إذ أنّ كلّ زاوية من زواياه تصلح لأن تكون موضوعا يجدرُ البحث فيه، ومن أهمّها تلك المتعلّقة بالقصص القرآني.

تعدّ القصّة إحدى أهمّ الوسائل التربوية والتعليمية، تسويقا لتمثيل وتعليم مواضيع وأفكار شتّى، بحيث تستهوي الكبار والصّغار، فهي تُعتمد كمدخل لتحقيق الغرض المنشود كشرح نظرية أو تعليم قاعدة، أو تقريب معنى مجرّد إلى الأذهان، كما يتوسّلها الوعاظ ورجال الإرشاد للدّعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، والتّرغيب والتّرهيب....

لقد انتهج القرآن الكريم أسلوب القصّة سردا، وحوارا، ومثلا في مواطن عدّة كآية من آيات الإعجاز، وذلك بسرد أخبار الماضين من الأمم، والأنبياء والرّسل، إظهارا وتبيانا لنبوّة النّبي الصّادق الأمين محمّد –عليه الصّلاة والسّلام– وليكون ذلك أسوة وقدوة لتحقيق هدف معيّن، ووعظ النّاس وحثّهم على الإيمان بالخالق والالتزام بمكارم الأخلاق، وتذكيرهم بالبعث والنّشور.

إنّ القصص القرآني بقصصه وعبره يعتبر أهمّ المنابع والمناهل بالنسبة للقاصّ الشعبي، حيث وجد فيه مادّة غزيرة، حاول من خلالها تبسيط الأمور، وتقريب فهم النّاس للغرض الديني –عامة وخاصة– هادفا بذلك إلى تهذيب السّلوكات الفردية والجماعية، حيث أضفى عليها صبغة فنّية تتماشى والذّوق الشّعبي، وعليه أصبحت القصّة القرآنية والقصّة الشّعبية كلاّ متجانسا من القيم والأخلاق والعبر.

وقد حاولنا في هذا البحث تطبيق بعض الأدوات المنهجية الحديثة التي استنبطناها من بعض الأبحاث الأدبية المعاصرة، لمعالجة موضوع قصصي، جاء في القرآن الكريم، وتناوله القاصّ الشّعبي ونظرا لكثرة قصص الأنبياء – عليهم السلام – تعذّر علينا أن ندرسها كلها دراسة شاملة والإلمام بها في بحثنا هذا ، لقد اسوقفتنا كلا من قصة النبي سوسف – عليه السلام – وقصة البتول مريم العذراء فوقع اختيارنا عليها بغية الموازنة بين القصّة القرآنية والقصّة الشعبية، حيث نتعرّض من خلالها إلى ذكر حياة كلّ واحد منهم على حدى، مع التّعرّض إلى التطوّرات والأحداث التي وردت في كل قصّة من القصص، سواء في القرآن الكريم أو في القصائد الشعرية الشّعبية، متّبعين في ذلك التّسلسل الزمني للقصص (الأنبياء).

1 –ىئسدفقي بطكاحت:

تتوسم هذه الدراسة بموضوع (قصتي النبي – يوسف –*عليه السلام* ومريم العذراء) بين القصص القراني (الثابت) والقصص الشعري الشعبي (المتحول).

اعتمادا على الوجهة الدينية ثم الشعبية سنحاول الاجابة عن عدة تساؤلات تكمن فيما يلي:

أ– كيف تحول الحدث التاريخي الى حدث شعبي في القصائد الشعبية المختارة للدراسة؟

ب– هل القصة الشعبية هي نفسها القصة القرآنية الواعظة؟

ج– هل ذكرت كل الحقائق والأحداث في القصة الشعبية كما وردت في القصة القرآنية؟

د- هل قصص الانبياء في التراث الشعبي نصوص دينية مقدسة ام نصوص بعضها ديني و اخر انتجه المخيال الشعبي؟

هـ- ما دلالة اجتماع المقدس وغير المقدس في القصص الشعبية؟

و- كيف يمكن تصنيف هته النصوص في سياق الثقافة العربية التي طغت عليها الثقافة الشعرية قولا ونقدا أكثر من الثقافة السردية؟

2- فرضيات الدراسة:

ومن الفرضيات التي ننطلق منها ما يلي:

أ. تشابه النصين في الآلية و:

قيام كلا من القصتين على الأحداث نفسها، بحيث تصفاها لنا متسلسلة دون زيادة أو نقصان، فإذا افترضنا هذا الافتراض فحتما ستكون القصة نفسها، فلا مجال للمقارنة أو الموازنة لأنها اشتملت على التشابه دون الاختلاف، ونحن ههنا نلغي دور التراث الشعبي الذي يتميز ببصمته الخاصة وطابعه الخارق والأسطوري، - إن صح التعبير-، وعليه فالقصة الشعبية متحولة نظرا لما يشوبها من زوائد وتفتقر إليه من نقصان.

ا. تشابه النصين في التلقي د:

إن القصص الشعبي شبيه نوعا ما بالقصص الديني، وذلك في اشتمالهما على الكثير من الأحداث والوقائع وذكر الديار والزمان، والتعبير عن التجارب الماضية والسير الخالدة، كما أن لها بعض فواصل الاختلاف كالغرض من كل قصة، فالقصة الدينية الهدف منها العبرة والموعظة والإرشاد والهداية وتربية النفس وتعميق العقيدة، فهي ترتكز على الدين دون سواه وتجسد بالفعل والعمل، كما أنها تعتمد على الأسلوب الموجز البليغ والمؤثر ولغتها الفصحى، في حين نجد القصة الشعبية تهتم بوصف تجارب الأمم بطريقة مسلية ومرفهة

وليست منذرة وواعظة كالقصة القرآنية، وتعتمد بالدرجة الأولى على التسلية والترفيه، كما أنها تمزج بين الواقع والخيال والمغامرات العجيبة، فهي تميل إلى العجائب والخوارق أكثر من ميلها إلى الحقائق، كما أنها معرضة للتحوير والتغيير، وذلك بسبب تناقلها عبر الرواية الشفوية من شخص إلى آخر دون المحافظة على النص الأصلي، بعكس النص القرآني الذي هو ثابت ثبات القرآن العظيم، كما أن اللغة في القصة الشعبية هي لغة شعبية أو عامية أو لهجية، وليست فصيحة، وعليه فقد أسسنا هذه الفرضية على مدى ترابط القصة القرآنية بالقصة الشعبية، وغرض كل منهما ومنهاجهما في عرض القصة، فإلى أي مدى يصل ترابطهما؟ وكيف تعالج كل واحدة منهما قصص الأنبياء والرسل؟ فالقرآن الكريم هو المادة الخام التي يستقي منها القصص الشعبي مادته ومصادره ويعيد تشكيلها حسب الأحداث والوقائع أو بالأحرى حسب المرويات الشفوية، والزائد فيها كالناقص، لأنه يضيف شيئا للقصة ولا ينقص من حقائقها.

فانطلاقا من هته الإشكاليات نستخرج المقومات الأساسية، والرئيسية للقصتين معا، ثمّ نتعرّض للأحداث التي تخلّلت كلّ قصّة على حدى، وابراز الجوانب الأساسية والقاعدية التي قامت عليها الأحداث التي لابدّ للقصّة أن تشتمل عليها وتتكوّن منها، وبالتّالي استخراج الحقائق، وتوضيح ما تحتوي عليه من أفكار وما قيل عنها من آراء.

فبموازنة القصّة الشّعبية مع القصة القرانية، نبرز الجوانب الدينية والاجتماعية للقصّة إبرازا ملموسا، وذلك إثر الوقوف على الأحداث والشّخصيات المكوّنة لذلك التّصوير الفنّي الرّائع، ومن حيث هي إحدى العوامل التي لها بصمات راسخة في التّاريخ، ولا تزال مجسّدة في أماكن عدّة كمكّة والمدينة وفلسطين الخ....

3- منهج الدراسة:

وكما هو معروف لدينا أنّ القصص القرآني يجسّد لنا ذلك التّاريخ العظيم للأنبياء والرّسل -عليهم السّلام-، ويصوّر لنا حياة الجهاد والكفاح من أجل تبليغ الدّعوة، وهدفنا من هذه الدّراسة هو موازنة القصّتين القرآنية والشّعبية، واستخراج الحقائق والخبايا، ومن ثمّة الكشف عن الجوهر الثابت الذي تكتنزه كلّ من القصّتين، مع تبيان الفرق بينهما ومدى صدق الأولى أي القرآنية عن الثانية (الشّعبية)، وهدفنا الأسمى يكمن في تقديم نماذج على قدرة المولى عزّ وجلّ، وجزاء من استوصى بربّه خيرا، وأخيرا إبراز دور القصّة الشعبية الجاد والهادف من جهة والمرفّه والمسلّي من جهة أخرى، أمّا فيما يخصّ المنهج الذي اتبعنا منحاه في بحثنا هذا فهو المنهج الاستقرائي الموازن والمقارن، كما اعتمدنا على أدوات التّحليل والتّفسير والاستنتاج.

4- آهلي بطاحت:

تكمن أهمية الموضوع في دراسة قصص الأنبياء من وجهات نظر مختلفة: منهجية وموضوعية، أما المنهجية: بسبب ندرة وقلة الدراسات الجامعية التي تنحوا المنحى الموازن والمقارن في دراسة النصوص الشعبية، مقارنة مع كثرتها في التخصصات الأخرى، والموضوعية: لأن قصص الأنبياء الشعبية بوصفها نصوصا ثقافية اهتمت بالبدايات الأولى للكون والإنسان، وأشكال الوجود المختلفة من خلال مزجها بنصوص الأدب والتاريخ وعلم الإنسان والآثار، وبوصفها نصوصا تستمد مصادرها من كتب المعرفة الدينية والعلمية والأسطورية، وهذا يجعل منها نصوصا ذات بعدين، مركب ومضمر لهما دلالتهما فيما أنتجته أدبيات الأساطير العربية الإسلامية التي ترمي وترمز من خلالها إلى نوعين من الحقيقة هما الحقيقة الدينية والحقيقة البشرية (الإيديولوجيا).

5- لإيضاحات:

وعليه فقد اقتضت طبيعة الدّراسة تقسيم الموضوع إلى مدخل واربعة فصول وخاتمة، أمّا المدخل فنعالج فيه القصص الديني (القرآني) والقصص الشعبي وذلك بتحديد المفاهيم وايجاد العلاقة بينهما.

وخصّصنا الفصل الأول لدراسة بنية قصة سيدنا يوسف-عليه السّلام- القرآنية والشّعبية، من حيث المسار الحدثي الذي نتعرّض فيه لاستخراج الأحداث، وتصنيفها طبقا للتّسلسل الحدثي والزمني، ثمّ نتطرّق للشخصيات الفاعلة في القصّة حسب ظهورها، وتواتر ذكرها، وطبيعتها، ونمطيتها، ثمّ نقف عند الحيّز بأنواعه: الزماني والمكاني والجغرافي، والشّبيه بالجغرافي، والمتحرّك، ثمّ نتطرّق إلى الثنائية الضدّية البارزة في كلّ قصّة على حدى، حيث نبحث الموضوع من حيث بنيته الزمانية والمتمثّلة في الزمان السيكولوجي والفنّي والواقعي، ونخلص بذلك إلى الموازنة بين القّصتين القرآنية والشعبية، واستنباط أوجه التّشابه والاختلاف بينهما.

أمّا الفصل الثاني فنخصّصه لدراسة قصّة مريم العذراء، مقتفيين في ذلك الخطوات نفسها المتّبعة في الفصل الاول، إلى أن نصل إلى موازنة القصّتين المذكورة في القرآن، والمتداولة على ألسن الرّواة الشعبيين.

أمّا آخر الفصول فنخصّصه لموازنة القصص ككلّ، كل قصة على حدى وذلك بذكر أوجه التّشابه وأوجه الاختلاف، أو بالأحرى ذكر النتائج المتحصّل عليها، ثمّ نقارنها مع القصص نفسها المذكورة في الأديان الأخرى أي الكتب السماوية الآتية: التوراة الإنجيل، الزابور.

للإحاطة: لقد ارتأينا زيادة قصة مريم العذراء إلى بحثنا هذا، نظرا لقداستها وكونها من الشخصيات المهمة التي تناولها القرآن الكريم، فهي أُمّ المسيح عليه السلام، وهي المرأة

الوحيدة التي ذُكرت باسمها في أكثر من آية من القرآن الكريم، وأفردت سورة خاصة باسمها؛ كما وردت أحاديث عن النبي ﷺ تُبيّن عِظَمَ فضلها وَوَصَفَهَا بصفات حميدة ولائقة، فهي المثال والنموذج للمرأة الطّاهرة، الصّابرة، العابدة، وكانت لها مكانة خاصة في الشعر الشعبي.

ثمّ نخلص من كلّ ما سبق إلى عدّة نتائج سقناها في خاتمة البحث معتمدين في ذلك على مصادر ومراجع متنوّعة أدّت إلى إثراء هذا البحث.

وفي الأخير أسجل هنا أسمى ايات الشكر لأستاذي المشرف أ.د سعيدي محمد الذي أحسن توجيهي وأعانني على العمل بجد واجتهاد ،وبشدة وحزم مع خلق كريم ،و أدعو الله ان يجعل مابدل معي ومع غيري في ميزان حسناته ،و أن يجازيه عني بخير ما جازى به عالما عن متعلم، كما نأمل أن يكون عملنا هذا عند حسن ظنّ من اطّلع عليه، ونلتمس العذر إن كنّا قد وقعنا في خطأ ما أو أهملنا جانبا من جوانب الدّراسة والله وليّ التّوفيق.

الطّالبة: فتيحة بلحاجي

تلمسان في: 12-04-2014م

مدخل

تشتمل القصّة على كثير من الأحداث والوقائع وذكر الدّيار والزمان، وذلك للتّعبير عن التجارب الماضية والسّير الخالدة التي أحبّها النّاس وولعوا بها منذ قديم الزّمان إلى عصرنا هذا، حيث اتخذوها مؤنسا لهم في سهراتهم وأوقات فراغهم، فمن القصص والحكايات المشهورة منذ القدم نجد حكاية عنتر بن شدّاد وعبلة، والزير سالم وأبي زيد الهلالي، وألف ليلة وليلة وغيرها من القصص التي كانت ولا تزال تشدّهم وتستحوذ على عقولهم ومشاعرهم وفي هذا السّياق يقول الأديب شوقي ضيف: "الأدب بشطريه العامي والفصيح لم يتخلّف عن حياتنا، ولا عاش بعيدا عنّا، وكيف يتخلّف أو يعيش بعيدا وهو منّا وتعبير عنّا"[1].

تُروى القصّة الشّعبية في التجمعات الشّعبية البسيطة للتّعبير عن ألم وأمل المتلقّي، حيث يمتزج فيها الواقع بالخيال، والحقيقة بالأحلام كما تغزوها المغامرات والعجائب، إضافة إلى كون بعض أبطالها من نسج الخيال حيث "يعتمد الراوي في قصّته على الرواية الأصل ليصنع منها قصّة تتماشى وطبيعة وذوق الحضور"[2]، فهي بهذا معرّضة للتّغيير والتّحوير، وذلك إثر الرواية الشفوية التي يتناقلها الأجيال فيما بينهم، فهي تهدف إلى التّعبير عن ذات الشّعب ورأيه وآماله ضمن واقعه وحياته اليومية، وعليه فإنّ: "الأدب الشّعبي تراث ضخم يحتاج إلى جهود كبيرة لجلائه وتفسيره، وهو علاوة على ذلك يعتبر المقدّمة الطّبيعية للأدب المكتوب، ومن الطّبيعي أنّ إعادة تسجيل الأدب الشّعبي القديم قد تمّ بلغة حديثة، وهذا في حدّ ذاته يبعده بقدر ما عن أسلوبه القديم وطرائقه في التّعبير"[3].

إذن انطلاقا من هذا نرى أنّ الأدب الشّعبي هو فكر وثقافة ومعرفة وفنّ علاوة على احتفاظ بعضه بكثير أو قليل من مظاهر قدمه من حيث اللّغة والمضمون.

---

[1]– شوقي ضيف/ في النقد الأدبي/ دار المعارف/ القاهرة/ 1931/ ص 193.

[2]– عبد القادر قروش/ الأدب المسمّى شعبيا: إشكالية اصطلاح/ مجلة الثقافة الشعبية/ العدد الأول/ السّداسي الأول/ 1999.

[3]– عبد الله بخيت محمد/ دراسات في الأدب السواحلي (القصص الشعبي)/ مطبعة الفجر الجديد/ القاهرة/ 1977/ ص111.

ونلاحظ أنّ الأدب الشّعبي في جميع أغراضه يحتوي على عنصر تعليمي بارز "إذ يعتبر وظيفة اجتماعية ورسالة إنسانية تستهدف خدمة المجتمع، وتجسّد طموحاته وتصوّر آماله وآلامه"[1]، كما أنّ العلاقة بين هذا الأدب وبين المجتمع "تجعل من العسير فهم نماذجه بعيدا عن سياقها ومجالها، بالإضافة إلى قصص القرآن الكريم التي اشتهر بها الإنسان العربي، وكان الغرض منها الاعتبار والتقوى"[2].

وعليه سنطبق في هذا البحث بعض المناهج التي استنبطتها واعتمدتها الأبحاث الأدبية المعاصرة لتحليل القصص الشّعبي، والذي يرتبط بحياة النّاس خاصّة والمجتمع عامّة على اختلاف مستويات ثقافتهم ومعرفتهم، حيث نتاول بالدراسة "بعض القصص الدينية بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي ، يوسف، مريم– دراسة موازنة تحليلية –مع قراءة في المقدس والمدنس"، أمّا الحافز والدّافع الذي جعلني أهتمّ بهذا النّوع من الدّراسات هو انتشار هذه القصص في الأوساط الشّعبية أكثر من مثيلاتها من القصص الأخرى وخاصّة قصة سيّدنا يوسف –عليه السّلام–[3]، زد إلى ذلك ما يلي:

- حبّي الشديد للقصص القرآني وشغفي به.
- مزج هذه القصص بين الحقيقة والخيال. (الشعبية).
- احتواء كل منهما على العبرة والموعظة الحسنة أو على عبر ومواعظ.

أمّا هدفنا الأسمى فهو الكشف عن الهيكل البنائي للقصص: أي البنية التركيبية التي تمثّل الجوهر الثّابت لكل قصّة على حدى مستعملة في ذلك التّحليل بالموازنة والاستنتاج.

---

[1]– التلّي بن الشيخ/ دراسات في الأدب العربي/ الجزائر/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ 1983/ ص 06.

[2]– أحمد طالب/ بناء الشخصية والزمان والمكان في القصّة الجزائرية القصيرة/ رسالة دكتوراه 1999/1998/ ص03.

[3]– بتصرف نجد ذلك في كتاب الدكتور عبد الحميد بورايو/ القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 21/ في حوار مع قاصّ في أحد الأعراس عن قصّة سيّدنا يوسف/ ولما سأله لماذا طلب منه أن يقصّ هذه القصّة بالذّات؟ أجاب: لأنّ فيها إرشاد وموعظة بالنسبة للمرأة، حتى تصون شرف زوجها، ولا تفعل مثل زوليخة، امرأة العزيز.

1- معنى القصص:

جاء في لسان العرب لابن منظور:

"قصّة: فعلة من قصص الشيء، يقصّه قصّا وقصصا بمعنى تتبّع الأثر وغاية ينتهي إليها من ذلك المتتبع.

والقصّ: إتباع الأثر واقتصاؤه، يقال: خرج فلان قصصا: وقصا ويقال: قصصت الأثر واقتصصته وتقصصته، والقص، البيان.

وقيل أيضا: القصّة: الخبر والحديث والأمر، يقال: قصّ عليه الخبر، يقصّه أورده، وقصّ عليه الخبر أو الحديث والأمر قصصا، أعلمه به، أخبره، ومنه قصّ الرؤيا: قصصت الرؤيا، أقصّها قصّا.

والقاصّ الذي يأتي بالقصّة على وجهها، وقيل: القاص: الذي يقصّ القصص لإتباعه خبرا بعد خبر، والقصص بالفتح، اسم على خبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتّى صار أغلب عليه، والقصص بالكسر جمع القصّة التي تكتب"[1].

وجذر كلمة قصص "مستعمل في عدّة مواضع من القرآن الكريم منها:

أ- قال تعالى في حديث أمّ موسى –عليه السّلام– مع أخته: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[2]، أي: يا مريم أخت موسى :اتبعي أثره حتى تعلمي خبره.(3)

ب- وقال تعالى أيضا: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾4: أي رجعا يقصّان ويتحدّثان عن الأثر الذي جاءا به، أي :**فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي**

[1]– ابن منظور المصري/ لسان العرب/ الجزء السابع/ دار بيروت للطّباعة والنّشر/ 1388 ه/ 1968م/ ص 74-75.

[2]– سورة القصص، الآية 11.

3–الحسين بن مسعود الفراء البغوي /معالم التنزيل/الطبعة الاولى/المجلد6/دار الكتب العلمية،بيروت/1993/ص195.

4– سورة الكهف ،الاية 64.

كانا سلكاهما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (قصصا) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت ، فشقا البحر راجعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر ، وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر ، ودوراته التي غاب فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : رجعا عودهما على بدئهما)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله) : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا " : (أي يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى مدخل الحوت".}[1]

ج- وقال سبحانه أيضا: " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ "[2]:أي نبيّن لك أحسن البيان، وأروع الحكم والعبر. **القول في تأويل قوله تعالى :" نحن نقص عليك احسن القصص " قال أبو جعفر :يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : "نحن نقص عليك" يا محمد ، "أحسن القصص" بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالي، كما :**

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسألة أصحابه إياه أن يقص عليهم.[3]

أمّا فيما يخصّ الشّعر، فقد وردت كلمة قصص عند العرب في عدّة مواضع نذكر منها على سبيل المثال قول أمية بن أبي الصّلت:

قَالَ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ عَلَى جُنُبٍ ❁ وكَيْفَ يَعْفُو بِلا سَهْلٍ ولا جَدَدِ.

1-ابو جعفر محمد بن جرير الطبري /تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن/حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر /المجلد12/دار المعارف -مصر /66م-310 ه/ص63.

[2] -سورة يوسف ، الاية 03.

[3] - ابو جعفر محمد بن جرير الطبير /تفسير الطبري /الجزء 12 /ص553.

وقصّ الأثر: أي نظر فيه واقتفى آثاره وشواهده الدّالة عليه، وقصصت الرؤيا والحديث عليه، بمعنى حكايته لأنه لا يخلو من متابعة الأخبار والأحداث والعبر...كالحكاية تماما[1].

والقصّة عند تودوروف Todorov هي "نوع من توالي القضايا، والقضايا القصصية عنده نوعان: الصفات والأفعال، وأهمّ متوالية قصصية هي الصّفة، الفعل، والصّفة أي البداية، الوسط، والنهاية"[2].

[1]– ابن منظور الافريقي المصري /لسان العرب/ ص 75.

1- Tzvetan Todorov : poétique de la prose nouvelles recherches sur le récit Editions du seuil: 1971-1978, p130

2- نشأة القصص:

كان الإنسان البدائي قديما يعيش في عالم مليء بالألغاز والمغامرات، وكان عقله عاجزا عن إدراك مغزاها ومعناها، فوقف اتجاه الكوارث الطّبيعية وقفة الحائر الخائف والمرتعب، فسعى جاهدا لإيجاد حلّ يبعث في نفسه الطّمأنينة والارتياح، فمنح عالم الجماد روحا كروحه، فرأى تلك الصّخرة التي تقع على بيته فتهدمه، وآدميا مثله يعاديه ويهلكه ويستغله، ورأى في هبوب الرّياح روحا جهنمية وقويّة تتكتّل وتتكّل به وبزرعه، وجعل من الأحلام الغريبة في منامه سلطانا عظيما يخشاه ويقدّم له القربان.

نلاحظ من خلال هذه المقدّمة أنّ الإنسان البدائي له خيال واسع يعمد به إلى وضع الفرضيات ثمّ تفسير معضلات الحياة، فكانت هذه خطوته الأولى في سبيل إنشاء القصص، وتطوّرت تلك القصص الخرافية شيئا فشيئا، إلى أن خرجت من نطاقها المعهود إلى نطاق آخر جديد تعالج به سير الأبطال ووقائع الحروب في جوّ من الخرافة والخيال.

لقد عبّرت القصص عن نفسية وأجواء العهد الذي كتبت فيه، على الرّغم ممّا احتوته من سخافة وعبث عندما تتحدّث عن البطل الخيالي والوهمي إلاّ أنها تنسج من حياته قصّة للنّصر والمجد والبطولات، تعبيرا عن الاستعباد والقهر والظّلم التي كانت تعيش فيه معبّرة بذلك عن آمالها،وآلامها، وأحلامها، وطموحاتها، حيث "كانت حوادث الحروب الدامية وأهوالها تملأ فراغ حياة الأفراد والأمم القديمة، إلاّ أنّ هناك بعض القصص النابذة للفزع والتّشريد، والدّاعية إلى المحبّة والسّلام"[1].

نستنتج من خلال ما ذكرناه أنّ هناك عوامل شتّى قد ساهمت في وجود القصّة واثراء نشأتها، الشّفاهية منها أو المكتوبة، حيث انبثقت عن فهم الإنسان لواقع وتصوّره وخياله متأثّرا بالظّروف المكانية والزمانية التي كان يعيشها، أمّا التّدوين فقد حفظها من النسيان

[1]– محمود تيمور/ فنّ القصص/ مطبعة دار الهلال/ مصر 1948/ ص 32-33.

والاندثار، وأبقاها في أسلوب مصطنع تحكي لنا قصص الأوّلين وتروي لنا أصرهم، وتعايشهم مع الحياة والكون والطّبيعة، وذلك تأكيدا لاستمرار التّواصل بين الأجيال، ومن ثمّة تناقل التراث الشّعبي، واعطائه صبغة خاصّة حسب البيئة واللّهجة والجمهور المتلقّي لهذا اللّون من الأدب.

3- القصص الديني:

أ- مفهومه:

آ لإ: ك ق ش خ ى: القصد في اللغة إتيان الشيء، وقصدْتُ قصدَه: نحوْتُ نحوه. وقد سادت نظرية القصد في فكر فلاسفة العصور الوسطى الأوربيين، وكان القصد عندهم هو فعل العقل لإدراك الموضوع، أما المقصدية فهي خاصية الشعور في إشارته إلى الموضوع، أو في طريقه لإدراكه.

ويقوم مفهوم المقصدية على أنّ كلّ فعل من أفعال الشعور البشري فعل قصدي. أي أنّ الشعور يقصد المُدرك حسّيا، ويقصده لذاته، فكلّ فعل شعوري لديه مُدرَكه الخاص، وهو لا يفصح عن نفسه إلا حينما يقصد شيئا محسوسا، وهو فعل يستخلص معناه من الواقع، ويتمّ التعبير عنه بكلام محدّد المعنى يمكن أن يُدعى المقاصد، أو الغايات.

لم يجد الباحث عبد الحافظ عبد ربه عند محاولته لتحديد مفهوم يميّز القصّة القرآنية بدّا من الالتفات إلى تحديد الأغراض والأهداف، فالقصّة القرآنية عنده تصنع الأغراض والأهداف العامّة مفهومها ومعناها الخاص بها ويلخّص ذلك فيما يلي: "إنّ القصّة في القرآن الكريم مفهوم يحدّده ما ورد فيه من أنباء سيقت على وجه العبرة للمصدّقين، والرّدع والزجر

للمكذّبين، فهي توجه الأوّلين إلى الثبات على الحقّ والاستزادة من عمل البرّ والخير، كما تصرّف المتهيّئ من المكذّبين على الباطل والشّرك والشرّ بأنواعه"[1].

ولا يختلف محمد أحمد خلف الله عن مثل هذا المعيار في تحديد مفهوم القصص القرآني، غير أنّه يُجمل ما فصله عبد الحافظ فيجعل الأهداف في ثلاث قائلا: "هي الهداية إلى الدّين والإرشاد إلى الحقّ، والأمر بطلب النجاة"[2].

فهل تكون المقصدية هي أهم المعايير التي تضبط مفهوم القصّة في القرآن الكريم؟

إنّ المتتبّع للمسار القصصي في القرآن الكريم يجده يشغل مساحة كبيرة، وهو في كلّ ذلك يسعى إلى الهدف الأعلى والأسمى، ألا وهو تثبيت العقيدة في النفوس بأسلوب سهل يبصر العقول ويقنعها، ويحيي القلوب ويمنعها من الردّة وتلاشي الإيمان، فهو بهذا يشمل مقامات عدّة أهمها:

أ. ف ل ئ ل آ ه ي ب: وحدانية الله وعدله وقدرته وحكمته.

ب. ف ل ط ك م ا ب: ليكون للنّاس فيهم أسوة، وبهم قدوة.

ج. ف ل ط ك ي ل ى ئ ي خ ذ: وما يكون فيه من أحداث.

د. ف ل ى ئ ل أ م ز ئ د م: السموّ الروحي والخلقي والنفسي أي: الاجتماعي وكلّ ما يؤدّي بالإنسان إلى الازدهار والرفاهية أو إلى الانحطاط والهلاك.

ه. ف ل ط ك ح ق ئ ف: ما يتعلّق بالكون والإنسان والحياة"[3].

ت ئ ي ئ: ئ ل آ ز ك م ا ى.

فهل للقرآن أسلوب في قصصه يميّزه وينفرد به؟

---

[1]– عبد الحافظ عبد ربه/ بحوث في قصص القرآن/ دار الشباب اللبناني/ بيروت/ الطّبعة الأولى/ 1994/ ص 44.

[2]– محمد أحمد خلف الله، الفنّ القصصي في القرآن الكريم/مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة، الطّبعة الرابعة/1972/ص 116.

[3]– سيد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن/ دار الشروق/ بيروت/ 1988/ ص 144.

نعم فهو الأسلوب الموجز والجادّ والرائع، حيث انتهج أسلوب القصّة سردا وحوارا ومثلا في مواطن عدّة كآية من آيات إعجازه: "إنّ للقصص في القرآن من رونق الأسلوب الموجز وبديع النظم والجمال وجمال الصّورة ومواقف وتحاليل نفسية يجد فيها الأدباء وعلماء النّفس بغيتهم ويجعل ورودها إلى النّفس أيسر ووقعها في الوجدان أعمق"[1].

آ – لمحة تاريخية شديدة:

لقد كانت القصّة تبنى في القرآن الكريم في بادئ الأمر أي –المرحلة المكية– على الإشارة للموارد المعروفة والمشهورة آنذاك إلى جانب الأحداث الواقعة والمتداولة بين النّاس وضمن بيئتهم.

ا –طابع شذوذي:

للشّخصية والزمان والمكان والأحداث مكان خاص في القصّة القرآنية، أمّا الشّخصية فهي تاريخية معروفة ومشهورة، حيث وردت كنماذج لذاتها في مجال الخير أو الشرّ، حيث اعتمد القرآن الكريم على هذا الموجود كما هو وبصفته التي هو عليها، إذ نجد شخصيات القرآن الكريم مرسومة رسما متناسقا شاخصة حيّة، متحرّكة ذات عواطف وانفعالات.

كما أنّ للزّمن دورا في القصّة القرآنية مثله مثل المكان، إذ هو أشبه بالوعاء للأحداث مشاركة تعين على تنمية الحدث"[2].

أمّا فيما يخصّ السّرد القصصي في القرآن الكريم فيختلف من حيث الطّول والقصر باختلاف الموقف الذي يعبّر عنه: "فقد يكون سريعا إذا كان الموقف انفعاليا، وقد يكون مسترسلا إذا كان الموقف يتطلّب التّوضيح والإبانة والإقناع"[3].

[1]– فضل حسن عباس/ القصص القرآني/ إيحاؤه ونفحاته/ الجزائر/ شركة الشّهاب/ 1989 ص 10.

[2]– محمد أخلف خلف الله/ الفنّ القصصي في القرآن الكريم/ ص 248.

[3]– محمد طول/ البنية السردية في القصص القرآني/ ديوان المطبوعات الجامعية/ 1997/11/ الجزائر / ص 148-149.

مصدر القصّة القرآنية:

آ – بيئة نشأة القصة:

لقد حددت النصوص القرآنية بيئة كل القصص الدينية بكوناتها الطبيعية والاجتماعية والسلوكية ، حتى تكون أشدّ تأثيرا وأقوى سلطانا للمكذّبين.

ا –هدف القصة القرآنية:

ان القصة القرآنيةلم يقصد بها التاريخ لأن هدفها الأسمى هو العظة والاعتبار ،كما انها تمثل الصور الذهنية للعقلية العربية لكن "ما هدف القصص القرآني من اتّخاذ العقلية العربية والبيئية كمصدر؟ فلقد كان ذلك ردّا على القائلين إنّ القرآن ليس إلاّ أساطير الأولين، فهم نظروا إلى الشّخصيات والأحداث فوجدوها ممّا يعرفون"[1].

4- القصص الشعبي:

أ – المفهوم المقصدي:

لقد حاولت جماعة من الباحثين في القصّة الشعبية وضع مفهوم لها يميّزها ويحدّد معناها ودورها في المجتمع، وأيضا دوافع نشأتها، وأسباب ظهورها، ومن بينهم الباحثة روزلين ليلى قريش التي ترى أنّ القصّة الشّعبية: "تعدّ من أقدم الآثار الأدبية التي حفظتها الوثائق المكتوبة أو ذاكرة الإنسان ومن أهمّ الأدوار التي لعبتها، والدّوافع التي أنشأتها، نقل الأحداث أو الحوادث والتعويض عن الواقع، ونقد المجتمع والتّعليم والتّعبير عن أنواع الظّلم الاجتماعي والاضطهاد التي تعرّضت له الشّعوب على مرّ الأيّام، كما أنّها وسيلة للتّسلية والتّخفيف من حدّة الآلام والضّغوط التي عانت منها الطّبقة الشعبية الكادحة"[2].

3– سيد قطب /التصوير الفني في القران الكريم /ص52–53.

[2]– روزلين ليلى قريش/ القصّة الشعبية ذات الأصل العربي/ ديوان المطبوعات الجامعية/ الجزائر/ 1980/ ص 07.

ويذهب عثمان حشلاف المذهب نفسه، حيث يقول: "ذلك التراث القصصي الضّخم الذي امتزج فيه تاريخ هذه الأمّة بأحلامها، وواقعها بخيالها قبل الإسلام، وبعده ليتحوّل كلّ ذلك إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة والمغامرات الخطيرة، وفي جلّ هذه القصص لا تسير الأحداث سيرها الطّبيعي كما تقتضي سنن الحياة، ولكن تسيرها قوّة سحرية تضع الخوارق، وتهيّئ الهدف وتخلق الظّروف الملائمة في نسيج محكم"[1].

مما لاشك فيه أن القصة الشعبية فن من فنون الأدب الشعبي التي تعبر عن الحياة بما فيها من أفراح وأحزان دون كذب أو رياء،كما أنها نوع من أنواع التراث الفكري لحياة الشعوب لما تتضمنه من قيم روحية وأخلاقية ،لأنها تنتقل من جيل الى جيل على هيئة أغاريد أو قصص موسيقية ،وهذا الانتاج الفني نسمعه في الأغاني الشعبية والدينية فهي بهذا تؤدي وظيفة اجتماعية وهدفها التثقيف والتربية.

ونجد أيضا أنّ الباحث عبد الحافظ عبد ربّه قد حذا حذوهم في تحديد مفهوم القصّة الشعبية بأنّها: "أثر لوجود الإنسان الأوّل الذي يعتبره البطل لأنها ظاهرة طبيعية من ظواهره"[2].

لكن ما هو رأي علماء الأساطير وما هو موقفهم ممّا قاله هؤلاء الباحثون؟

يزعم علماء الأساطير أنّ: "القصّة انتقلت من بلاد لأخرى، مصطبغة بصبغة البيئة ومتأثّرة بخصائص الجنس متّسمة بسمات العقيدة وأبطالها نالوا شهرة بملازمتهم الأسفار حتى أصبحوا أعلاما وشخصيات متميّزة في البطولة والحرب والتضحية، أكثرهم من صنع الخيال الذي خلّد الإنسان الأوّل فبدأ يحكي ويروي ويتحدّث"[3]،وعليه فان القصة الشعبية تعد عملا

[1]– عثمان حشلاف/ التراث والتّجديد في شعر السياب/ مقوماتها وطاقتها الإبداعية/ دار المعارف/ الطّبعة الأولى والثانية/ 1983/ ص 983.

[2]– عبد الحافظ عبد ربّه/ بحوث في قصص القرآن/ ص 26.

[3]– المصدر نفسه/ ص 26.

فنيا يمنح المتلقي شعورا بالمتعة و البهجة ،و تجذب انتباهه بالتشويق واثارة الخيال وتسليه وتثقفه في الوقت نفسه.

أهداف القصّة الشعبية:

للقصة الشعبية وظيفة أخلاقية وسلوكية تشتمل على الكثير من العبر والدروس الاخلاقية ،فلكل قصة من القصص حكمة وهدف ونقد لموضوع معين أو صراع بين ميزتي الخير والشر ، وتهدف غالبا الى نصرة الخير على الشر وتتبلور أهدافها فيما يلي :

"آ– ة لجخ آغعلكىئلآجخخ:

تبدو القصّة الشعبية وكأنها نسيج من الخيال الشّعبي حول حدث يهتمّ بوصفه ويستمتع بروايته سواء أكان هذا الحدث يدخل في نطاق الأسرة، أو في نطاق القبيلة أو الشّعب، يمجّد فيه البطل ويخلّده.

ا– ة ز جلكىئلآحخئت:

تهتمّ القصّة الشعبية بالتسجيل الواقعي للأحداث التي يعيشها الشّعب يوميا، ومدى اهتمامه بأمور الحياة، ونقدها في قالب شعبي باللغة العامية.

ث–لكخئ لكطفمىلكلآرطري ذلكقخ لب:

تمتاز القصة بتداول الأخبار البدائية والأساطير القديمة، حيث يجعل منها القاصّ الشعبي شكلا فنّيا، فهي تصطبغ بصبغة خرافية تميل إلى العجيب"[1]، فهل للمجتمع دور في انتشار القصّة الشعبية؟

تنتشر رواية القصّة الشعبية في ظروف اجتماعية معيّنة كما تقلّ في أخرى من بينها:

[1]– عبد القادر خليفي/ القصص الشعبي في منطقة عين الصفراء/ رسالة ماجستير/ 1990/1991 ص 31.

" البيئة التي لها دور في إذاعة القصة الشعبية منها: الأوساط الريفية، الأسواق والسهرات والمساجد والمقاهي الشعبية، والأعياد، وحفلات الأعراس والختان..."[1].

إلاّ أنها تختلف باختلاف أصناف المجتمع والجماعات الشعبية حيث يُروى القصص الشعري ذو الطّابع الملحمي عن طريق إنشاده بالعزف والقصص الذي يعتمد على أحداث تاريخية تمجيدا للماضي منقولا شفهيا حسب درجات الحضارة، ومراحل التاريخ التي مرّت بها الشّعوب"[2].

إذن يلعب المجتمع دورا هاما في رواج القصّة الشعبية، وتحويرها، فيستمع إلى القصّة ويتداولها محتفظا بما يلاءم ذوق الجماعة ويتجاوب ورغباتها وآمالها وأحلامها ومعتقداتها، وهذا يعمل إمّا على إبقاء القصّة وتداولها ورسوخها أو تلاشيها في أوساط دون أخرى، أمّا القصّة التي أصبحت معروفة ومتداولة تداولا كبيرا، فيدخل: "المجتمع فيها التعديلات شكلا ومضمونا، ممّا يغيّرها ويبعدها عن روايتها الأولى"[3]، وبالتالي يدخلها في قالب جديد ويلبسها حلّة وثوبا جديدا من حيث اللّغة وسرد الأحداث، فماذا قدّمت القصّة الشعبية للإنسانية؟

لقد لعبت القصّة الشعبية "دورا هاما في حياة الإنسان فساعدته على صقل غرائزه، والتّعبير الحرّ عن آرائه وقضاء أوقات فراغه في أمور ممتعة ترتاح فيها نفسه، كما حفظت تراثا بشريا مفيدا"[4].

إنّ القصص الشعبي يعدّ نوع من "الإبداع الشعبي الذي يصنعه الجمهور ويطوّره ويعيد تركيبه ليظلّ نابضا بالحياة، يصلح لكلّ جيل ولكلّ مناسبة غير قابل للاندثار

[1]– ليلى روزلين قريش/ القصة الشعبية ذات الأصل العربي/ ص 89.

[2]– عبد الحميد بورايو/ القصص الشعبي في منطقة بسكرة/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر/ 1986/ ص 34.

[3]– عبد القادر قروش/ الأدب شعبيا –إشكالية اصطلاح– مجلة الثقافة الشعبية/ العدد الأول/ السداسي الأوّل/ 1994، ص51.

[4]– ليلى روزلين قريش/ القصة الشعبية ذات الأصل العربي/ ص 11.

والضّياع، فهو يتجدّد ويحيا بحياة الشّعب، وهو جزء من التراث الشّعبي، يحافظ على تسلسل التاريخ الشعبي ويحفظ استمراره ويرسّخ ارتباط الإنسان بالأرض والمجتمع"[1].

أولية القصّة الشعبية وتطورها:

أوّل من اهتمّ بالقصّة الشعبية في الأدب الغربي هو مونتاني Montaigne في النّصف الثاني من القرن السادس عشر، وقد كان يفضّل الحديث الشّعبي على الحديث الكلاسيكي الذي كان عنوان العصر وحديث الأدباء، فقال: "إنّ الحديث الذي أحبّه لهو الحديث البسيط السّاذج الذي يتميّز بالعذوبة والرقّة، والذي يبتعد عن الخطابة بقدر الإمكان ويمتاز بقصره، وبلاغة تعبيره سواء أكان هذا الحديث شفهيا أم مكتوبا"[2].

وجاء بعده موليير Molière الذي كان يفضّل الحديث البسيط على ذوق عصره فاتخذ طريقة كانت تسمح له بالتّعبير الحرّ عن آرائه وتمكّنه في الوقت نفسه من مخاطبة الجماهير، والاتصال بها وقد ألّف الملهاة المعروفة بعنوان "كاره البشر".

وأوّل محاولة تهدف إلى الاهتمام بالأدب الشّعبي والعناية به ترجع إلى بعض الأدباء الإنجليز منهم: "أديسون Addisson في العصر الكلاسيكي الذي قرأ حوالي 1710 قصّة شعرية: balade، أمّا والترسكوت wolter scott فقد اعتنى هو الآخر بالأدب الشعبي والتقاليد الشعبية والأشعار البطولية فنشر ديوانا في الشّعر الشّعبي تحت عنوان: الأغاني الشعبية في الحدود الاسكتلندية ⇐ Minstrelsy of the scottich border، وأمّا الإخوان غريم les frères Grim فقد أغنيا وأثريا القصّة الشعبية بفصاحة اللغة والأسلوب"[3].

---

[1]– نبيلة إبراهيم/ أشكال التّعبير الشعبي/ دار النهضة، مصر/ القاهرة/ د.ت/ ص 97.

[2]– ليلى روزلين قريش/ القصة الشعبية ذات الأصل العربي/ ص 12.

[3]– المصدر نفسه/ ص 13-14.

ومن أهمّ القصص الشعبية الكبرى نجد: دون كيخوتي لسرفانشى الإسباني والديكاميرون أو الأيام العشرة لبوكاتشيو الإيطالي، أمّا ماركو بولو فقد كان له الدّور الرّائد في تطوّر القصّة الشعبية عندما عاد من رحلته الاستكشافية الممزوجة بالخيار، "ثمّ ظهرت بعد ذلك مجموعة من المعاصرين أمثال كولومبوس وماجلان وغيرهم من الذين رووا وسردوا الحكايات والقصص الغريبة، وكتب سويفت رحلات جيلفر إلى بلاد الأقزام والعمالقة وغيرها"[1].

أخذت القصّة في التطوّر والازدهار ومن ثمّة اختلفت ألوانها وأصنافها، وذلك حسب التطوّر والدّرجة التي بلغتها القصّة "فقد تجدّدت المذاهب وتحدّدت الطرائق فجعلت القصّة درجات فوق درجات حتى بلغت القمة في أدب العصر الحديث"[2].

5. أوجه التشابه والاختلاف:

أ – أوجه التشابه:

تكمن علاقة التشابه بين القصص الديني والقصص الشعبي في بعض التقاط كتتبّع واقتفاء آثار القدامى، حيث نجدهما يتحدّثان عن أحوال الأمم الماضية وذلك بالاشتمال على الكثير من الوقائع الماضية، وذكر البلاد والدّيار، والتّعبير عن حياة الناس التي تخلد أسماء الأقدمين والوقائع التي حدثت في حياتهم اليومية، وكذلك التّعبير عن أنواع الظّلم الاجتماعي والاضطهاد والتّرف والطّغيان والرّضا بالذلّ، والسّخرية والقهر الذي تعرّضت له الشّعوب على مرّ الزّمان، كما تصطبغ بصبغة البيئة، فالأحداث تعرّفها البيئة، حيث تعتمد على سمات وصفات معروفة ومشهورة تمجّد من خلالها الأبطال المشهورين في تاريخ البلاد، فتعنى بالشّخصية التي عرفت واشتهرت، كما تتّفقان في عنصر الزّمان الذي له دور في بناء

[1]– محمود تيمور/ فن القصص/ مطبعة دار الهلال/ 1948/ ص 34-35.

[2]– المصدر نفسه / ص 35.

القصّة حيث يمسك بكل جزئياتها، وكذلك المكان الذي يلعب دورا هامّا فعّالا هو الآخر في بناءها فهو أشبه بالوعاء الحاوي للأحداث المشاركة في تعيين وتنمية الحدث.

ب– أوجه الاختلاف:

كما أنّ للقصص الدّيني والقصص الشّعبي نقاط تشابه فإنهما يختلفان في نقاط أخرى كالغاية والهدف من كلّ منهما، إذ أنّ القصص القرآني هو وسيلة للإنذار والموعظة والعبرة واستخراج الحقائق الدينية التي يرمي إليها القرآن الكريم، وهي تربية الإنسان لنفسه تربية تضمن له العيش الصّحيح والهنيء، وبالتّالي تعميق العقيدة والسموّ بها، حتّى يعلو ويرقى عن الحيوان، فهو سموّ روحي خلقي ونفسي، وأيضا هو علوّ اجتماعي ورقيّ مادي ومعنوي، فالقصّة القرآنية ترتكز على التديّن الحقّ الذي لا ينفصل عن الحياة العملية ولا عن واقع الإنسان والحياة العلمية المتعلقة بجميع مخلوقات هذا الكون، كما تعتمد القصّة القرآنية على الأسلوب الموجز ممّا يجعلها أيسر وأسهل في الفهم، فولوجها إلى النّفس يكون أيسر ووقعها في الوجدان يكون أعمق، أمّا أحداث القصص القرآني فتدور حول الدّعوة إلى الله والتّوجيه إلى وجهه الكريم واثبات التوحيد وصدق العبادة.

أمّا شخصياته وأبطاله فنجدها "مرسومة رسما متناسقا بفضل طريقة التصوير الفنّي، فهي شخصيات حيّة متحرّكة ذات عواطف وانفعالات"[1].

أمّا الغاية من القصص الشعبي فهي التسلية والترفيه والترويح عن النّفس، فهو وسيلة للاستمتاع والتسلية، "حيث يهتمّ الشّعب بوصفه ويستمتع بروايته أثناء وقت الفراغ لتنامي الأتعاب اليومية، ويمتزج فيه التاريخ بالأحلام، والوقائع بالخيال، ليتحوّل الكلّ إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة والمغامرات الخطيرة، فأبطاله من نسج الخيال.

[1]– صلاح عبد الفتاح الخالدي/ نظرية التصوير عند سيد قطب/ شركة الشّهاب/ الجزائر/ 1988/ ص 236.

إذ نجد القصّة تسجّل الحدث بصفة واقعية، وتصطبغ بصيغة البّعد الزمني الخارق للعادة، فتميل إلى العجائب والغرائب وفي ذلك: يعتمد الراوي في قصّه على الرواية الأصل ليصنع منها قصّة تتماشى وطبيعة وذوق الحضور"[1]، فيعدل حسب سعة خياله وقوّة ذاكرته ودقّة لغته، وغرضه الخاص، فالقصّة الشعبية معرضة للتحوير والتّغيير بسبب الرواية الشفوية، وانتشارها في شتّى أنحاء العالم، فهي لا تهدف إلى ذكر حوادث التاريخ لذاتها بل لتعبّر عن رأي الشّعب وآماله إزاء حوادث عصره.

الفرق بين القصة في القرآن الكريم والقصة الشعبية:

جاءت القصّة القرآنية ضمن الكلام المعجز والحديث المبدع والرّاقي الذي قاله الله عزّ وجلّ في كتابه المحكم بلغة فصحى عرفت بلغة قريش، وهي باقية على مرّ الزمان والعصور معتمدة على سرد تاريخي ثابت على شكل واحد، إذ تمتاز بطابع توجيهي مستمدّة من وقائع حقيقية بخلاف القصّة الشعبية التي تعتمد على إرضاء المتلقي باستنادها إلى الطّابع الخيالي الذي يزيدها بعدا عن الحقيقة: "فالقصّة في القرآن الكريم تختلف عن غيرها في الوصف والغرض، أمّا من ناحية الوصف فإنّ القصّة في القرآن الكريم صدق بكلّ كلمة، وبكلّ جملة من تركيبها، وغيرها من القصص لا يلتزم فيه ذلك، فإنّه يتخللها كثير ممّا لا يطاق الواقع، أمّا الغرض فإنّ المقصد فيها يتّصل بمقاصد القرآن أي تثبيت العقائد الصّحيحة ونفي الأفكار القديمة"[2].

أمّا سيد قطب فيفرق بين القصّتين فيقول: "إنّ القصّة القرآنية لست عملا فنّيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه بخلاف القصص الأخرى الحرّة التي ترمي إلى أداء غرض طليق"[3].

---

[1]– عبد القادر قروش/ الأدب المسمّى –شعبيا– إشكالية اصطلاح/ ص 49.

[2]– عبد الحافظ عبد ربه/ بحوث في قصص القرآن/ ص 44.

[3]– سيد قطب/ التصوير الفني في القرآن الكريم/ ص 17.

إنّ أوّل سؤال يتبادر إلى أذهاننا ونحن بصدد دراسة بعض قصص القرآن الكريم، باعتبارها قصص شعبية دينية هو: هل يعتبر القرآن الكريم مصدرا يرجع إليه الباحث أثناء بحثه في القصص الديني الشعبي طالما أنّ أغلبية القصص الدينية الشعبية، لاسيما قصص الأنبياء كقصّة يوسف واسماعيل ومريم –عليهم السلام– هي مستمدّة منه؟

إنّ مصطلح الشعبية مصطلح واسع وغامض في الوقت نفسه، إذا كنّا نقصد بالشعبية كل ما خزنته الذاكرة الشعبية وتوارثته الأمم عن بعضها البعض مشافهة –أي أن الشعبية تعني عدم التدوين والكتابة–.

إنّ القرآن الكريم لا يمكن إدراجه ضمن هذا المفهوم، هذا على مستوى التدوين، أمّا على مستوى اللغة العربية فغالبا ما يُقرن مفهوم "الشعبية" باللغة العامية المتوارثة بين جميع فئات الشّعب على اختلاف مستوياتهم الثقافية، ومن المعلوم أنّ القرآن الكريم –مصدر القصص الدينية– كتب باللغة العربية الفصحى التي تعدّ لغة قريش التي تسيطر على اللهجات الأخرى، وانطلاقا من هذا تستنتج ما يلي:

آ –يمكن القول بأنّ القرآن:

القرآن الكريم هو مصدر من مصادر القصص الديني الشعبي، بمعنى أنّ المادة الخام تؤخذ منه، ولكن الذاكرة الشعبية تعيد تشكيلها، وتضفي عليها تغييرات وتحويرات عدّة حسب المواقف والأحداث، كما تضفي عليها أيضا عنصر الخيال والمغامرات.

ا –يمكن القول بأنّ التوراة:

ان معظم قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم وردت أيضا في العهد القديم،وخاصة في "القسم الثاني والمسمى "نبييم" أي الأنبياء، فيشمل مجموعتين، الأولى خاصة بالأنبياء الأُول ابتداءً من سفر يشوع إلى سفري الملوك الأول والثاني. والسفران

الأخيران يبحثان الفترة من موت داود عليه السلام حتى بداية السبي البابلي. والمجموعة الثانية خاصة بالأنبياء المتأخرين وتتألف من 14 سفراً ابتداءً من سفر إشعياء ونهايةً بملاخي"[1].

تحديد الإطار المعرفي والدّلالي للموازنة.

1-مفهوم الموازنة لغة:

ما معنى كلمة موازنة؟

للموازنة عدّة معان ومفاهيم، وذلك حسب التخصّص أو الإطار الذي تستعمل فيه، فهناك موازنة بين نصّين في الأدب، وهنالك موازنة في الاقتصاد...وغيرهم.

جاء في لسان العرب لابن منظور:

"قال ابن برّي: ووازنت بين الشيئين موازنة ووزانا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان على محاذيه..."[2].

ويرد في المنجد: "وازن وزنا وموازنة: كافأه على أعماله، قابله وحذاه، ساداه في الوزن، وبين الشيئين: نظر آية ما أوزن، توازن الشيئان: تعادلا"[3].

- فلسفة الموازنة لغة:

وزن: الزون: رمز الثقل والخفّة، أي وزن الشيء وزنا وزنة[4].

1-جارودي، رجاء: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: حافظ الجمالي وصبّاح الجهيّم، ط2، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1996، ص128-129.

2- ابن منظور/ -لسان العرب- لسان العرب المحيط / إعادة بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة: يوسف خياط/ المجلّد الثالث/ دار لسان العرب/ عين رمانة/ لبنان/ ص 920-922.

3- المنجد في اللغة و الأعلام/ ط28/ دار المشرق/ بيروت/ ص 899.

4-مجمع اللغة العربية / المعجم الوسيط/ الطبعة الرابعة /مكتبة الشروق الدينية /2004/ص 214.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصر ما يلي:

أ – مصدر وازن في (الاقتصاد) ميزانية: أرقام تقديرية تضعها الدّولة أو المؤسسات أو الأفراد للواردات والنفقات لمدّة معيّنة من الزّمن "موازنة شركة".

ب – في (البلاغة) موازنة تساوي الفاصلين في الكلام وزنا لا قافية، وتسمّى توازنا "عقل راجع وعلم راسخ".

ج – في (الآداب) موازنة تعني مقارنة نقدية بين أدبين أو فكرتين أو أثرين أو مدرستين أو شخصيتين في مبحث طويل أو فصل من مبحث "موازنة بين شاعرين أو عالمين": وقيل أيضا:

وازن يوازن، موازنة، ووزانا، فهو موازن، والمفعول مُوازن (للمعتدي)، وازن بين الشيئين، تساوى وعادل أي ساواه في الوزن وقابله وحاذاه وكافأه على عمله.

- فلـه لوطك لوؤمـ بوئ شص بلإحـ ئ:

هي دراسة يتمّ من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره، ورجاله قصد الإيضاح والترجيح.[1]

2- ةئفي حـ طـه هذمئ:

ظهرت الموازنة مبكرة في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تسايره على مرّ العصور إلى اليوم، وستبقى دائما من وسائله النقدية والتاريخية، فإذا صحّ ما روي عن قصّة أمّ جندب وموازنتها بين امرئ القيس وعلقمة في وصف الفرس، ومن أنّ النّابغة الذبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ، دلّنا ذلك على أنّ الموازنة كانت أساسا للمفاضلة منذ الجاهلية، وكانت مدرسة الحطيئة وكعب بن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزرد.

4- علي بن أحمد الجرجاني /كتاب التعاريف /مكتبة لبنان –بيروت /1985/ص167.

وفي صدر الإسلام كانت الموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب، وكانت بين شعراء الرسول –صلى الله عليه وسلم– وخطبائه من ناحية، وبين شعراء الوفود العربية وخطبائهم من ناحية أخرى، وكان العصر الأموي زاخرا بالموازنات بين الفحول والغزليين والسياسيين من الشعراء، وبين الخطباء والأدباء جميعا، فخلف لنا ثروة نقدية قيّمة على الرغم من انها كانت متأثرة بالعصبيات والأهواء والأمزجة.

أمّا العصر العباسي فقد بدأ هذا الفنّ النقدي نشيطا بين بشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، وبين أبي تمام والبحتري، وبين المتنبي وخصومه، وقد انسحب على النّثر أيضا، فكانت الموازنة بين الخطباء والكتاب، وبين اللّفظ والمعنى وبين الفكرة والخيال...وهذا عصرنا الحديث يتّخذ الموازنة أساسا لأبحاثه نزولا عند طبيعة الدّراسات في أصحّ أوضاعها وأقوم سبلها.

ومن أبرز الدّارسين للموازنة نجد محمد بن سلام الجمحي الذي كان من السباقين اليها و ذلك في كتابه طبقات فحول الشعراء (الموازنة الفنية)، ثم جاء ابن قتيبة في كتابه الشّعر والشعراء ونجد أيضا الصولي في كتابه أخبار أبي تمام، والعمدة لابن رشيق القيرواني، والآمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمّام والبحتري وهو أوّل كتاب يتصدّى للمقارنة بين شاعرين، وغيرها من الكتب.

ومن المعاصرين اللذين تطرقوا للموازنة الأستاذ قسطاكي الحمصي في كتابه: المنهل الوارد في علم الانتقاد، وأيضا الدكتور زكي مبارك في كتابه: الموازنة بين الشعراء....

3- الإطار الدلالي :

هو خلاصة خبرات الانسان المتراكمة على مر الايام التي تم اكتنازها بناء على الاستعدادات والقدرات الشخصية و الخصائص البيولوجية و الاجتماعية و الثقافية كل هذه العوامل تختلف من فرد إلى آخر.

ونتعرض فيه لأصول الموازنة:

هذا العرض التاريخي السريع يساعدنا على وضع الأصول اللازمة لعقد الموازنات الأدبية بين الكتاب والخطباء والشعراء، وهي تتراءى في ناحيتين:

ئ<u>لآلك و</u>:

ما يأخذ به الناقد نفسه حين يوازن بين عصرين أو فنين أو أسلوبين أو معنيين إلى غير ذلك.

<u>ك تئي د</u>:

ما يتّصل بالأوضاع اللازمة لصحّة الموازنة حتى تكون معقولة وممكنة.

أمّا عند الناقد فنحن نعرف ما يجب أن يتوافر له من كفاية فنية ونزاهة أدبية، وخطّة علمية، ونقصد بذلك ما يتّصل بفنّ الموازنة واهمّ ذلك ما يلي:

1. أن يكون ملمّا بسيرة كل ممّن يوازن بينهم، وما توارد على كلّ واحد من أطوار الحياة، وأحداث الزمان، والمزاج الغالب عليه، وكيف درس؟ وماذا كان يعمل، فذلك ينفعه سواء كانت الموازنة توضيحية أو ترجيحية ومثال ذلك:حين نوازن بين الأعشى وزهير...إلى الموازنة بين شوقي وحافظ، فكلّ من هؤلاء حياته الخاصة التي طبعت آثاره طابعا خاصا، إذا عرفها النّاقد استطاع أن يفسّر بها ما يميّزه عن زميله أو يعرف سبب فضله عليه في كل فنونه، أو في بعضها.

2. أن يتبيّن النواحي التي اشترك فيها الأدباء أو الآثار الأدبية التي اختلفوا فيها، ثمّ ينتقل إلى الأفكار والأخيلة والأساليب، والى الموضوعات لتكون موازنته عامة، شاملة، فذلك من شأنه أن يشرح ميزات الكلّ ويعين على الإيضاح والإنصاف.

3. ولابدّ من معرفة مبتكرات كلّ واحد، ومقدار ما يفرّقه عن زميله، ويظهر ذلك جليّا إذا اتحدت الموضوعات والفنون الأدبية شعرا ونثرا، خطابة وتأليفا، كما يتّضح في الموازنة بين العصور الأدبية والتاريخية.

أمّا فيما يخصّ الأوضاع اللازمة لعقد هذه الموازنة فهي كثيرة ومتنوعة يمكن عرضها فيما يلي:

أ- توافر الميزة وحده كاف لعقد الموازنة بين شيئين مهما اختلفا وتباعدا، وذلك يسمح بالموازنة بين الأديب وغيره.

ب- يلي ذلك اتحاد الموضوع بين الطّرفين، وهذا هو ما يجعلنا نوازن ونقارن بين شاعر أو خطيب أو روائي بنظيره.

ج- بعد ذلك تكون الوحدة في باب بعينه من أبواب الفنّ (أيّ الموازنة في جنس أدبي موحد ومحدد)، كما نوازن بين الغزل الجاهلي والغزل الإسلامي أو بين مأساة وأخرى، أو مقالة وأخرى...

د- ونصل أخيرا إلى عناصر الأدب من عاطفة وخيال وأفكار وعبارات، والملاحظ أنّ الموازنة بين هذه العناصر قد غلبت و تفوقت في النّقد العربي القديم، وكانت الآراء النقدية تدور حولها وخاصة حول الإشارات إلى الفنون والأشخاص والبيئات والعصور.

الفصل الأول

قصة يوسف (عليه السلام)

بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي

أولا: القصة القرآنية

- ذكر الأحداث متسلسلة كما جاءت في القرآن

ثانيا: القصة الشعبية

- ذكر الأحداث متسلسلة كما وردت في القصة الشعبية.

ثالثا: مقارنة وموازنة القصّتين القرآنية والشعبية

أ. أوجه التشابه

ب. أوجه الاختلاف

أولا: القصة القرآنية

نجد قصة النبي يوسف عليه السلام من بين القصص الأكثر إبداعا وانتشارا بين العامة والخاصة والتي جاءت في النصّ القرآني كما يلي حيث يقول المولى عزّ وجل: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾[1].

افتتحت سورة يوسف بعبارات موجزة تشير إلى المواقف والأحداث المتعلقة بالنبيّ يوسف –عليه السلام– إذ تعتبر من أهمّ النماذج الكاملة لمنهج القرآن الكريم في الأداء الفنّي للقصّة، وتتميّز بخاصية دون سواها من القصص التي جاءت تخبرنا عن الأنبياء ألا وهي أنّها السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تعرّضت لقصّة نبيّ من أولها لآخرها، يقول أحد الباحثين في هذا الشّأن، "...وهي ذات طابع فريد لأنها اشتملت على قصّة نبيّ الله يوسف كاملة، إذ المألوف في القصص القرآني أنّ القصّة ترد عادة في حلقات متعدّدة وفي أماكن متفرقة من سورة القرآن، لقد اتّسمت سورة –يوسف عليه السلام– بعرض عام لشخصية هذا

[1]– سورة يوسف، الآيات 01-06.

النبيّ من جميع جوانبها، وفي كلّ مجالات حياته وما مرّ به من أحداث ومواقف، وخبرات مع شخصيات أخرى لها دور في سياق أحداث القصّة"[1].

وتميّزت هذه القصّة بالتسلسل الزمني وترابط الأحداث والوحدة الموضوعية إضافة إلى قوّة العرض، ونستنتج من كلّ هذا أنّ الإطار العام لهذه القصّة هو النبيّ يوسف –عليه السلام– ولكن داخل هذا الإطار هناك مجموعة من المكوّنات القصصية الأخرى المتّصلة بالقصّة الأم وتكمل فيما يلي:

1- الرؤيا:

ابتدأت سورة يوسف بالرؤيا التي جاءته في المنام والتي رواها لأبيه وهو لا يزال صغيرا لا يعرف شيئا عمّا رآه، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[2]، قيل إنّ "الأحد عشر كوكبا هم إخوة يوسف، والشّمس والقمر هما أبواه"[3].

2- تفسير الأب يعقوب للرؤيا:

لمّا استيقظ يوسف قصّ الرؤيا على أبيه يعقوب، فعرف أبوه من خلال كلامه أنّه سينال منزلة عالية ورفيعة وعظيمة في الدّنيا والآخرة، بحيث يخضع له أبوه واخوته فيها، فأمره بكتمانها وعدم قصّها على إخوته كيلا يحسدونه ويبغوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر، يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ

[1]– عدنان محمد وزان/ مطالعات في الأدب المقارن/ دار السعودية للنّشر والتوزيع/ سنة 1983/ ص 159.

[2]– سورة يوسف، الآية 04.

[3]– محمد بن جرير الطبري/ جامع البيان في تفسير القرآن/ المطبعة اليمنية بمصر/ الجزء 12/ د.ت/ ص 85.

وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وعند أهل الكتاب أنّ يوسف- عليه السلام- قد قصّ الرؤيا على أبيه واخوته معا، وهذا غلط منهم[2] والدّليل على ذلك الآية السابقة أنّ الله أرى (ليوسف)، هذه الرؤيا العظيمة فإذا كتمتها ولم تبوح بها فإنّه سيخصّك بأنواع اللّطف والرحمة ويفهمك من معاني الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك ويجازيك بنعمة الوحي دون أحد من إخوتك، وبسببك سوف ينوب قومك خير في الدّنيا والآخرة سينعم عليك ويحسن إليك بالنبوّة كما منحها لأبيك يعقوب وجدّك إسحاق ووالد جدّك إبراهيم الخليل من قبلك.

3- حقد إخوة يوسف وتآمرهم عليه:

يقول تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾[3].

ينبه المولى عز وجل على ما في هذه القصّة من الآيات والحكم والعبر والدلالات والمواعظ للسّائلين، ثمّ يذكّر تعالى "حسد إخوة يوسف له على محبّة أبيه له ولأخيه بنيامين شقيقه لأمّه أكثر منهم وهم عصبة أي جماعة، يقولون نحن أحقّ بالمحبّة والحنان من

[1]- سورة يوسف، الآيات 5-6.

2- ابو الفداء اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي /البداية والنهاية/تحقيق :أحمد أبو ملحم وآخرون /الجزء الاول/دار الكتب العلمية -بيروت /1988/ص495.

[3]- سورة يوسف، الآيات 7-8-9-10.

هذين"[1]، فهم يرون أنّ أباهم في ظلال بتقديمه حبهما عليهم، تشاور الإخوة فيما بينهم في قتل يوسف أو إبعاده عنهم إلى أرض حيث لا يرجع منها ليخلو لهم وجه أبيهم، وتتمخّض محبته لهم وتنحصر عليهم ثمّ يُصبحون قوما تائبين وصالحين بعد ذلك، فلمّا تآمروا عليه وتوافقوا عليه قال أحد إخوته، "قال مجاهد وهو شمعون، وقال السدّي هو يهودا، وقال بن إسحاق هو أكبرهم روبيل"[2]، إذا قال لا تقتلوا يوسف بل ألقوه في البئر وسيجده بعض المارة أو المسافرين فليكيف هذا القرار أقرب حالا وأحسن من قتله أو نفيه وتغريبه، فأجمعوا رأيهم على إلقاءه في البئر، فذهبوا إلى أبيهم وراودوه طالبين اصطحاب يوسف معهم، يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾[3]، أصبح يوسف محسودا من طرف إخوته فطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم ولم يبدوا ما في أنفسهم بل أظهروا له أنّهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب ويلهو، وقد أضمروا له ما الله به عليم، فأجابهم يعقوب –عليه السلام– أنّه يشقّ عليه أن يفارقه ولو ساعة من النّهار وكما أنه يخشى أن ينشغلوا في لعبهم وما هم فيه، فيأتي الذّئب ويأكله ولا يقدر على دفعه عنه نظرا لصغره وغفلتهم عنه، فأجابوه: لئن جاءه الذّئب فأكله وهو بيننا أو انشغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة إنّا إذا لعاجزون وهالكون لا محالة.

3– ابن كثير الدمشقي /البداية والنهاية /ج1/ص463.وجاء التفسير أيضا في كتابه:قصص الأنبياء من القرآن والأثر / تحقيق:صدقي جميل العطار /دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت–لبنان/ 1429 ه–2008م/ص189.

[2]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء من القرآن والأثر/ تحقيق: صدقي جميل العطار/ دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع/ بيروت– لبنان/ 1429 هـ، 2008م/ ص 189.

[3]– سورة يوسف، الآيات 11-12-13-14.

4- تحقيق الإخوة لمكيدتهم:

يقول أهل الكتاب في الإسرائيليات أن يعقوب عليه السلام قد أرسل يوسف ورائهم يتبعهم، فظلّ الطّريق حتّى أرشده رجل إليهم، وهذا أيضا غلطهم وخطأ منهم في التعريب، فإنّ يعقوب عليه السّلام كان أحرص عليه من أن يبعثه معهم، فمال بالك أن يبعثه وحده، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾[1].

ظلّ الإخوة يتحايلون على أبيهم وأتوه موثقا على ألاّ يفرّطوا في يوسف، حتى أقنعوه وبعثه معهم، فما كان إلاّ أن غابوا عن عينيه، فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال، وأجمعوا على إلقائه في غيابة الجبّ أي في قعر البئر على صخرة هناك، فلمّا ألقوه فيه، أوحى الله إليه أنّه لابدّ لك من فرج وخرج من هذه الشدّة التي أوقعك فيها إخوتك، ولتخبرنّهم بصنيعهم هذا في حال مقام أنت فيه عزيز، وهم فيه محتاجون إليك وخائفون منك وهم لا يشعرون.

[1]– سورة يوسف، الآية 15.

5- عودة الإخوة بدون يوسف:

لمّا وضعوه في البئر، رجعوا عنه وأخذوا قميصه فلطّخوه بشيء من الدّم، وعادوا إلى أبيهم عند العشاء وهم يبكون عليه، ولهذا قال بعض السّلف "لا يغرنّك بكاء المتظلّم، فربّ ظالم وهو باك وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاؤوا أباهم عشاء يبكون أي في ظلمة اللّيل ليكون أمشى لغدرهم لا لعذرهم"[1].

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾[2]، أي: إنّنا تركنا يوسف عند أمتعتنا وفي اللحظة التي غبنا عنه وذهبنا لنستبق أكله الذّئب، وما أنت بمصدّق لنا فيما أخبرناك به، فكيف وأنت تتّهمنا في هذا الأمر، فأنت خشيت أن يأكله الذّئب وضمنا لك أن لا نتركه ولن يصيبه مكروه نظرا لكثرتنا حوله، فصرنا غير صادقين عندك، فمعذور أنت في عدم تصديقك لنا وخاصّة أنهم جاءوا بفعل مكذوب ومفتعل أي: وضعوا على قميصه دم اخر وليس دمه، ولمّا ظهرت عليهم علامات الريبة لم يرج على أبيهم ذلك، فإنّه كان يفهم عداوتهم له وحسدهم إيّاه على مكانته عند أبيه، وعليه فقد أخذوه وغيبوه عن عينيه وجاءوا وهم يتباكون ويتواطئون على ما آلوا إليه.

6- يوسف والسيارة:

لما وضع يوسف في الجبّ جلس ينتظر فرج الله ورحمته ولطفه به وفجأة مرّت إحدى القوافل المارّة من هناك: "كانت جماعة تسير فأرسلت أحدهم إلى مورد الماء فلمّا أدلى دلوه

[1]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 190.

[2]– سورة يوسف، الآيات 17-18.

تعلّق به يوسف فاستبشر الرجل"[1]، يقول الله تعالى:﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ ﴾.[2]

كانت هذه القافلة تبغي التجارة فانطلقوا من الشام قاصدين مصر فأرسلوا بعضهم ليسقوا من ذلك البئر، فلمّا أدلى أحدهم دلوه تعلّق فيه يوسف، فلمّا رآه الرجل قال يا بشارتي، فأخذوه معهم وجعلوه ضمن جملة تجارتهم أي جعلوه بضاعة لهم، لعلّ الله يرزقهم من بيعه عدّة دراهم، ولكن الله كان أعلم بحاله، وهم لا يعلمون بأنّ هذا الغلام الذي سيدخل مصر أسيرا وعبدا سيملك زمام الأمور فيها وينفعهم الله به بما أتاه من حكمة وعظمة ورحمة ووحي، ولمّا استشعر الإخوة بأخذ السيّارة ليوسف لحقوهم وقالوا هذا غلامنا فاشتروه منهم، وباعوا بثمن زهيد وقليل، "ويقال أنّهم باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين"[3].

7- يوسف في قصر العزيز:

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾[4].

---

[1]– أحمد ماهر البقري/ يوسف في القرآن/ دار النهضة العربية للصّناعة والنشر/ بيروت/ 1984، 64.

[2]– سورة يوسف، الآيات 19-20.

[3]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 191.

[4]– سورة يوسف، الآيات 21-22.

وصل يوسف إلى مصر فاشتراه رجل يقال عزيزها وهو الوزير على الخزائن المسلّمة إليه وهذا لطف من الله به ورحمة منه واحسانه إله بما يريده أن يؤهّله له، ويعطيه من خيري الدّنيا والآخرة، إذن "تغيّرت بنية يوسف الاجتماعية فنزل الحضر بعد أن كان باديا ونزل في بيت تظهر فيه النعمة والثراء وهو بيت العزيز وهو من البيوت المرموقة من القوم في ذلك الزّمان"[1]، فقال عزيز مصر لزوجته أحسني إلى يوسف وأكرميه لعلّه ينفعنا ذات يوم أو نتخذه ولدا، نلاحظ أنّ يوسف قد ابتسمت له الدّنيا حيث نزل في منزل عزيز مصر وسيّدها ويريد أن يتّخذه ولدا وهذا كلّه لطف من الله ورحمة منه.

لقد أحسن العزيز وامرأته ليوسف باحتضانه واعتناءهما به فمكّن الله له في أرض مصر وعلمه الأحاديث وفهمه إياها وجعله أحسن معبّر للرؤى ولمّا بلغ أشدّه أي بلغ سنّا معيّنا (اختلاف فيه) أتاه الله العلم والحكمة فهذا هو جزاء المحسنين.

8- يوسف وامرأة العزيز:

يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف –عليه السلام– عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشّباب، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه وتهيّأت له، وتصنّعت ولبست أحسن الثياب وأفخر اللباس، وهي امرأة الوزير ذات مكانة عالية وراقية، ولكن الله سبحانه وتعالى عصمه من الوقوع في الخطأ وبرّأه من الفحشاء وحباه من مكر النساء بالرّغم من أنّه شاب بديع الجمال والبهاء إلاّ أنّه نبيّ من سلالة الأنبياء فعصمه الله من الفحشاء، "إنّها صورة مشرقة عن نزاهة هذا النبي الكريم وبراءته وعصمته، مع ما أعطاه الله عزّ وجلّ من الجمال وما كساه من البهاء والجلال، حتى افتتنت به امرأة العزيز، فصنعت ما صنعت بقصد إغوائه واغرائه، ولكنّه عليه السلام

[1]– محمد أخلف خلف الله/ الفن القصصي في القرآن/ مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة/ الطبعة الرابعة/ 1972/ ص281.

كان أصلب من الحديد وأقوى من الجبال، فلم تؤثّر فيه العواطف الهوجاء والمكائد المديرة والمصطنعة"[1].

يقول تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

والمقصود أنها دعته إليها وحرصت على ذلك أشدّ الحرص لكن يوسف الصدّيق امتنع وأخذ يذكرها بزوجها العزيز الذي أحسن إليه وكرّم مقامه عنده، فكيف يخونه في عرضه وشرفه؟ وكيف يرتكب نبيّ من أنبياء الله فاحشة الزنا؟ حيث وقف في وجهها وامتنع عنها بكل عزم وصرامة، حيث كان الهمّ منها طلبا وكان الهم منه دفعا وامتناعا، فهرب منها قاصدا الباب ليخرج فرارا منها فاتبعت أثره إلى أن وجدا العزيز فبادرت بالكلام وحرضته عليه، حيث اتهمته وهي المتهمة وبرّأت عرضها فنطق يوسف –عليه السلام– بالحق

[1] – محمد علي الصابوني/ النبوة والأنبياء/ دار الهدى للطّباعة والنشر والتوزيع/ الجزائر ص 70.

[2] – سورة يوسف، الآيات 23-24-25-26-27-28-29.

واستشهد بالقميص الذي كان قد قُطع من الدُّبر، فعرف حينها العزيز أنها هي الخاطئة وأمرها بالتوبة والاستغفار ممّا فعلت وبالتالي ظهرت براءة الصدّيق، **عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة.فقال لها سيدها وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام**[1].

9- نسوة المدينة:

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

لمّا سمعت نساء الأمراء وبنات الكبراء في مصر بفعلة امرأة العزيز أخذن في الطّعن فيها وعيبها، والتّشنيع بها في مراودة فتاها وحبّها الشّديد له، فقلن أنها في ظلال وهلاك، فأظهرت ذما وعيبا فيها وهي معذورة في الأمر نفسه، فلهذا أحبّت أن تبسط عذرها عندهنّ

1- عبد الرحمن بن ناصر السعدي /تيسير الكريم الرحمن في تفيير كلام المنان /قدمه :عبد الله بن عبد العزيز – محمد الصالح العثيمين/حققه وقابله :عبد الرحمن بن معلا اللويحق /مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ 1423 ه-2002م/ص238.

2- سورة يوسف، الآيات 30-31-32-33-34.

وتبيّن أنّ هذا الفتى ليس كما حسبن، فأرسلت إليهنّ فجمعتهنّ في منزلها، واعتدّت لهنّ ضيافة مثلهنّ وأحضرت فاكهة وأتت كلّ واحدة منهنّ سكينا، وكانت قد هيّأت يوسف عليه السّلام وألبسته أحسن الثّياب وهو في غاية طراوة الشّباب وأمرته بالخروج عليهنّ، فخرج وهو أحسن من البدر في الجمال، فلمّا رأينه أعظمنه وأجللنه وهبنه لأنّهن ما ظنن أن يكون مثل هذا في بني آدم، فانبهرن بحسنه حتى اشتغلن عن أنفسهنّ، وجعلن يحززن في أيديهنّ بتلك السكاكين بدل الفاكهة ولا يشعرن بالجراح ثمّ مدحته زليخا بالعصمة التامة واعترفت بذنبها وامتناعه، ثمّ دعته وحرّضته بعض النسوة على السّمع والطّاعة لها فأبى أشدّ الإباء ونأى عنها ودعا الله قائلا: "ربّي وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي إلاّ العجز والضّعف، ولا أملك لنفسي نفعا ولا ضرّا إلاّ ما شاء الله، فأنا ضعيف إلاّ ما قويتني وعصمتني وحفظتني وأحطتني بحولك وقوّتك"[1].

10- السجن والرؤيا:

بدا للعزيز وامرأته من الرأي بعد ما علموا ببراءة يوسف أن يسجنوه إلى وقت يكون ذلك أقلّ لكلام النّاس في تلك القضية وأخمد لأمرها وليظهروا أنّه راودها عن نفسها فسجن بسببها، فسجنوه ظلما وعدوانا، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ

[1]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 195.

ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[1]، وكان هذا ممّا قدره الله له، حيث أدخل يوسف السّجن ودخل معه فتيان أحدهما ساقي الملك والثاني خبازه، فلمّا التقيا بيوسف في السّجن أعجبتهما سمته وهديه وطريقته في الكلام وقوله وفعله وكثرة عبادته وحسنه للنّاس، فرأى كل منهما رؤيا تناسبه في ليلة واحدة، فطلبا من يوسف أن يفسّر لهما ما رأوه، فأخبرهما أنّه عليم بتعبيرها وخبير بأمرها، كما أخبركما بما يأتيكما من الطّعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا وهذا كلّه ممّا علمني الله ورزقنيه ثمّ دعاهم إلى التّوحيد وعبادة الله، وصغر أمر الأوثان وحقرها، "ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه ، ليكون أنجع لدعوته ، وأقبل لهما ،

أما التعبير الذي سيعبره لهما هو من علم الله علمه اياه وأحسن إليه به "[2] ، ثمّ لما قام بما وجب عليه قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾[3]، فالأوّل هو السّاقي أمّا الثاني فهو الخبّاز فوقع هذا الذي أفتى به يوسف حقا،"قال ابن السائب: لما قص الساقي رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما

[1]– سورة يوسف، الآيات-35....41.

[2] – عبد الرحمن بن ناصر السعدي /تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ص239.

[3]– سورة يوسف، الآية 41.

رأيتُ أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضائها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز: بئس ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة ايام، ثم يبعث إليك الملك عن انقضائهن، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك"[1] ثمّ طلب من الذي ظنّ نفسه أنّه ناج منهما ذكره عند ربّه، لكنه أنساه الشيطان ما وصاه به يوسف –عليه السلام–، فلبث في السّجن ما لبث.

11- رؤيا الملك والتمكين:

إنّ من جملة أسباب خروج يوسف –عليه السلام– من السجن على وجه الاحترام والإكرام أنّ ملك مصر آنذاك رأى رؤيا في منامه تكمل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَامٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

رأى الملك كأنه على حافة نهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان، فجعلن يرتعن في روضة هناك، ثم خرجت سبع بقرات هزال، ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن، ثم ملن عليهن فأكلنهن، فاستيقظ الملك مذعورا ثم نام مرة أخرى فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة

2– محمد بن أبي أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم ابن الجوزي /زاد المسير في علم التفسير /الجزء الأول / الطبعة الثالثة/المكتب الإسلامي –بيروت/1984/ص28.

[2]– سورة يوسف، الآيات: 43 – 49.

واحدة، واذا بسبع دقاق، يابسات فأكلنهن، فاستيقظ مندهشا حائرا، فلما قصها على ملئه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها وردوها إلى أخلاط أحلام الليل وأنه لا تعبير لها، فعند ذلك تذكّر النّاجي منهما الذي وصّاه يوسف بالذّكر، فذهب إليه ولمّا سمع عليه السلام الرؤيا أجابه وعبّر له عنها قائلا: تأتي سبع سنين من الخصب والنماء ويعقبها سبع جذب وقحط ثم يأتيهم الغيث والخصب ويعصرون من الأقصاب والأعناب والزيتون وغيرها، كما أمرهم بادخار الحبوب في السبع الأولى في سنبله إلا ما يأكلون مع تقليل البذر في السنين العجاف وهذا يدلّ على علمه وحكمته[1].

12- خروج يوسف من السجن

رجع السّاقي إلى مصر بالمفاجأة وهي تعبير وتفسير للرؤيا، فطلب الملك إحضار يوسف عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

لمّا أحاط الملك علما بكمال علم يوسف -عليه السلام- وسداد رأيه وفهمه، أمر بإحضاره إلى قصره ليكون من خاصته، لكن يوسف الصدّيق أبى ذلك حتى يتبيّن للنّاس أنّه حبس ظلما وعدوانا وأنّه برئ ممّا نُسب إليه، وقال له ارجع إلى سيّدك وأمره أن يسأل النسوة لمّا قطعن أيديهنّ؟ فلمّا سألهنّ عن ذلك أعلمنه بما وقع من الأمر وممّا أكّد الحقيقة هو إفصاح امرأة العزيز عن الحق، فظهر الصّدق وأنّه برئ ممّا نسب إليه، وانّما طلب يوسف

[1]-ابن كثير الدمشقي /البداية والنهاية / ج1/ ص241.

[2]- سورة يوسف، الآيات -50....53.

التحقيق في الأمر ليعلم العزيز أنّه لم يخنه في الغيب ،قال المفسرون: لما رجع الساقي إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صحة ما قال، فقال: ائتوني بالذي عبر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبى أن يخرج حتى تبين براءته مما قرف به، فقال: {ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ } يعني الملك {فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ } ، والمعنى: فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وانما أشفق أن يراه اللمك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: {إِنَّ رَبِّى شَىْء عَلِيمٌ } أنه يعني الله تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم براءتي. وقد روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه استحسن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج .و المشار إليه بقوله: «ليعلم» الملك، والمشار إليه بقوله: «لم أخنه» العزيز. والمعنى: ليعلم الملك أني لم أخن العزيز في أهله بالغيب، رواه الضحاك عن ابن عباس[1].

13- مكافأة الملك ليوسف:

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]، لمّا علم الملك ببراءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه جعله من خاصيته ومن أكابر دولته وأعيان حاشيته أي جعله ذو مكانة هامّة وأمانه وأخبره يوسف أنّه حفيظ وقويّ على حفظ ما لديه وأمين عليهم يضبط الأشياء وحسن التصرّف في المصالح، فبعدما كان يوسف في السّجن والضيق

[1]- ابن القيم الجوزي / زاد المسير في علم التفسير/ ج1 /ص35.

[2]- سورة يوسف، الآيات 54....57.

صار مطلق الركاب بديار مصر وصار مكرما ومحسودا ومعظّما جزاء من الله وثوابا منه بحيث أصبح عزيز مصر ووزيرها الصّادق، يقول أحد الشعراء:

وَرَاءَ مضيق الخَوْفِ مُتَّسَعُ الأَمْنِ ❁ وأَوَّل مَفْرُوحٍ بِهِ غَايَةُ الحُزْنِ

ـفَلاَ تَيْأَسَنَّ ـفالله مَلَّكَ يُوسُفًا ❁ خَزَائِنهُ بعد الخَلاصِ مِنَ السِّجن[1].

14- مجيء الإخوة:

يقول تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ

[1]- ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 201.

وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1].

جاء إخوة يوسف –عليه السلام– إلى مصر يبغون الطّعام وذلك بعد إتيان سنين القحط والجذب، فلمّا دخلوا عليه عرفهم وهم لم يعرفوه لأنهم لم يخطر ببالهم أنّ يوسف صار على ما هو عليه من المكانة والعظمة، حيث أكرمهم –عليه السلام– بالعطاء قدر حمل بعير وطلب منهم إحضار أخيهم الأصغر في المرّة القادمة ورهبهم إن لم يأتوا به فلن يعطيهم القمح عكس ما أسدى إليهم أولا فوعدوه بإحضاره ثمّ أمر بردّ نقودهم إليهم، فوضعوها فتيانه في أمتعتهم، فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا له إن لم ترسل معنا أخانا هذه المرّة فلا كيل لنا عند العزيز، حيث ردّ بضاعتنا إلينا، فتردّد يعقوب في إرسال ابنه بنيامين مع إخوته خوفا من أن يصيبه ما أصاب يوسف، فأخذ عليهم موثقا ثمّ أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة خوفا من العين.

15- رجوع الإخوة ومعهم بنيامين:

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ

[1]– سورة يوسف، الآيات 58....68.

عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

لمّا دخل الإخوة بأخيهم بنيامين على يوسف عليه السلام آوى إليه وأخبره سرّا بأنّه أخوه وكتم الأمر عنهم ثمّ احتال على أخذه منهم وتركه عنده دونهم فأمر فتيانه بوضع سقايته في أمتعة أخيه، وعند استعداد العير للرّحيل نادى مناد متّهما إياهم بسرقة صواع الملك، حاولوا تبرئة أنفسهم بتفتيش أوعيتهم ثمّ وعاء أخيهم الأصغر، فاستخرج الصّواع من رحل بنيامين، عندها تذكّر الإخوة الميثاق الذي أخذوه على أنفسهم لأبيهم بالحفاظ على أخيهم، فأخذوا في التوسّل إليه والترفّق والتعطف وذلك باستبداله بالأخ الأكبر، ولكن يوسف أبى وقال لا نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده، ثمّ خلصوا يتناجون فيما بينهم: لقد أخلفوا الوعد وفرّطوا في بنيامين مثلما فرطوا في يوسف من قبل، فرجعوا إلى أبيهم مرّة أخرى فأخبروه أنّ ابنه سرق واشهدوا على أنفسهم القرية والعير التي كانت معهم فلم يصدّقهم يعقوب وظنّ أنّهم فعلوا به ما فعلوا بيوسف، فحزن الأب كثيرا وتذكّر يوسف وأخذ يبكي حتّى ابيضّت عيناه وهو كظيم من كثرة حزنه وأسفه، فراوده أبناؤه بالرّفق على نفسه فردّ عليهم أنّه لا يشكو حزنه لأحد منهم بل يشكوه إلى الله صاحب الفرج والمخرج، وطلب منهم إحضار يوسف وبنيامين والبحث عنهم، فالفرج آت بعد الشدّة لا محالة.

16- لقاء يوسف بأبويه وتحقق الرؤيا:

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ

[1]– سورة يوسف، الآيات 69....87.

أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾[1].

رجع إخوة يوسف قاصدين العودة بأخيه بنيامين بعدما ضاق بهم الحال من شدّة الجدب وكثرة العيال، فلمّا رأى ما هو فيه من الحال وما نابهم من الضّعف والجوع تعرّف إليهم وعطف عليهم، فتعجّبوا كل العجب، فقال: أنا يوسف الذي صنعتم به ما صنعتم وهذا أخيه وقد أحسن الله إلينا وآوانا فعرف إخوته أنّ الله أعطاه ما لم يعطهم فندموا على فعلتم، فردّ يوسف –عليه السلام– أمرهم إلى الله هو يغفر لكم ثمّ أمرهم بالذّهاب بقميصه إلى أبيهم

[1]– سورة يوسف، الآيات 88....100.

ويضعوه فوق عينيه كي يرتدّ إليه بصره، فبمجرّد ما جاءوه بالقميص وألقوه على وجه يعقوب رجع بصره فورا بعدما كان ضريرا، ففرح يعقوب واستبشر خيرا في يوسف فذهب الكلّ إليه، فلمّا وصلوا اجتمع يوسف بأبويه وحدهما دون إخوته ورفعهما على العرش وأجلسهما على سريره عندها سجد له أبواه واخوته الأحد عشر تعظيما وتكريما، عندها قال يوسف لأبيه: هذا تعبير ما كنت قصصته عليك من رؤيتي وأمرتني بكتمانها بحيث أخرجني الله من الهمّ والضّيق وجعلني حاكما نافذا الكلمة في مصر، فهو مسبّب الأسباب ومسيّرها والعليم الحكيم، عندها وعى يوسف الصدّيق الله أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصّالحين الأوائل وهم إبراهيم واسماعيل وغيرهم.

ثانيا: القصة الشعبية.

إنّ للإسلام أثر هام في إثراء النزعة القصصية عند الباحث، حيث جاءت بعض القصص القرآنية ذات بناء فنّي رائع، ممّا أدّى بالقصاص إلى إعادة نسجها بما يتوافق والمتلقي والعامة من النّاس، وكان منهم من يحافظ على النصّ الأصلي ومنهم من يضيف عناصر حديثة جديدة، ومنهم من يتجاوزها ويحذف أخرى "ورغم أنّ الدّيانة الإسلامية قائمة على التّوحيد فإنها لا تزال تعيش أفكارا دينية قديمة ورثت عن الأسلاف الوثنين، فكلّ عنصر من عناصر الدّيانات البائدة اليوم سابق الوجود على استعماله في الخرافة"[1].

لقد شارك هؤلاء المبدعين في إثراء الخيال الشعبي بالقصص الديني المشبع بالخوارق ومن جملة هذه القصص نجد قصّة يوسف عليه السلام حيث حظيت بالاهتمام والدّراسة أكثر من غيرها، ومن بين الذين اهتموا بهذه القصّة نجد المطرب الشعبي عبد المالك[2]، الذي حوّل

[1]– فلادمير بروب، مورفولوجية الخرافة/ ترجمة إبراهيم الخطيب/ الشركة المغربية للناشرين المتحدين/ الطبعة الأولى/ المغرب 1986/ ص 68.

[2]– عبد المالك إمنصورن هو مطرب شعبي ولد يوم 20 أكتوبر 1955بالمدنية في الجزائر العاصمة ،كابد أوضاعا مزرية منذ صغره لكنه أتم دراسته وتحصل على البكالوريا وبعد تخرجه تقلد منصب رئيس مصلحة المحاسبة بالشركة الوطنية=

القصة من نصّ نثري إلى قصيدة شعرية حيث أطلق العنان لخياله فراح يحلّق في أجواء القصّة محافظا على المكوّنات الأساسية للقصة الأمّ مضيفا إليها مكوّنات تقديميه، لم ترد في النصّ القرآني، نذكرها فيما يلي:

1- الهجرة:

تبدأ القصّة الشعبية بهجرة يعقوب من بيته نحو فلسطين أين تقطن خالته وذلك بعد الصّلاة والسلام على محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم وذكر الخلفاء الراشدين والثناء عليهم ثمّ تليهم البسملة ثمّ ذكر مصدر هذه القصّة ومن أين استقى أحداثها حيث يقول:

نَبْدَا بْيَعْقُوبْ هْجَرْ عَلَى خُوه مْنْ الدَّارْ ❁ وْمْشَا لِفَلَسْطِينْ عَنْدْ خَالْتُو زَارْهَا

2- زواج يعقوب:

يواصل القاصّ الحديث عن يعقوب وما عاناه حتى كبر وتزوّج من ابنة خالته حيث يقول:

رَحْبَتْ بِيهْ خَالْتُو ـبدُون غْيَارْ ❁ حَتَى اَكْبَرْ وَتَزَوَجْ برَحِيلْ بَنْتْهَا

3- ولادة يوسف ثم بنيامين:

بعد زواج يعقوب من ابنة خالته راحيل رزقهما الله عز وجل يوسف حيث ولد لهما ويعقوب غائب عنها، فيقول القاص:

رَاحِيلْ زَيْدَتْ يُوسَفْ يَا حُضَّارْ[1] ❁ يَعْقُوبْ غَايَبْ فِالشَّامْ يْتَاجَرْ فَسْوَاقْهَا

=للكهرباء والغاز ثم ولج الى عالم الفن سنة 1980 ،كان مولعا بالطبوع الغنائية الأصيلة كاشعبي –المالوف –المديح الديني والحوزي"له رصيد فني ثري يضم 45 أغنية من كلمته وألحانه ،توفي في 07 فيفري سنة2010.

[1]– حضار: أي الحضور.

مْهَاجَرْ على بِيتُو مَا عَنْدُوشْ خْبَارْ ❁ مَا عَلَمْ فْدَاكْ اليُوم نْهَار نْفَاسْهَا

ففرح يعقوب بهبة الله فحمد الله وشكره ودعاه بأن يبعد عنه الشّقاء والعناء في الدّنيا، وبعد عام ولد بنيامين وازدان فراشهم به، يقول القاصّ:

عَامْ منْ بَعْدْ زَادْ بَنْيَامِين خُوه يَا حُضَّار ❁ فَرْحَتْ بِيهْ رَاحِيلْ وفْرَحْ زَوْجْهَا

4- وفاة راحيل:

بعد بلوغ يوسف ست سنوات توفّيت والدته راحيل ويبرز هذا في قول القاص التالي:

يُوسُفْ بَلَغَ سِت سْنِينْ في لعْمَارْ ❁ تْوَفَاةْ رَاحِيل يَمَاهْ ونْتْهَاتْ يَامْهَا

لَحْزَنْ سِيدْنَا يَعْقُوب وَدَمْعُو يَسِيلْ كِلْمْطَارْ ❁ وْدَعَا الله فِي دَار النَّعيمْ يَسْكَنْهَا

5- زواج يعقوب الثاني:

وبعد وفاة راحيل تكفّل يعقوب بتربية أبناءه، فأصبح لزاما عليه أن يجد امرأة ترعى بنيه وتحضنهما وتربيهما وتعوضهما حنان وعطف الأمّ الراحلة، يقول القاصّ:

يَعْقُوب مَا قْدَرْ يْقُومْ باليْتَامَى حَارْ ❁ صَابْ مْرَا مِن أَرْض كَنْعَانْ وخْذَاهَا

قَالْهَا اتْهَلاَيْلِي فِهَادْ اليْتَامَى الصْغَارْ ❁ حَشَّمْهَا بِالله وبِيهُمْ كَلَّفْهَا

6- الرؤيا:

لمّا بلغ يوسف اثنا عشر عاما رأى في منامه إحدى عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين يقول القاصّ في هذا الصّدد:

سِيدْنَا يُوسَفْ ابْلَغْ طْنَاشْ لْعَامْ اكْبَرْ وَاشْطَارْ ❁ وْشَافْ احْدَاشْ لْكَوْكَبْ وْشَمْسْ وقْمَارْهَا

فَلْمَنَامْ لِيهْ سَاجْدِينْ ورَاكْعِينْ لَلْمَسْرَارْ[1] ❁ قْصَدْبَابَاهْ عَنْ دِيكْ الرُّؤْيَا عَادْهَا

7- تفسير يعقوب للرؤيا:

استيقظ يوسف من منامه مذعورا وحائرا وهو لا يزال طفلا لا يعلم شيئا، ولا يفقه علما بالرؤيا، فتوجّه إلى أبيه وقصّ عليه الرؤيا ففسّر له الرؤيا وأوصاه بكتمان الأمر وعدم إخبار إخوته بهذا السرّ العظيم:

قَالُّوا يَا وْلِيدِي بَالاَكْ تْبُوحْ بَالأَسْرَارْ ❁ ونْوَصِّيكْ عْلَى خَاوْتَكْ لَيَسَّمْعُوهَا

8- حقد الإخوة والتآمر عليه:

لمّا سمع الإخوة برؤيا يوسف تآمروا عليه وأجمعوا على قتله، فقصدوا أباهم وتحايلوا عليه قصد إرسال يوسف معهم بغرض اللعب وتعليمه الفروسية والصّيد، يقول القاصّ:

سَمْعُوا خَاوْتُوا بَلْمَنَامْ وخْذَاوْ عْلِيهْ قْرَارْ ❁ عَزْمُوا يَقْتُلوا هَكْذَا الأَمْرْ يَنْتْهَا

صَابُوا حَرْفَة لْبَابَاهُمْ وقَالُوا بْتَنْكَارْ ❁ يُوسَفْ نَدُّوهْ ونْعَلْمُوهْ صْيَادَا وحْكَامْهَا

قَالْهُمْ خَايَفْ يَاكْلُو دِيبْ لْغَابَة الْمَشْرَارْ ❁ وتَرْجْعُوا بْلاَبِيهْ كِيتُومَا نَنْسَلهَا

قَالُوا يَا بَابَا مَا تْخَافْشْ مَلْخْطَارْ ❁ لاَزَمْ عْلِيهْ أَمْرْ الصْيَادَا يَقْرَلهَا

يَا بَابَا حَشَّمْنَاكْ بَاللهْ مُولاَنَا الْقَهَّارْ ❁ نَضَّمْنُوهْ وحْيَاتُو مَلْبْلاَ نَحْمُوهَا

قَالْهُمْ خُذُوهْ وعْلِيهْ خَلُّو مْلِيحْ لَبْصَارْ ❁ خَايَفْ مَنْ غَدْرْ دِيكْ صْيَادَا وخْطَارْهَا

[1]– المسرار: كثير الجمال.

9- يوسف في البئر:

تمكّن الإخوة من إقناع أبيهم باصطحاب يوسف معهم، فركبوا خيولهم وتوجّهوا نحو الغابة وهم ينوون الغدر بيوسف، فأخذوا في سبّه وشتمه وضربه ثمّ رموا به في البئر، يقول القاص:

رَكْبُوا عْلَى الخْيُولْ ومْعَاهُمْ يُوسَفْ لْمَسْرَارْ ❁ فَالطْرِيقْ اتَّافْقُوا عْلِيهْ بَاشْ أَمْرُو يَنْتْهَا

مْنِينْ وَصلُوا لَلْغَابَة وبَعْدُوا عَن الدَّارْ ❁ سْوَادَتْ قْلُوبْ خَاوْتُو وقْوَاتْ حْمَاقْهَا

قَالُولُو نْزَلْ نَفْنُوكْ ونَرْمُوكْ لَلْقِطَارْ ❁ تَرْتَاحْ قْلُوبْنَا مَن الغِيرَة ومْحَانْهَا

رَبْطُوهْ ويْعَذْبُوا فِيهْ ويَضَّرْبُوهْ بَلْحْجَارْ ❁ رْمَاوَهْ في بِيرْ وقَالُوا لْمُوتْ ثُمَّ تَلْقَاهَا

10- رجوع الإخوة بدون يوسف:

أجمع الإخوة على أمرهم فنفذوه، ثمّ رجعوا بكيا إلى أبيهم وقالوا بأنّه قد أكله الذّئب فيما كنّا في غفلة عنه، وجاءوا بقميصه ملطخ بالدّماء كي يكون سببا في إقناع يعقوب، يقول القاص:

وَلاَّوْ خَاوْتُوا لْيَعْقُوبْ بَاكْيِينْ بَلْجْهَارْ ❁ وقَالُوا يَا بَابَا خْبَارْ يُوسَفْ كِيفْ نْعِيدُوهَا

كْلاَهْ دِيبْ لْغَابَة وَهْرَبْ بِينْ لَسْجَارْ[1] ❁ خَلاَّ غِيلْ قْمَجْتُو لِيكْ جَبْنَاهَا

بَاشْ تْكُونْ لِيكْ دْلِيلْ لِيهْ مَاذَا صَارْ ❁ سْهِينَا عْلَى يُوسَفْ ووْصَايْتَكْ نْسِينَاهَا

تْغَاشَا يَعْقُوبْ وبْدَا يْنُوحْ ودْمُوعُو غْزَارْ ❁ غْرَقْ خْيَالُو وحْيَاتُو لَلْحُزْنْ فْنَاهَا

لْقَوَّتْ مَن فْرَاقْ وْلِيدُو يُوسَفْ رَجْعُلُو مْرَارْ ❁ وعْيُونُو مَنْ لْبْكَا الظْلاَمْ كْسَاهَا

[1]– لسجار: الأشجار.

11- القافلة السيّارة:

بعد ما مكث يوسف في البئر عدّة أيام، جاءت إحدى القوافل ومرّت على البئر لتسقي منه ماء، وعندما رمى أحدهم بدلوه تعلّق يوسف به فصعد معه وخرج من البئر، فأخذته هاته القافلة تبغي من وراءه بيعا وتجارة، يقول القاص الشعبي في هذا الصّدد:

يُوسَفْ قْعَدْ فَلْبِيرْ ثَلْثْ لْيَالِي ونْهَارْ ❁ وفي رَابَعْ جَازَتْ لْقَافْلَة بَخْيُولْهَا

شَافُو لْبِيرْ وقَالُوا نَرْتَاحُو مَلْسْفَارْ ❁ هَادِي أَرْضْ اللهْ نَشَّرْبُو مَنْ مَاهَا

رْمَاوْ الدَّلْوْ يْطَلْعُو أَلْمَا بْلا غْبَارْ ❁ طَلْعُو الدَّلْوْ ويُوسَفْ مْعَلَّقْ فِيهَا

سُبْحَانْ اللهْ الذِي لا تَخْفَاهْ سْرَارْ ❁ نَجَّا يُوسَفْ مَن لْمُوتْ وحْيَاتُو حْمَاهَا

دَهْشُو حِينْ ظْهَرْ يُوسَفْ لْمَسْرَارْ ❁ قَالُوا حْنَا سَلَّكْنَاكْ مَن لْبِيرْ وعْمَاقْهَا

نَدِّيوَكْ لْمَاصَرْ ونْبِيعُوكْ بَالدِّينَارْ ❁ ولا بْشِي دْرَاهَمْ إِذَا كُنْتْ سِوَاهَا

وَصْلُوا لْمَاصَرْ فَالسُّوقْ بَرْحُو بْلَجْهَارْ ❁ شْرَاهْ لَعْزِيزْ والقَافْلَة سَارَتْ فْحَالْهَا

12- يوسف في قصر العزيز:

بيع يوسف كالعبد بيع الرّقيق في الأسواق واشتراه العزيز بثمن زهيد ثمّ أخذه إلى قصره خادما له ولزوجته، يقول القاصّ في هذا الصّدد:

بِثْمَنْ دْرَلهَمْ خَلْصُو[1] وَدَّاهْ لَلدَّارْ ❁ رَايَسْ الوِزَارَة فِي مَاصَرْ وحُكَّامْهَا

قَالْ لْزَوْجْتُو لَغْلاَمْ شْرِيتُو هَادْ نْهَارْ ❁ أَمْرِيهْ وشْرُوطَكْ لاَزَمْ عْلِيهْ يْلَبِّيهَا

فَرْحَتْ زُولِيخَة زَوْجَةْ لْعَزِيزْ يَا حُضَّارْ ❁ زِينْ وْجَمَالْ يُوسَفْ فِي دَهْشَة خَلاَّهَا

[1]– خلصوه: اشتراه.

قْعَدْ يُوسَفْ خْذِيمْ لِيهُمْ بِدُونْ شِعَارْ ❁ حَتَّى بْلُغْ خَمْسَة وْعِشْرُونْ عَامْ بْتْمَامْهَا

13- يوسف وامرأة العزيز:

ظلّ يوسف في قصر العزيز حتى بلغ مبلغ الرّجل واكتملت قوته وفتوته وزاد جماله وحسنة وبهاءه ممّا جعله محطّ أنظار الكلّ من نساء ورجال ومن ثمّة شدّ انتباه زوجة العزيز، فعشقته وراودته عن نفسه وطلبت منه ما لا يليق بها وبمقامها، فغلّقت عليه الأبواب وحاولت إيقاعه في الفحشاء والزّنا لكنّ المولى عزّ وجل عصمه من الخطأ وبرّأه من مكر النساء وغدرها، فوقعت زوليخا في الفضيحة والعار، يقول القاص ما يلي:

زِينْ يُوسَفْ قْوَا ويَسْلَبْ جْمِيعْ الأَنْظَارْ ❁ سْلَبْ مَرْتْ لْعَزِيزْ ونَسَّاهَا فِي شْغَالْهَا

جَالْسَة قُدَّامُو و تْرَاقَبْ فِيهْ طُولْ النَّهَارْ ❁ تْكَلْمُو بَلْمْعَانِي وتْعَبَّرْلُو بَشْوَاقْهَا

حَتَّى وَصْلَتْ وِينْ غْوَاهَا بْلِيسْ لْغَدَّارْ ❁ بَلْفَحْشَى وَلْمُنْكُرْ عْلَى يُوسَفْ آمَرْهَا

سِيدْنَا يُوسَفْ لْعَنْ بْلِيسْ لْمَشْرَارْ ❁ ـتَابَتْ زُولِيخَة عْلَى فْعَالْهَا وَنْهَاهَا

مْنَ الْحَشْمَة وَجْهْ يُوسَفْ أَدْبَالْ وَاصْفَارْ ❁ خَايَفْ مْنَ اللهْ وَلْفْظِيحَة وَخْلاَصْهَا

حَبْ يَخْرُجْ مَانَعْ وْفَاتَحْ بَابْ الدَّارْ ❁ شَدَّتُو مْنَـلْخَلْفْ وَقْمَجْتُو[1] قَطْعَتْهَا

حِينْ خْرَجْ مْنَ الْبَابْ وْهَارَبْ مْنَ لْعَارْ ❁ يُوسُفْ صَابْ قُدَّامُو لْوَزِيرْ زُوجْهَا

قَالَتْ زُولِيخَا هَادْ الرَّاجَلْ غَدَّارْ ❁ رَادْ يَلْعَبْ بْشَرَافِي وَحْيَاتِي يْحَطَّمْهَا

قَالْ يُوسَفْ نَقْسَمْ بَاللهْ مُولاَنَا الْقَهَّارْ ❁ لَّنَا بَرِيءْ مَنْ زَوْجْتَكْ وخَطْيَانْهَا

لْوَزِيرْ تْوَسْوَسْ ورَكْبُو الشَّكّْ وْحَارْ ❁ قَالْ نْشُوفْ لْحَكِيمْ عْلَى زُوجْتَكْ وقْضَاهَا

[1]– قمجتو: قميصه.

14- ظهور براءة يوسف:

لقد راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه ولمّا انكشفت أوقعت الأمر كلّه على يوسف، واتهمته بالغدر والخيانة لكن الله كان مع المحسنين وأظهر براءة يوسف ونزاهته من السّوء والزنا، يقول القاصّ:

ـقَالْ جِيبُولِي يُوسَفْ فَلْحِينْ كَانْ حْضَارْ ❁ لَقْمَجَّة مْقَطْعَة مَن خَلْفْ لْحَكِيمْ شَافْهَا

ـقَالْ لْحَكِيمْ لَلْوَزِيرْ خُوذُو هَادْ لَخْيَارْ ❁ هَادَا دَلِيلْ لْقَضِيَّة وَقْرَارْهَا

يُوسَفْ كَانْ هَارَبْ مْنَ الْبْلاَ خَارَجْ مْنَ الدَّارْ ❁ وزُوجْتَكْ مَسْكَاتُو مْنَ لْقْمَجَّة قَطْعَتْهَا

* * * * * * * * * * * *

رَاهْ بَرِيءْ مَن عْمَالُو مَا عْمَلْ حَتَّى عَارْ ❁ زُوجْتَكْ هِيَ الظَّالْمَة وَبْلِيسْ سْبَابْهَا

دَاكْ الزُّوجْ رَاحْ لْعَنْدْ ـيُوسَفْ ـهَدَّارْ[1] ❁ اكْتُمْ سَرْ زُولِيخَة بَالاَكْ تَفْضَحْهَا

ورَاحْ ـلْزُوجْتُو قَالْهَا ادْعَي بِسْتِغْفَارْ ❁ ونَبَّهَا عْلَى ذَاكْ الذَّنْبْ وخَطْيَانْهَا

15- النسوة:

شاعت أخبار فعلة زوليخة مع يوسف وانفضح أمر أنّها تعشق خادمها وقد أرادت به سوءا، فأخذن في الحديث عنها وعن عارها الذي اقترفته، فجهّزت لهنّ مأدبة عشاء ودعتهنّ عندها، قاصدة تبيان يوسف لهنّ، ومعرفتهنّ له واحساسهنّ بما أحسّت عندما رأته، يقول القاصّ ما يلي:

اذْكْشَفْ دَاكْ السَّرْ وْشَاعَتْ لَخْبَارْ ❁ لِفَضْحَتْ زُولِيخَة بِينْ أَهْلْهَا وْنَاسْهَا

لَخْدِيمَة خَبْرَتْ زُولِيخَة وْقَالَتْ مَاذَا صَارْ ❁ النَّاسْ رَاهِي كَثْرَتْ عْلِيكْ حْدِيثْهَا

[1]– هدّار: ذاهب وهو يتكلّم.

النَّسْوَانْ قَالُوا عْلِيكْ هَادَا عَيْبْ وْعَارْ ❁ كِيفْ مَرْتْ[1] لْوَزِيرْ تَعْشَقْ فِي خْدِيمْهَا

قَالَتْ زُولِيخَا لَلنْسَا آهْ يَا حُبَّارْ ❁ للِّيلَة يَلْزَمْ تْجِبُو لْبِتِي وَنْشُوفْهَا

وَنْعِيدَلْهَا سَبْتِي فِي عَشْقْ لَخْمَارْ ❁ وَمْحَبْتِي لْيُوسَفْ مَا لْقِيتْشْ حْدُودْهَا

حَضْرُو لِيهَا نَسْوَانْ شَابَّاتْ[2] وَصْغَارْ ❁ قَالُوا نْحَشْمُو زُولِيخَة وْ نَكَسْفُوهَا

رَحْبَتْ بَنْسَا بَلْكَرَامَة وْلَعْتِبَارْ ❁ وَالْحَقْدْ امْلَكْ قَلْبْ زُولِيخَة فْنَاهَا

ومَنْ بَعْدْ مَا كَرْمَتْهُم بَالطْعَامْ والأَتْمَارْ ❁ قَالَتْ خُذُو التُّفَّاحْ رِيحْتُو يَا مَحْلاَهَا

قَالَتْ النْسَا كِيفْ نَاكْلُو التُّفَّاحْ بْلاَ تَقْشَارْ ❁ اعْطَاتْ زُولِيخَة لَمْوَاسْ[3] قَاطْعِينْ لَضْيَافْهَا

آمْرَتْ يُوسَفْ وقَالَتْ ادْخُلْ يَا مَسْرَارْ ❁ ادْخُولْ يُوسَفْ بَاهِي بْلَبْسَة يَا مَحْلاَهَا

دَهْشُو حِينْ شَافُوا دَاكْ الزِّينْ السَّحَّارْ ❁ قَطْعُو يَدِّيهُمْ ودِيكْ الْفَاكْيَة[4] نْسَاوْهَا

قَالَتْ زُولِيخَة آيَا عَذْرَاتْ كْبَارْ ❁ انْظُرُوا مَاجْرَا بْيَدِّيكُمْ الدَّمْ كْسَلهَا

عْلِيهْ قَطَّعْتُو لْحَمْكُم وْمَا جَبْتُو[5] خْبَارْ ❁ ونْتُومْ لُمْتُو زُولِيخَة كِبْلِيسْ غْوَاهَا

قَالُوا سُبْحَانَ اللهْ عْلَى الزِّينْ السَّحَّارْ ❁ هَادَا مَلاَكْ جَا مْنَ الْجَنَّة وَرْيَاضْهَا

للنِّسْوَانْ قَالُوا لْزُولِيخَا آهْ يَا سَتَّارْ ❁ أَنْتِ مَا عْلِيكْ لُومْ وَاحْنَا قْلُوبْنَا سْبَاهَا[6]

نَطقُوا النِّسْوَانْ لْيُوسَفْ وْقَالُوا بَلْجْهَارْ ❁ وِينْ تْعَدِّي حْيَاتَكْ حْنَايَا مْعَاهَا

نَهْجَرْ وَمْعَاكْ يَا لَوْ فَلْبَرْ وَلْبْحَارْ ❁ نَفْدُولِيكْ حْيَاتْنَا وأَنْتَ مُولاَهَا

---

[1]– مرت: زوجة.

[2]– شابات: نساء شابات وصغار

[3]– لمواس: السكاكين.

[4]– الفاكية: الفاكهة.

[5]– ماجبتو : لم تأتوا

[6]– سباها: أسرها وملكها.

16- دخول يوسف السجن:

رفض نبي الله يوسف طاعة زوليخا في معصية المولى عزّ وجل، وعزم على عدم الخضوع لها وأوامرها، فقرّر دخول السّجن وعدم طاعتها، يقول القاصّ:

قَالَتْ زُولِيخَة لْيُوسَفْ آهْ يَا مَسْرَارْ تَدْخُلْ السِّجْنْ والاَّ النْسَا تْعِيشْ مْعَاهَا

قَالْ يُوسَفْ السِّجْنْ هُوَ لِذَخْتَارْ ❁ يَاكْ الأَنْبِيَاءْ مُحَالْ تَعْصِي مُولاَهَا

قَالَتْ الزَّوْجَة لَلْعَزِيزْ خُوذْ قَرَارْ ❁ أَسْجَنْ يُوسَفْ وَلْعَضْرَاتْ[1] تَبْرَا مَن هْوَالْهَا

حَتَّى نَنْسَاوَهْ لْكُولْ وتْزُولْ لَضْرَارْ ❁ ويْكَفْ عْلِينَا لَمْلاَمْ و يْزُولْ حْدِيثْهَا

سَجْنُو سِيدْنَا يُوسَفْ ودَارُوهْ فِي حِصَارْ ❁ زِينْ يُوسَفْ نَوَّرْ السِّجْنْ مَن ظْلاَمْهَا

17- يوسف وصاحبي السّجن:

سجن يوسف –عليه السلام– ظلما وافتراء، فحمد الله على ستره له وابعاده عن النسوة وكيدهنّ، فأخذ يدعو الله ويدعو السجناء إلى الدّين والإيمان بالله الواحد القهّار، وأصبح عليما خبيرا بالتّفسير للرؤى والمعاني، وكان معهم في السّجن فتيان، فرأى كل واحد منهما مناما، فطلبوا منه تعبير وتفسير رؤياهم، فكان لهم ما طلبوا، يقول القاصّ في هذا الصّدد:

فِي دَاكْ السِّجْنْ دَخْلُوا لِيهْ زُوجْ[2] رْجَالْ كْبَارْ ❁ خَدَّامِينْ السُّلْطَانْ فِي مَاكَلْتُو وَشْرَابْهَا

وَاحَدْ مِنْهُمْ خَبَّازْ نَامْ رَاسُو لَطْيَارْ ❁ يَاكْلُو فَلْخُبْزْ وتْغَذِّي نَفْسْهَا

وَالثَّانِي السَّاقِي شَافْ لْخَمْرْ فِيدْ وَعْصَارْ ❁ جَالِيهْ السُّلْطَانْ بْدَاتُو[3] بَشْرَه بْسْقَاهَا

---

[1]– العضدرات: العذروات، الفاتنات الحسنوات.

[2]– زوج: اثنان

[3]– بداتو: بنفسه

ـلـثْنِينْ حَتُّو يُوسَفْ بَلِّي جْرَا وْصَارْ ❁ ـقَالُوا ـفَسْرَنَّا الرُّؤْيَا أَشْ حْسَابْهَا

قَالْ ـيَا صْحَابِي خُذُوا التَّفْسِيرْ وَلْخْيَارْ ❁ ـهَادِي لُمُورُ اللهْ لاَزَمْ ـتَرْضَاوْهَا

ـقَالْ لَلسَّاقِي رَبِّي يْرْزْقُكْ ـيَاخَمَّارْ ❁ تَنْجَا وتَرْجَعْلَكْ السُّلْطَة وحْكَامْهَا

وقَالْ لَلْخَبَّازْ ـأَنْتَ رَادْ عْلِيكْ الْقَهَّارْ ❁ مَكْتُوبْ عْلِيكْ تْمُوتْ هَادَا هُوَ حْسَابْهَا

يُوسَفْ ـقَالْ لَلسَّاقِي ـنَرْسْلَكْ بَشَّارْ ❁ وَلْعَنْدْ الإِمَامْ وعَنْدْ الْمَلِكْ دِي لَخْبَارْ وعِيدْهَا

لقد تحققت تفسيرات يوسف للرؤى حيث قتل الخباز حتى أكلت الطّير من رأسه، وخرج الساقي ورجع إلى عمله في عرش الملك، لكنه نسي وصاية يوسف التي أمره بإبلاغها للملك، وظلّ يوسف مسجونا حتى يفرج عنه.

18- نزول جبريل:

طال سجن يوسف ومرّت السنين على سجنه ولم يتذكّره أحد، فزاد همّه وحزنه، حتى نزل جبريل –عليه السلام– لينبئه بموعد خروجه من السّجن والفرج القريب، يقول القاص:

السَّاقِي وَلَّى لَلسُّلْطَانْ وَانْسَى لَخْبَارْ تَرْكُو ❁ فَالسِّجْنْ وَحْيَاة يُوسَفْ خَلاَّهَا

قَاعَدْ مَنْسِي وَحْدَانِي حَدْ مَا جَبْلُو لَخْبَارْ ❁ سَتْ سْنِينْ بَلْعْدَادْ فَالسِّجْنْ عَدْهَا

حتى انزل سيدنا جبريل وعليه كانلو بشار قالو عن قريب تخرج من السّجن وحصارها

19- رؤيا الملك:

رأى الملك في منامه رؤيا غريبة ومدهشة، حيث أيقظته مذعورا مذهولا، فاستدعى كلّ المفسّرين والمعبرين في مصر لتفسيرها، لكن ولا واحد منهم توسّل إلى تعبيرها وطمأنة الملك، يقول القاص:

سُلْطَانْ مَاصَرْ شَافْ لرُّؤْيَا عَقْلُو حَارْ ❁ وَادْ النِّيلْ الْكُولْ نَاشَفْ مَنْ مَاهَا

خَرْجُو مَنْدَاكْ لْوَادْ النَّاشَفْ[1] سَبْعْ بْقَارْ ❁ مَالْكِينْ مَن لقُوَّة وَالصَّحَّة بَكْمَالْهَا

وخَرْجُو مَنْ دَاكْ لْوَادْ للنَّاشَفْ سَبْعْ بْقَارْ ❁ لْكُولْ ضْعَافْ مَن لْجُوعْ وضْعَافْ مَن جْسَادْهَا

دُوكْ لَضْعَافْ مَن لْجُوعْ يَاكْلُو فَلْكْبَارْ ❁ تَقْطَعْ فِي كُمْهُمْ وتَشْرَبْ مَن دَمّهَا

ونْبَتْ في دَاكْ النِّيلْ سَبْعْ سْنَابَلْ خْضَارْ ❁ وسَبْعْ سْنَابَلْ يَابْسَة جَاتْ وَكْلاَتْهَا

لَمْ جْمِيعْ المُفَسِّرِينْ كْبَارْ وَصْغَارْ ❁ ولَمْ جْمِيعْ الْعُلَمَاءْ وَلْفُقْهَاءْ

دَارْ لِيهُمْ حَضْرَا وقَالْهُم خُوذُوهَا لَخْبَارْ ❁ عَادْ لِيهُمْ لَمْنَامْ وقَالْهُمْ فَسْرُوهَا

حَارُوا فِي المْنَامْ دُوكْ الحُضَّارْ ❁ حَدْ مَا عْرَفْ يْفَسَّرْ آشْ مَعْنَاهَا

عندها فقط تذكّر الناجي من السّجن يوسف فأخبر الملك، فأمر الملك بإخراج يوسف من السّجن واحضاره إلى القصر قصد تفسير رؤياه، يقول القاص:

السَّاقِي جَا فْبَلُّو يُوسَفْ تَذْكَارْ ❁ قَالْ لَلسُّلْطَانْ كَايَنْ[2] مَنْ يَعْرَفْلْهَا

لَكِنْ رُوحْ سَالْ عْلِيهْ وْشُوفُوهَادْ النْهَارْ ❁ وقْضَايْتُو لْيُومْ يَلْزَمْ يْتَمْ حْسَابْهَا

دَاكْ السَّاقِي زَارْ يُوسَفْ وَاطْلُبْ عْذَارْ ❁ قَالُو اسْمَعْ لِي وْصَايْتَكْ مُدَّة نْسِيتْهَا

حَتَّى لْيُومْ جِيتْ فِي بَالِي وْجَبَتْنِي فَلْفْكَارْ ❁ لأَنَّ لْمَلِكْ وَحْدْ للرُّؤْيَا نَامْهَا

حَدْ مَا نْجَمْ فِي دَاكْ لَمْنَامْ يَأْتِيهْ بَخْبَارْ ❁ ورَاهِي غَلبَتْ مَنْ عَقْلُو لْكُولْ نْسَاهَا

فَكْرُو سِيدْنَا يُوسَفْ فِي مَاذَا نَامْ دْهَشْ ❁ وْحَارْ وراحْ يَجْرِي لَلسُّلْطَانْ وَدَّالُو خْبَارْهَا

تْعَجَّبْ السُّلْطَانْ بْدُوكْ لَخْبَارْ حْكَمْ جْمِيعْ الوُزَرَا لِيهْ أَرْسَلْهَا

---

[1]– الواد الناشف: النهر الذي ليس فيه ماء.

[2]– كاين: هناك من.

20- خروج يوسف من السّجن:

أمر الملك بإخراج يوسف من السجن ولكن رفض حتى تظهر براءته ويُعطى حقّه، فأمرهم بسؤال النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ وزوليخا عن الأمر، يقول القاص في هذا الصّدد:

رَاحُو بَاشْ يْجِيبُوهْ في لَقْصَرْ يْكُونْ حْضَارْ ❁ دَخْلُو لِيهْ مَا بْغَى يُوسَفْ يَخْرُجْ مَنْهَا

قَالْ لِيهُمْ رُوحُو لَلسُّلْطَانْ وَدُّولُوهَادْ لَخْبَارْ ❁ لَّنَا بَرِيءْ ويَلْزَمْ نَظْهَرْ حَقْهَا

حِينْ ظَهَرْ بَرَاءْتُو لَلنَّاسْ الحُضَّارْ ❁ وقُدَّامْ لنِّسْوَانْ مَن قَطْعَتْ يَدْهَا

قَالَتْ زُولِيخَة أَنَا سْبَابُو فِي دَلْغْدَارْ ❁ لأن ظْهَرْ لْحَقّْ لَّنَا مَا حْمَلْتْهَا

خْرَجْ مْنَ السِّجْنْ وَصْحَابُو بَاكْيِينْ جْهَارْ ❁ وَدْعَا اللهْ الْغَالِي يَعتَقْ قْلُوبْهَا

اسْتَقْبَلْ بِيهْ السُّلْطَانْ دْهَشْ فِي زِينُو حَارْ ❁ وْقَالْ مَا عْلِيهُمْ لُومْ دُوكْ نَسْوَانْ مَن قَطْعَتْ يَدْهَا

حكى الملك ليوسف ما رآه من رؤيا في منامه ففسّرها له قائلا:

بَعْضْ يَامْ يْجُوكْ سَبْعْ سْنِينْ غِيرْ بْشَارْ ❁ لْخِيرْ يَمْلا بْلاَدَكْ وْيَكْفِي نَاسْهَا

مَنْ بَعْدْ يْجُوكْ سَبْعْ سْنِينْ لْكُولْ شْرَارْ ❁ لْجْفَافْ يْضَيَّعْ نَاسَكْ وَيْحَطَّمْ سُكَّانْهَا

لَوْمَا دِيرْ حْسَابَكْ مْلِيحْ دَاكْ النْهَارْ ❁ لتْمُوتْ أَنْتَ وْنَاسَكْ وجْيُوشَكْ بَكْمَالْهَا

21- مكافأة ملك مصر ليوسف:

ظهرت براءة يوسف فخرج من السّجن وفسّر الرؤيا للملك فقرّر الملك مكافأته ومجازاته على ما فعل، يقول القاصّ:

قَالّوا السُّلْطَانْ بَاللهْ عْلِيكْ يَا بَشَّارْ ❁ طِيعْ أَمْرِي بْغِيتْ نَجَّعْلَكْ مَسْؤُولْهَا

طَاعْ الأَمْرْ سِيدْنَا يُوسَفْ كِينْ خْذَا قْرَارْ ❁ لَمْ رْجَالْ وتَبْعَتْهُم حَتَّى نَسْوَانْهَا

اسْتَدْعَاهْ وقَالُّوا رَانِي خْذِيتْ عْلِيكْ قَرَارْ ❁ ـفَوَّضْتَكْ بَمْكَانْـلْعَزِيزْ تَاخَذْهَا

يُوسَفْ حْمَدْ وشْكَارْ مُولاَنَا لْجَبّارْ ❁ كِي صْبَحْ رَايَسْ لِوزَارَة ومْخَازَنْهَا

22- موت العزيز:

بعد عدّة شهور من المرض فارق العزيز الحياة وخلفه يوسف الصدّيق، فأصبح عزيز مصر ومالك خزائنها يقول القاص:

تَلْتْ شْهُورْ بَعْدْ مَاتْ لْعَزِيزْ يَا حُضَّارْ ❁ رَادْ اللهْـيْفَارَقْ زُولِيخَة وجَمَالْهَا

ـبْدَاـيَدَّخْلُو عْوَامْ الْخِيرْـبلا تَخْبَارْ ❁ حَصْدُو الزَّرْعْ وفِي مَخَازِنْ كْبَارْ خَبَّاوْهَا[1]

23- سنين القحط:

جاءت سنين الخير فزرعوا القمح وحصدوه، فأخذوا الذي يأكلون منه فوضعوه جانبا، أمّا الباقي فأبقوه في سنبله وخزنوه في مخازن كبرى تحسّبا للسّبع الشّداد والعجاف، فيقول القاصّ:

سَبْعْ سْنِينْ بَالتْمَامْ جَازُو بْلاَ ضْرَارْ ❁ للنَّاسْ مَتْمَتْعَا وفَارْحَا بَحْيَاتْهَا

لَحْفُو سْنِينْ الشّ ـَرْ خَرْجُو الكُلْ مْنَ دْيَارْ ❁ كْبَارْ و صْغَارْ هَايْمَة مَا لْقَاتْشْ قُوتْهَا

يُوسَفْ حَلْ بِيبَانْ[2] دُوكْ المْخَازَنْ لَكْبَارْ ❁ خَرَّجْ دُوكْ[3] الخِيرَاتْ وْيَوَزَّعْ فِيهَا

حَتَّى حَدْ مَا ضَاعْ مَنْ دُوكْ لَمْدُونْ والدْشَارْ[4] ❁ النَّاسْ للْكُولْ فَرْحَتْ لْيُوسَفْ وعْمَالْهَا

---

[1]– خباوها: دسها واحتفظ بها.

[2]– بيبان: أبواب.

[3]– دوك: تلك.

[4]– الدشار: القرى والمداشر.

24- زواج يوسف بزوليخا:

بعد أن مكّن الله ليوسف في أرض مصر، نزل جبريل وأمره بأن يتزوج بزوليخا زوجة العزيز المتوفى، حيث يقول القاص:

وِينْ جَمَالَكْ يَا زُولِيخَا غَابْ وطَارْ ❁ صْبَحْتِ عْجُوزَة وعَمْيَا قُولِي كِيفْ حَلْهَا

أَنْزَلْ جَبْرِيلْ سِيدْنَا يُوسَفْ وقَالُّوا يَا صَبَّارْ ❁ رَبِّ الْغَالِي رَاهْ أَمْرَكْ بَزْوَاجْهَا

سِيدْنَا يُوسَفْ تْزَوَّجْ بِهَا وبْرَاتْ مَلْبْصَارْ ❁ وزَلُّو عْلِيهَا لَمْحَانْ وعَادَتْ لْجَمَالْهَا

25- مجيء إخوة يوسف:

جاءت بعد سنين الخير والبركة سنين القحط والجفاف، فأتى إخوة يوسف يبغون قمحا عنده وهم في غفلة عنه، لأنّهم أتوا للكيل لا غير، يقول القاص في هذا الصّدد:

خَاوَتْ سِيدْنَا يُوسَفْ عَشْرَ الْمَاصَرْ جَاوْ زِيَّارْ ❁ طَالْبِينْ مَنْ حُكَّامْ دِيكْ لَبْلاَدْ قُوتْهَا

شَافْهُمْ سِيدْنَا يُوسَفْ عْرَفْهُمْ بْدُونْ تَنْكَارْ ❁ وهُمْ نَاسْبِينُو غَابْ لْكُلْ مَنْ بَالْهَا

نَادَى يُوسَفْ وقَالْ لْخَاوْتُو يَا حْرَارْ ❁ آشْ جَابْكُمْ لْمَاصَرْ وَاشْ تَحْتَاجُو مَنْهَا

قَالُوا بَاللهْ عْلِيكْ بَالزِّينْ لَخْمَارْ ❁ طَامْعِينْ تَعْطُونَا لْقُوتْ لَبْلاَدْنَا نَدُّوهَا

جِينَا مَنْ بْلاَدْ فِلَسْطِينْ أَهْلْ لَحْرَارْ ❁ فِي حْدَاشْ خَاوَا قَاصْدِينْ مَاصَرْ وَوْطَانْهَا

قَالْهُمْ مَانِي شُوفْ إِلاَّ عَشْرَا بَلْبْصَارْ ❁ قَالُولُو كُنَّا طْنَاشْ[1] وانْهْلَكْ وَاحَدْ فِيهَا

وْلاَخَرْ عَنْدْ بَابَانَا حَارَصْ عْلِيهْ مَا لأَخْطَارْ ❁ خَلِيفْ مَنَ الدِّيبْ يَاكْلُو وَحْيَاتُو يْفَنِّيهَا

كِمَا وْقَعْ لْخُومْ يُوسَفْ وَحْنَيَا صْغَارْ ❁ كْلاَهْ لِلدِّيبْ وَبْقَاتْ قْمَجْتُو بَالدَّمْ عْلِيهَا

[1]– طناش: اثنا عشر.

ـقَالْـبَاشْ نَتْلَكَّدْ وَنْصَدَّقْ هَادْ لْهَدَارْ ❁ جِيبُو خُوكُمْ وَ نْكَمْلُو الطْعَامْ وكِيلْهَا

26- مجيء بنيامين وحيلة يوسف للاحتفاظ به:

عند رجوع إخوة يوسف إلى يعقوب طلبوا منه أن يأخذوا أخاهم بنيامين معهم كي يزيد العزيز في كيلهم ويوفّر لهم طعامهم، فكان ذلك بعد عناء مع الأب، ولمّا وصلوا إلى مصر ثانية، احتضن يوسف بنيامين ورحّب به، وطلب منه أن يحدّثه عن كلّ ما جرى في غيابه، فلمّا علم بعمى أبيه أخبره بأنّه أخوه يوسف، فاتفقا على حيلة لبقائه عنده وهي سرقة السقاية ودسها في كيس وعتاد بنيامين، يقول القاصّ في هذا المجال:

فِي حْدَاشْ[1] رَجْعُوا لْعَنْدْيُوسَفْ لْمَسْرَارْ ❁ لْقَاوَمْـقَاعَدْـفزْرَابَة[2] أَسْعَدْ مَنْ شَافْهَا

ـيَأْمُرْـفِي خُدَّلمُوـبْدُونْـتِكْرَارْ ❁ السَّمْعْ وَالطَّاعَة قَائِمِينْ بْتَنْفَاذْهَا

قَالُولُو رَلنَا جَبْنَاـلَكْ بَنْيَامِينْ مْنَ الدَّارْ ❁ ـهَادِي أُمُورَكْـقُمْنَاـبْتَنْفَاذْهَا

رَحَّبْ سِيدْنَا يُوسَفْ بْخُوهْ بَنْيَامِينْ يَاحُضَّارْ ❁ وقَالُّو حَدَّثْنِي عْلَى فِلَسْطِينْ كِيفْ حْوَالْهَا

ـبْدَا يَحْكِي بَنْيَامِينْ عْلَى اللِّي جْرَا وجَارِ ❁ قِصَّةـيَعْقُوبْ ويُوسَفْ وْ خَاوْتُو حْكَاهَا

قَالْ بَنْيَامِينْ عْلَىـيُوسَفْ لْيَالِي صَبَّارْ ❁ ـمَنْـفْرَاقُو عْيُونْ بَابَا لَبْكَا عْمَاهَا

بْكَاـيُوسَفْ وقَالْ لِبَنْيَامِينْ كُونْ بَشَّارْ ❁ أَنَا خُوكْ ويَلْزَمْ ـهَادْـلَمْحَانْ يَنْسَاهَا

تْعَانْقُو لضتْنِينْ بَاكْيِينْ وحَامْدِينْ القَهَّارْ ❁ وارْتَاحَتْ قْلُوبْهُمْ مْنَ الفَرْحَة زَالَتْ هْوَالْهَا[3]

[1]– احداش: احدى عشر.

[2]– زرابة: كرسي الملوك.

[3]– هوالها: أهوالها ومتاعبها.

قَالْ ـيُوسَفْ بَاشْ[1] تَبْقَى عَنْدِي يَلْزَمْ تَدْبَارْ[2] ❁ ـنتَّهْمَكْ بَالسَّرِقَة وَنْشُوفْ حْسَابْهَا

السَّاقْيَة ـمْنَ ـلذْهَبْ خَيَّرْهَا وَاخْتَارْ ❁ ودَارْهَا فَشْكَارَتْ[3] ـبَنْيَامِينْ وخَبَّاهَا

27- تنفيذ يوسف لحيلته للإبقاء على بنيامين:

قرّر يوسف الصديق الاحتفاظ ببنيامين بغية معاقبة إخوته والرّجوع بدونه إلى أبيهم، وكي يحسّ بوجود يوسف ويرجع إليه الأمل من جديد ويعود إليه بصره، يقول القاصّ في هذا الصّدد:

قَالْ يُوسَفْ لَلْحُرَّاسْ قْبَلْ مَا يْسِيرُو هَادْ لَحْرَارْ ❁ فَتْشُوهُمْ سَاقْيَةْ الذْهَبْ انْسَرْقَتْ ادَّاوْهَا[4]

ـقَالْ يُوسَفْ آشْ جَزَاءْ السَّارَقْ وَلْغَدَّارْ ❁ ـفِي فِلَسْطِينْ السَّرْقَة أَشْ هُوَ عْقَابْهَا

قَالَوُا السَّرْقَة فِي فِلَسْطِينْ حَرَّمْهَا القَهَّارْ ❁ والسَّارَقْ يَخْدَمْ المَسْرُوقْ سَنَة بَكْمَالْهَا

قَالْ يُوسَفْ فَتْشُوهُمْ ـهَادَا هُوَ لْقَرَارْ ❁ والسَّارَقْ يَقْعُدْ عَنْدِي سَنَة بَتْمَامْهَا

فَتْشُوهُمْ والسَّاقْيَة ـمَالْقَاوَلْهَاشْ لَّثَرْ ❁ إلاَّ بَنْيَامِين لِي نْجَا ـمَنْ تَفْتَاشْهَا

ـفَتْشُو بَنْيَامِينْ والسَّاقْيَة بَانَتْ جْهَارْ ❁ فَرْحُو خَاوْتُو وَلْفْضِيحَة لِيهْ تْمَنَّاوْهَا

قَلُّو مُحَالْ نَتَّرْكُو بَنْيَامِينْ يَا لْمَسْرَارْ ❁ ـلَوْ يَسْمَعْ ـبَابَانَا كَيْتُو[5] كِيَتْصَدَّالْهَا

وَاحَدْ مَنْ خَاوْتُو قَالْ نَخَّدْمُوكْ طُولْ لَعْمَارْ ❁ أَتْرُكْ بَنْيَامِينْ وخَاوْتِي تْسِيرْ في حَالْهَا

ـقَالْ يُوسَفْ أَنَا مَا نْخَالَفْشْ وَعْدْ الجَبَّارْ ❁ ـبَنْيَامِينْ يَقْعُدْ خْدِيمْ لِي سَنَة بَكْمَالْهَا

---

[1]– باش: لكي.

[2]– تدبار: حيلة وطريقة.

[3]– شكارت: كيس.

[4]– اداوها: أخذوها وسرقوها.

[5]– كيتو: مصيبته.

28- رجوع الإخوة بدون بنيامين:

بعدما اتضح للإخوة أنّ أخاهم بنيامين قد سرق ساقية الملك فأبقاه عنده، رجعوا إلى أبيهم من دونه، فكيف كان ردّ فعل يعقوب –عليه السلام– هذا ما سنعرفه في قول القاصّ التالي:

حِينْ وَصْلُو لْيَعْقُوبْ حْكَاوْلُو مَاذَا صَارْ ❁ كِيفْ بَنْيَامِينْ سْرَقْ وقْعَدْ خْدِيمْهَا

بْكَا يَعْقُوبْ عْلَى وْلِيدُو وَدْمُوعُو غْزَارْ ❁ وَاطْلُبْ اللهْ يْكَفْ عْلِيهْ لَمْحَانْ ويْزَوَّلْهَا

قَالْ لَوْلَادُو خُذُو هَادْ الكْتَابْ يَا حْرَارْ ❁ ارَّجْعُو بِيهْ لْمَاصَرْ وشُوفُو حْكِيمْهَا

إِذَا كَانْ الحَاكَمْ يْأَمَّنْ ويَعْبَدْ القَهَّارْ ❁ يَسْمَحْ لْبَنْيَامِينْ والحُرِّيَّة يْشُوفْهَا

أخذ الإخوة الأمانة إلى يوسف، ولمّا وصلوا أعطوه إياها، فلمّا قرأها بكى وتهاطلت دموعه كالأمطار، فاعترف لإخوته بالحقيقة قائلا:

بْكَا ودْمُوعُو تَهْطَلْ وتْسِيلْ كِلَمْطَارْ ❁ قَالْ لْخَاوْتُو أَنَا يُوسَفْ زَادْ دْهَاشْهَا

أَنَا اللِّي[1] اتَّافَقْتُواعْلِيَّ وحْنَا صْغَارْ ❁ ارْمِيتُونِي فِي بِيرْ وظَنِّتُو المُوتْ لْقِيتْهَا

لَكِنْ اللهْ كَانْ مْعَايَا سُبْحَانُو هُوَ الجَبَّارْ ❁ رَغْمْ لَمْحَانْ[2] عِبَادْتِي للهْ مُحَالْ نَنْسَاهَا

29- أمر يوسف لإخوته بأخذ قميصه إلى أبيهم:

لمّا علم الإخوة أنّ يوسف هو عزيز مصر تفاجأوا واندهشوا وبكوا وطلبوا من يوسف أن يغفر لهم خطيئتهم ووعدوه بالتوبة، ثمّ سألهم عن أبيهم وأمرهم بالذّهاب إليه وأخذ قميصه كي يشمّ رائحته وبالتالي يضعه على وجهه فيرتد بصيرا، يقول القاص في هذا الصّدد:

[1]– اللي: الذي.

[2]– لمحان: المصائب والمحن.

بْكَاوْ خَاوْتُو وقَالُو يَا يُوسَفْ كُونْ لِنَا غَفَّارْ ❁ وهَادْ الأَفْعَالْ حْنَايَا مُحَالْ نْعَاوْدُوهَا

سْأَلْ عْلَى بَابَاهْ وقَالُولُو تَعْمَا مَلْبْصَارْ ❁ أَدُّولُو قْمَجْتِي يْدِيرْهَا عْلَى عَيْنِيهْ ويْلَمْهَا

خْذَا خُوهُمْ لَقْمَجَّة وقْبَلْ مَا يَوْصَلْ لَلدَّارْ ❁ يَعْقُوبْ شَمْ رْوَايَحْ الجَنَّة يَا مَحْلاهَا

واعْلَمْ بَحْيَاة يُوسَفْ قَلْبُو كَانْ خَبَّارْ ❁ ولَبْشَارَة بِنَجَاة يُوسَفْ كَانْ يَسْتَنَّاهَا

حِينْ وْصَلْ وْلِيدُو قَالْ يَابَابَانَا خُوذْ لَخْبَارْ ❁ يُوسَفْ وْلِيدَكْ حَيّْ وقْمَجْتُو لِيكْ جَبْنَاهَا

امْسَحْ بِهَا عْيَانَكْ تْعُودْ تْشُوفْ مْنَ الأَبْصَارْ ❁ تْعُودْ لِيكْ الصَّحَّة وتْشُوفْ الدُّنْيَا مَبْهَاهَا

أَحْمَدْ يَعْقُوبْ وَارْكَعْ لْمُولانَا الغَفَّارْ ❁ اطْلَبْ لْغُفْرَانْ لَوْلادُو يَومْ لَمْحَانْ يَنْسَاهَا

30- ذهاب يعقوب إلى مصر واستقبال يوسف له:

بعدما علم يعقوب النبيّ أنّ يوسف عليه السلام حيّ يرزق، قرّر الذهاب إلى مصر قصد رؤيته واشباع عينيه برؤيته والارتواء من روائحه الزكية الطاهرة، فلمّا أحسّ يوسف بمجيء أبيه جهز جيوشه وعساكره قصد استقباله بحفاوة وشوق، فهو أشدّ شوقا وأكبر حبّا من إخوته لأبيهم، يقول القاصّ في هذا الصّدد:

يَعْقُوبْ رْجَعْ لْمَاصَرْ يْشُوفْ المَسْرَارْ ❁ انْحَرَمْ عْلِيهْ عْوَامْ فِي مْحَانْ عَدَّاهَا

ويُوسَفْ مَتْشَوَّقْ يْشُوفْ بَابَاهْ يَا حُضَّارْ ❁ دَارْلُو[1] اِسْتِقْبَالْ بُشْرَى يَا مَعْظَمْ مَنْهَا

عَسْكَرْ بَخْيُولْ وجَيْشْ ولْوِزَارَة كْبَارْ ❁ رْجَالْ والنِّسْوَانْ لْكُلْ خَرْجَتْ مَنْ دَارْهَا

حِينْ وْصَلْ يَعْقُوبْ لْمَاصَرْ قَلْبُو زَادْ فِيهْ نَارْ ❁ كِشَافْ[2] سِيدْنَا يُوسَفْ دَمْعْتُو فَارَتْ يَا مَغْزَرْهَا

مَنْ بَعْدْ العِيشْ لْجَحِيمْ والاعْتِصَارْ ❁ مَنْ بَعْدْ فْرَاقْ لَقْلُوبْ بَلْفَرْحَة لَقَاهَا

---

[1]– دارلو: أنجز له، فعل له.

[2]– كِشاف: لما رأى.

مَنْ بَعْدْيَامْ لَبْلاَ ويَامْ الأَضْرَارْ ❁ عْيُونْ يَعْقُوبْ مَلْعْمَا دَاوَاهَا

ثالثا: مقارنة وموازنة القصّتين القرآنية والشعبية:

أ – أوجه التشابه:

نستنتج من خلال دراستنا للقصّتين القرآنية والشعبية أنهما تتشابهان في مواطن عدّة، انطلاقا من الأحداث، حيث تعتمد كلّ منهما على أساس تاريخي يجسّد ويمثّل الموعظة والعبرة، كما نتوافق في العناصر البنيوية للقصّة كالمسار الحدثي ونذكر منها: رؤيا يوسف – عليه السلام– وتفسير يعقوب لهذه الأخيرة، ووصاية يعقوب ليوسف بكتمان الأمر، ثمّ تآمر الإخوة على يوسف وذكر ما فعلوه به أجمعين، ثمّ ذكر القافلة السيارة التي اشترت يوسف، ثمّ ما حدث له في مصر من فعلة امرأة العزيز، وقطع النسوة لأيديهنّ انبهارا بحسنه وفتنته لهم، ثمّ دخول يوسف للسّجن وتفسير رؤيا السّجينين، زد إلى ذلك اعتراف زوليخا بفعلتها، ثمّ مجيء الإخوة وتآمر يوسف عليهم ثمّ مجيء يعقوب النبيّ إليه وبالتالي تحقّق الرؤيا، ويبرز هذا جليا في التصنيف التالي:

1. تشابه الأحداث:

إنّ أوّل الأحداث المحظورة التي تتشابه فيها القصّتين ما جاء في سورة يوسف الآية الثالثة عشر، يقول تعالى:﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾[1]، لقد خاف يعقوب النبيّ على يوسف في أوّل الأمر وتردّد في إرساله مع إخوته، لكن بعد إلحاحهم الشّديد عليه وعهدهم له على حراسته وحمايته، رضي بالأمر الواقع، فأوصاهم بصيانته والمحافظة عليه، لكنّهم خالفوا الوعد ولم يصدّقوا فيما

[1]– سورة يوسف، الآية 13.

عاهدوا والديهم به ضاربين بوصيته عرض الحائط، هذا في القصّة القرآنية أمّا في القصة الشعبية فيتجسّد هذا الحدث المحظور في قول القاص التالي:

قَالْهُمْ خَايَفْ يَاكْلُو دِيبْ لْغَابَة المَشْرَارْ ❁ وتَرَّجْعُوا بْلاَبِيهْ كِيتُومَا نَنْسَاهَا

قَالُوا يَا بَابَا مَا تْخَافْشْ مَلْخْطَارْ ❁ لازَمْ عْلِيهْ أَمْرْ الصْيَادَا يَقْرَاهَا

يَا بَابَا حَشَّمْنَاكْ بَاللهْ، مُولاَنَا القَهَّارْ ❁ نَضَّمْنُوهْ وَحْيَاتُو مَلْبْلاَ نَحْمُوهَا

قَالْهُمْ خُذُوهْ وَعْلِيهْ خَلُّو مْلِيحْ لَبْصَارْ خَايَفْ مَنْ غَدْرْ دِيكْ صْيَادَا وَخْطَارْهَا

والملاحظ أنّ يعقوب النبيّ قد أوصى أبناءه بعدم ارتكاب الخطأ والمحظور لكنّهم عزموا على تنفيذ خطّتهم وأصرّوا على الخداع والغدر.

2. الحدث المكذوب لقد ه ا:

تبرز الأحداث المكذوبة في القصّة القرآنية فيما يلي:

أ- تحايل الإخوة على أبيهم في أخذ يوسف ولما تمكّنوا منه أخذوه فألقوه في الجبّ وعادوا إلى البيت بدونه، فكذّبوا على أبيهم وأخفوا عنه الحقيقة، يقول الله تعالى:﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[1]، فالحدث المكذوب هنا واضح جدا عند إخوة يوسف، حيث لم يذهبوا ليتسابقوا بل ذهبوا بيوسف ولم يأكل الذئب يوسف بل ألقوه في البئر، ولم يكن الدّم الذي على القميص دمه بل كان دم حيوان وممّا يقابل هذا الحدث في القصّة الشعبية قول القاصّ التالي:

[1]- سورة يوسف، الآيات 17-18.

وَلاَّوْ خَاوْتُوا لْيَعْقُوبْ بَاكْبِينْ بْلَجْهَارْ ❁ وقَالُوا يَا بَابَا خْبَارْ يُوسَفْ كِيفْ نْعِيدُوهَا

كَلاَهْ دِيبْ لْغَابَة وَهْرَبْ بِينْ لَسْجَارْ[1] ❁ خَلاَّ غِيلْ قْمَ ًجْتُو لِيكْ جَبْنَاهَا

بَاشْ تْكُونْ لِيكْ دَلِيلْ لِيهْ مَاذَا صَارْ ❁ سْهِينَا عْلَى يُوسَفْ وَوْصَايْتَكْ نْسِينَاهَا

والملاحظ عند القاص الشعبي أنه واسع الخيال حيث ذهب به إلى هروب الذئب بيوسف بعد أكله، لكن الواقع أنّ الذئب يسرق ويختطف الفريسة فيهرب بها بعيدا ثمّ يأكلها ليس العكس، وكأنه أكله أمامهم وقدم لهم قميصه هدية منه ثمّ هرب وهذا يدخل في إطار الخوارق والعجائب.

ب- أمّا ثاني الأحداث المكذوبة فيكمن في قوله جلّ جلاله: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ [2]﴾، إلى غاية قوله تعالى: يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [3].

إنّ الحدث المكذوب ههنا واضح يتجسّد في تلفيق امرأة العزيز التهمة (الزنا) ليوسف وتظاهرت بالبراءة والنزاهة، حيث غلقت عليه الأبواب وتهيّأت له وطلبت منه الفاحشة، فاستعصم عليه السلام من السوء وذكرها بإكرام سيده له، ولا ينبغي عليه ولا يجوز طعنه من الخلف في شرفه فزليخا امرأة كاذبة وذات حيلة، والغريب "أنّ امرأة العزيز أصرّت على موقفها الكاذب وادّعت الأخلاق والصّدق فيما تقول، فهدّدت يوسف بالسّجن على الرغم من

[1]- لسجار: الأشجار.

[2]- سورة يوسف، الآية 23.

[3]- سورة يوسف، الآية 29.

تبيان الحقيقة من طرف الشاهد الذي فصل في القضية وثبت أنّ القميص قد من دبر"[1]، أمّا في القصة الشعبية فيتمثّل هذا الحدث فيما يلي:

مْنَ الحَشْمَة وَجْهْ يُوسَفْ أَدْبَالْ وَاصْفَارْ ❁ خَلِيفْ مْنَ اللهْ وَلْفْضِيحَة وخْلاَصْهَا

حَبْ يَخْرُجْ مَانَعْ وفَاتَحْ بَابْ لدَّارْ ❁ شَدَّتُو مْنَ لْخَلْفْ وقْمَجْتُو قَطَّعَتْهَا

حِينْ خْرَجْ مْنَ البَابْ وهَارَبْ مْنَ لْعَارْ ❁ يُوسَفْ صَابْ قُدَّامُو لْوَزِيرْ زُوجْهَا

قَالَتْ زُولِيخَا هَادْ الرَّاجَلْ غَدَّارْ ❁ رَادْ يَلْعَبْ بْشَرَافِي وَحْيَاتِي يْحَطَّمْهَا

قَالْ يُوسَفْ نَقْسَمْ بَاللهْ مُولاَنَا القَهَّارْ ❁ أَنَا بَرِيءْ مَنْ زُوجْتَكْ وخَطْيَانْهَا

بعد اصطدم يوسف بالعزيز فسّر له الأمر ونطق بالحقيقة، لكن زوليخا لم تجد بدّا من إخفاء الحقيقة، لأنها في وضع ملبس ومأزق حرج، فاختلقت كذبتها الجهنمية، واتهمت يوسف بالفاحشة، لكن نبيّ الله أصدق منها وأنزه.

3.ك ح ت ك ع ي ـ:

يبرز هذا النوع من الأحداث في الآية الخامسة عشر من سورة يوسف، ويتمثّل في تآمر الإخوة على الغدر بيوسف فأخذوه وألقوه في البئر، يقول ابن جرير الطبري في هذا الشّأن ما يلي: "أخرجوه فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وألقوه في البئر"[2]، ويقول تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[3].

[1]– ابن جرير الطبري/ جامع البيان في تفسير القرآن/ ج12/ ص 114.

[2]– ابن جرير الطبري/ جامع البيان في تفسير القرآن/ الجزء 12/ ص 89.

[3]– سورة يوسف، الآية 15.

إنّ الفعل قاس جدا وعنيف على فتى صغير لا حول له ولا قوة وهم عصبة قوية حاقدة ومجرمة وصارمة، أمّا القاص الشعبي فيقول في هذا الصّدد:

رَكْبُوا عْلَى الخْيُولْ ومْعَاهُمْ يُوسَفْ لْمَسْرَارْ ❁ فَالطْرِيقْ اتَّافْقُوا عْلِيهْ بَاشْ أَمْرُو يَنْتْهَا

مْنِينْ وَصْلُوا لَلْغَابَة وْبَعْدُوا عَن الدَّارْ ❁ سْوَادَتْ قْلُوبْ خَاوْتُو وقْوَاتْ حْمَاقْهَا

قَالُولُو نْزَلْ نَفْنُوكْ ونَرْمُوكْ لَلقِطَـارْ ❁ تَرْتَاحْ قْلُوبْنَـا مْنَ الغِيرَة وَمْحَانْهَـا

رَبْطُوهْ وَيْعَذْبُوا فِيهْ ويَضَّرْبُوهْ بَلْحْجَارْ ❁ رْمَاوَهْ فِي بِيرْ وقَالُوا لْمُوتْ ثُمَّ تَلْقَاهَا

وَلاَّوْ خَاوْتُوا لْيَعْقُوبْ بَاكْيِـينْ بَلْجْهَارْ ❁ وقَالُوا يَلـبَابَا خْبَارْ يُوسَفْ كِيفْ نْعِيدُوهَا

كْلاَهْ دِيبْ لْغَابَة وَهْرَبْ بِينْ لَسْجَارْ ❁ خَلاَّ غِيلْ ـقْمَجْتُو لِيكْ جَبْنَاهَا

تْغَاشَا يَعْقُوبْ وبْدَا يْنُوحْ ودْمُوعُو غْزَارْ ❁ غْرَقْ خْيَالُو وحْيَاتُو لَلْحُزْنْ فْنَاهَا

لْقُوَّتْ مْنَ فْرَاقْ وْلِيدُو يُوسَفْ رْجَعْلُو مْرَارْ ❁ وَعْيُونُو ـمْنَ لْبْكَا الظْلاَمْ كْسَاهَا

إنّ رجوع الإخوة بقميص يوسف ملطخا بالدماء كان بمثابة الصاعقة، والضربة الأليمة الموجعة لأبيهم، حيث سقط مغمى عليه من شدّة قساوة الخبر، وبالتالي أصبحت حياته جحيما وأصبح القوت مرّا في فمه وعمي من شدّة وكثرة البكاء، وهذا دليل كاف على عنفية الحدث وقساوته، ودليل في ذلك في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى:﴿...وَتَرَكْنَايُوسُفَعِنْدَمَتَاعِنَافَأَكَلَهُالذِّئْبُ...﴾[1].

ونلاحظ أنّ خبر أكل الذئب ليوسف جعل يعقوب النبيّ ينهار ويحزن على فراق حبيبه وهذا كله بسبب فعلة إخوته وهل هناك أعنف من هذا؟

[1]– سورة يوسف، الآيات 17-18.

ومن الأحداث العنيفة نجد أيضا الطّريقة التي راودت امرأة العزيز بها يوسف، يقول تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

هنا يبرز لنا جليا العنف والقسوة التي عاملت امرأة العزيز بها يوسف لما تعرّض للمراودة من قبلها، فلما رفض مطاوعتها أمسكته من قميصه ومزقته، ثمّ لما تصادفا بالعزيز نفت الحقيقة وأمرته بأن يسجن يوسف، لأنّه أراد بها سوءا كما ادّعت، أمّا فيما يخصّ القصّة الشعبية في هذا الصّدد، يقول القاصّ ما يلي:

حَبْ يَخْرُجْ مَانَعْ وفَاتَحْ بَابْ الدَّارْ ❁ شَدَّتُو مْنَ لْخَلْفْ وقْمَجْتُو قَطْعَتْهَا

حِينْ خْرَجْ مْنَ الْبَابْ وهَارَبْ مْنَ لْعَارْ ❁ يُوسَفْ صَابْ قُدَّامُو لْوَزِيرْ زُوجْهَا

ـقَالْ يُوسَفْ نَقْسَمْ بَاللهْ مُولاَنَا القَهَّارْ ❁ لَّنَا بَرِيءْ مَنْ زُوجْتَكْ وخَطْيَانْهَا

فالحدث العنيف هاهنا يكمل في مطاردة زوليخا ليوسف، وذلك لما هرب من كيدها وغدرها قطعت قميصه من الخلف من شدّة العنف والقوّة التي أمسكت بها القميص، ثمّ اتهمته بالاعتداء عليها وخيانة مولاه، وطعنه في شرفه فأمرته بإيداعه في السجن كما يقول القاص:

قَالَتْ زُولِيخَة لْيُوسَفْ آهْ يَا مَسْرَارْ ❁ تَدْخُلْ السِّجْنْ والاَّ النْسَا تْعِيشْ مْعَاهَا

ـقَالْ يُوسَفْ السِّجْنْ هُوَ لِنَخْتَارْ ❁ يَاكْ الأَنْبِيَاءْ مُحَالْ تَعْصَي مُولاَهَا

ـقَالَتْ لِلزَّوْجَة لَلْعَزِيزْ خُوذْ قَرَارْ ❁ أَسْجُنْ يُوسَفْ وَلْعَضْرَاتْ تَبْرَا مَنْ هَوْلْهَا

حَتَّى نَنْسَاوَهْ لْكُولْ وتْزُولْ لَضْرَارْ ❁ ويْكَفْ عْلِينَا لَمْلاَمْ وَيْزُولْ حْدِيثْهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 25.

سَجْنُو سِيدْنَا يُوسَفْ ودَارُوهْ فِي حِصَارْ ❁ زِينْ يُوسَفْ نَوَّرْ السِّجْنْ مَنْ ظْلاَمْهَا

والملاحظ أنّ زوليخا لا تترد في العنف مع يوسف، فبعد أن ألفته واعتادت عليه وعلى رؤيته فهي الآن تآمر بإلقائه في السجن ممّا يدلّ على قساوتها وعنفها والدّليل على هذا في القرآن قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[1]، كما تبرز هنا غطرسة الأغنياء وسيطرتهم على الضعفاء ومدى جبروتهم حتى ولو كان هؤلاء الضعفاء على حق ويقين، فلن ينظر إليهم أحد، بحيث "لما استعصم يوسف ممّا راودته عليه امرأة العزيز ولم يطاوعها على ما تدعوه إليه من حاجتها أمرت بسجنه حتى يكون من أهل الصغار والمذلة بالحبس"[2]، أمّا ثالث الأحداث العنيفة فيكمن في اتهام إخوة يوسف له بالسرقة، وذلك عندما وجدت السقاية في رحل بنيامين، يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾[3]، الحقيقة البينة أنّ يوسف لم يسرق ولم يكن سارقا أبدا، لكن إخوته الحاقدون عليه اتهموه بالسرقة نظرا لقساوة قلوبهم وطغيانهم، وهذا إن دلنا على شيء إنّما يدلّ على عنف الموقف وقساوته ومدى تأثّر يوسف بالاتهام، أمّا في القصة الشعبية فيتجسّد هذا الحدث فيما يلي:

ـبْلا شَكّ بْغِيتُو تْوَجْهُونَّا الْعِيبْ وَالْعَارْ ❁ لَحْنَا مَتْأَكْدِينْ بَلْلِي هُوَ اللِّي الدَّاهَا

سْرَقْ كِمَا خُومْـيُوسَفْ وَاحْنَايَا صْغَارْ ❁ وَفْضَحْنَا فِي أَرْضْ فِلَسْطِينْ ونَاسْهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 32.

[2]– عبد الرزاق السيد عيد/ وقفات القصة في كتاب الله/ يوسف عليه السلام في بيت العزيز/ مجلة التوحيد (مقال) السنة السابعة والعشرون/ العدد الأول/ ص 50.

[3]– سورة يوسف، الآية 77.

4.ك ح ت ك ف ج إ:

نلاحظ أنّ للمفاجأة ظهور بارز وقويّ في قصّة سيدنا يوسف، نذكر منها ما يلي: لمّا مرّت القافلة السيارة على البئر فأرسلوا واردهم ليجلب لهم الماء، فلمّا أدلى دلوه، تعلّق به يوسف الصدّيق ممّا بعث في نفسهم الشعور بالمفاجأة والدّهشة، يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1]، إنّ الحدث المفاجئ هاهنا يبرز جليا لمّا ذهبوا بحثا عن الماء فعثروا على غلام صغير تعلّق بدلوهم هنا تكمل المفاجأة، والمفاجأة الأخرى تعود على يوسف فبعدما كان بين الحياة والموت أصبح حيّا، فأشرق نور الحياة والسعادة في قلبه، كما يقول القاصّ الشعبي في هذا الصّدد:

ـيُوسَفْ قْعَدْ فَلْبِيرْ ثَلْثْ لْيَالِي وَنْهَارْ ❁ وـفي رَابَعْ جَازَتْ لْقَافْلَة بَخْيُولْهَا

شَافُو لْبِيرْ وقَالُوا نَرْتَاحُو مَلْسْفَارْ ❁ ـهَادِي أَرْضَ اللهْ نَشَرَّبُو مَنْ مَاهَا

رْمَاوْ لِلدَّلْوْ ـيْطَلْعُو أَلْمَا ـبْلا غْيَارْ ❁ طَلْعُو لِلدَّلْوْ ويُوسَفْ مْعَلَّقْ فِيهَا

دَهْشُو حِين ظْهَرْ ـيُوسَف لْمَسْرَارْ ❁ قَالُوا حْنَا سَلَّكْنَاكْ مَن لْبِيرْ وعْمَاقْهَا

أمّا ثاني الأحداث المفاجئة فتكمن في اللحظة التي كانت فيها امرأة العزيز تراود في يوسف عن نفسه وتضايقه إلى درجة العدو والجري وراءه بعدما استعصم وتصدّى لها وهرب منها، عندها دخل العزيز ورأى ما يحدث، فاتهمت يوسف بالمراودة وارتكاب الخطأ، هنا تكمن المفاجأة: أي تفاجئ العزيز لما رأى الموقف، ثمّ تفاجؤ يوسف لاتهام زوليخا له، يقول تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ

[1]– سورة يوسف، الآية 19.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [1]، إذن هرب يوسف خوفا من الوقوع في المعصية والفاحشة، لكنه تفاجأ ممّا نسب إليه وما اتّهم به، يقول القاصّ في هذا الشأن:

حِينْ خْرَجْ مَن الْبَابْ وهَارَبْ مَن لْعَارْ ❁ ـيُوسَفْ صَابْ قُدَّامُو لْوَزِيرْ زُوجْهَا

ـقَالَتْ زُولِيخَا هَاد الرَّاجَلْ غَدَّارْ ❁ رَادْ يَلْعَبْ بْشَرَافِي وَحْيَاتِي يْحَطَّمْهَا

أراد الصدّيق التخلّص من زوليخا ومكرها فهرب لكنه وجد أمامه زوجها، فالحدث هنا كان مفاجئا لزوليخة أولا، لأنها لم تتوقّع حضور العزيز في تلك الأثناء، وفجأة انقلب الموقف رأسا على عقب، حيث تحوّل العشق إلى غدر وكذب واتهام.

وآخر الأحداث المفاجئة التي تتشابه فيها القصتين القرآنية والشعبية هي المفاجأة الكبرى والحدث الأعظم في القصّة، ألا وهو عندما اعترف يوسف لإخوته بالحقيقة التي طالما جهلوها، أي: بأنّه هو يوسف أخوهم الذي ألقوه في البئر بغية قتله والانتهاء من أمره، والذي أصبح عزيز مصر ووزيرها والآمر الناهي فيها، يقول تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، أمّا القاص الشعبي فيقول في هذا الحدث:

بْكَا وَدْمُوعُو تَهْطَلْ وتْسِيلْ كِلَمْطَارْ ❁ ـقَالْ لْخَاوْتُو أَنَا يُوسَفْ زَادْ دْهَاشْهَا

لَنَا للِّي اتَّافَقْتُوا عْلِيَّ وَحْنَا صْغَارْ ❁ ارْمِيتُونِي في بِيرْ وظَنِّيتُو المُوتْ لْقِيتْهَا

[1]– سورة يوسف، الآيات25–26–27.

[2]– سورة يوسف، الآية 90.

إذن تهاطلت دموع يوسف عندما قرأ الكتاب المبعوث من والده يعقوب عندها فقط انفجر وأخرج السرّ الذي طالما كتمه في قلبه، فأخبر إخوته بالحقيقة، فاندهشوا وتفاجأوا فتحوّلت رؤيتهم وانقلبت نحوه ولم يصدّقوا أنّ أخاهم المفقود هو عزيز مصر ومالك وزارتها.

5. الاستدراجية في الإزاحة:

يتمثّل أوّل الأحدث الاستدراجية في يوسف عندما استدرج إخوته كي يحتفظ بأخيه بنيامين، حيث خبّأ السقاية في رحله وأذن مؤذّن أنهم سرقوها، يقول تعالى:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[1]، فهذا تدبير من يوسف ليلقن إخوته درسا عما فعلوه به، ويقول القاص في هذا الصّدد:

قَالْ بَاشْ نَتْأَكَّدْ وَ نْصَدَّقْ هَادْ لَهْدارْ ❁ جِيبُو خُوكُمْ و نْكَمْلُو الطْعَامْ وْكِيلْهَا

نلاحظ أنّ الاستدراج في القصّة الشعبية كان بتواطؤ مع بنيامين حيث يقول:

قَالْ يُوسَفْ بَاشْ تَبْقَى عَنْدِي يَلْزَمْ تَدْبَارْ ❁ نَتَّهْمَكْ بَالسَّرْقَة وَنْشُوفْ حْسَابْهَا

ثمّ يجسّد يوسف الفعل بغية الإبقاء على أخيه عنده، حيث يقول القاص:

السَّاقْيَة مْنَ الذْهَبْ خَيّرْهَا وَاخْتَارْ ❁ ودَارْهَا فَشْكَارَتْ بَنْيَامِينْ وخَبَّاهَا

فَتْشُوهُم والسَّاقْيَة مَالْقَاوَلْهَاشْ لَأَثَرْ ❁ إلاّ بَنْيَامِينْ لِي نْجَا مَنْ تَفْتَاشْهَا

قَالُو لْخَاوَا هَاذَا عَيْبْ وْعَارْ مَافِيهَاسْ تَتْكَارْ ❁ اَحْنَا فَتَّشْتُونَا وبَنْيَامِينْ اسْلَكْ مَن هْوَالْهَا

بْلاشَكّ يْغِيتُو تْوَجْهُونَّا الْعَيْبْ وَالْعَارْ ❁ اَحْنَا مَتْأَكْدِينْ بَلْلِي هُوَ اللّي لِلدَّاهَا

[1] – سورة يوسف، الآية 70.

لكنّ العزيز بالرّغم من هذا فقد أمر الحراس بتفتيش أوعيتهم دون وعاء بنيامين قصد استدراجهم في الأمر، كي يرى ردّة فعلهم، ولمّا فتّش بنيامين وجدوا الساقية عنده، يقول القاصّ:

فَتْشُو بَنْيَامِينْ والسَّاقْيَة بَلنَتْ جْهَارْ ❁ فَرْحُو خَاوْتُو وَلْفْضِيحَة لِيهْ تْمَنَّاوْهَا

قَالْ يُوسَفْ أَنَا مَا نْخَلَفْشْ وَعْدْ الْجَبَّارْ ❁ بَنْيَامِينْ يَقْعُدْ خْدِيمْ لِي سَنَة بْكَامَلْهَا

وخلاصة القول أنّ يوسف ظلّ يستدرج في إخوته كما استدرجوا هم أباهم من قبل لأخذ يوسف، حتى تمكّن منهم ومن الإبقاء على أخيه عنده، وللذّكر فقط تشتمل القصّة على عدّة أحداث استدراجية، ذكرنا منها واحدا فقط.

6. طرح نتائج الأعمال:

نرى أنّ هذا النّوع من الأحداث ابتدأت به كلتا القصّتين ويكمل أولهما في الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في المنام ثمّ قصّها على والده يعقوب، يقول الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾[1].

علم يعقوب النبيّ أن رؤيا يوسف حقيقة سوف تتحقق يوما من الأيام وأنه سيصبح ليوسف شأن عظيم فأوصاه بعدم روايتها على إخوته، لأنه أعلم بما سيحدث إن علموا، فبعد

[1]– سورة يوسف، الآيات 4–7.

مُضَي مدّة زمنية معيّنة تحقّقت رؤيا يوسف فسجد له إخوته الأحد عشر والأبوين اللذان هما الشمس والقمر، يقول القاصّ في هذا الأمر:

سِيدْنَا يُوسَفْ ابْلَغْ طْنَاشْ لْعَامْ اطْبَرْ وَشْطَارْ ❁ وْشَافْ احْدَاشْ لْكَوْكَبْ وشَمْسْ وقْمَارْهَا

فَلْمْنَامْ لِيهْ سَاجْدِينْ ورَاكْعِينْ لَلْمَسْرَارْ ❁ قْصَدْ بَلبَاهْ عن دِيكْ الرُّؤْيَا عَادْهَا

قَالُّوا يا وْلِيدِي بَالاكْ تْبُوحْ بَالأَسْرَارْ ❁ ونْوَصِّيكْ عْلَى خَاوْتَكْ لَيَسَّمْعُوهَا

إنّه فتى صغير رأى رؤيا غريبة وعجيبة استشار والده فيها، فاستبشر الوالد والولد بالمستقبل المشرق الذي ينتظره والشّأن العظيم.

وفي الرؤيا دائما نقف عند رؤيا السّجينين اللذين دخل معهما يوسف السّجن بحيث لما قصّا عليه رؤياهما فسّرها لهما، وكان تعبيره حقا وصادقا، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[1]، أمّا شعبيا، فيقول القاص:

يُوسَفْ يدْعِي فَلْمَسْجُونِينْ بِاسْتِغْفَارْ ❁ ويْقُولْ دِيرُو الثِّقَة فَاللهْ لا تَنْسُوهَا

صَبْحَتْ عَنْدُو مُعْجِزَة مَنْ عَنْدْ مُولانَا الجَبَّارْ ❁ فِي تَفْسِيرْ لَمْنَامَاتْ ومْعَانِيهَا

في دَاكْ السِّجْنْ دَخْلُوا لِيهْ زُوجْ رْجَالْ كْبَارْ ❁ خَدَّامِينْ السُّلْطَان في مَاكَلْتُو وشْرَابْهَا

وَاحَدْ مَنْهُمْ خَبَّازْ نَامْ رَاسُو لَطْيَارْ ❁ يَاكْلُو فَلْخُبْزْ وتْغَذِّي نَفْسْهَا

والثَّانِي السَّاقِي شَافْ لَخْمَرْ فِيدُّو عْصَارْ ❁ جَالِيهْ السَّلْطَانْ بْدَاتُو بَشْرُه بَسْقَاهَا

لَتْنِينْ حَتُّو يُوسَفْ بَلِّي جْرَا وْصَارْ ❁ قَالُّوا فَسْرَنَّا الرُّؤْيَا أَشْ حْسَابْهَا

[1]– سورة يوسف، الآيات 41.

ـقَالْ لَلسَّاقِي رَبِّي يَرْزْقَكْ يَا خَمَّارْ ❁ ـتَنْجَا وتَرْجَعْلَكْ السُّلْطَة وَحْكَامْهَا

وقَالْ لَلْخَبَّازْ أَنْتَ رَادْ عْلِيكْ الْقَهَّارْ ❁ مَكْتُوبْ عْلِيكْ تْمُوتْ هَادَا هُوَ حْسَابْهَا

أصبحت لدى يوسف معجزة تفسير الرؤى وتعبيرها، ويبرز الحدث الإعجازي في تفسيره لرؤيا السجينين بمصيرهما، فكان مصير الخبّاز الموت والساقي عودته إلى خدمة الحاكم، فحدث فعلا ما أوحى به يوسف حيث حدّد مصير كلّ واحد منهما.

ومن الأحداث الإعجازية أيضا تفسير رؤيا الملك، يقول تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[1]، فهذا الحدث مماثل للحدثين السابقين، فيرى السلطان مناما مزعجا وغامضا، فلجأ إلى المنجمين والكهنة والحكماء، فعجز كل منهم على تعبير رؤياه رادين إياها إلى أضغاث الأحلام، عندها تذكّر الناجي من السّجينين يوسف، فذهب إليه ففسّر له هذه الرؤيا وكان تعبيرها حقا، يقول القاص في هذا الحدث:

سُلْطَانْ مَاصَرْ شَافْ الرُّؤْيَا عَقْلُو حَارْ ❁ وَادْ النِّيلْ الكُولْ نَاشَفْ مَنْ مَاهَا

خَرْجُو مَنْدَاكْ لْوَادْ النَّاشَفْ سَبْعْ بْقَارْ ❁ مَالْكِينْ مِنَ القُوَّة والصَّحَّة بَكْمَالْهَا

وْخَرْجُو مَن دَاكْ لْوَادْ النَّاشَفْ سَبْعْ بْقَارْ ❁ لْكُولْ ضْعَافْ مْنَ لْجُوعْ وضْعَافْ مَنْ جْسَادْهَا

دُوكْ لَضْعَافْ مْنَ لْجُوعْ يَاكْلُو فَلْكْبَارْ ❁ تْقَطَّعْ فِي لَحْمْهُمْ وْتَشْرَبْ مَنْ دَمْهَا

[1]– سورة يوسف، الآيات 46 – 49.

إلى أن يقول:

فَكْرُو سِيدْنَا يُوسَف في مَاذَا نَامْ دْهَشْ ❁ وحَارْ وْرَاحْ يَجْرِي لَلسُّلْطَانْ وَدَّالُو خْبَارْهَا

يجنح القاص الشعبي بخياله ليضيف نهر النيل قصد تحديد موقع الحدث ويشير إلى خلوّ النهر من الماء رمز الجفاف والقحط، على كل يبرز الإعجاز في هذا الحدث ويظهر جليا حيث عجز المفسّرون والكهنة وكل العلماء على تفسير رؤيا الملك، لكن يوسف الصدّيق لم يعجز بل كان له أسهل ممّا يتوقعون لأنّ الله أتاه من العلم والحكمة ما يجعله أفضل وأحسن من الكلّ.

ومن الأحداث الإعجازية أيضا نجد أنّ يوسف عليه السلام أرسل قميصه إلى أبيه، ولما ألقاه إحدى إخوته على عيني أبيه أصبح بصيرا وذهب عنه العمى يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، هنا تتجسّد القدرة الإلاهية على الإعجاز بحيث تحقّق ما كان يصبو إليه يوسف، وبمجرّد إلقاء قميصه على وجه أبيه ذهب عنه العمى فارتدّ بصيرا، يقول القاصّ الشعبي في هذا الصّدد:

سْأَلْ عْلَى بَابَاهْ وقَالُّو لَوْ تَعْمَى مَلْبْصَارْ ❁ أَدُّولُو قْمَجْتِي يْدِيرْهَا عْلَى عَيْنِيهْ ويْلَمْهَا

انْطَقْ لَكْبِيرْ وقَالْ لَنَا نَدِّيهَا يَا بَشَّارْ ❁ كِمَا ادِّيتْهَالُو كِيكَانْ لِلدَّمْ كَاسِيهَا

خْذَا خُوهُمْ لَقْمَجَّة وقْبَلْ مَا يُوصَلْ لَلدَّارْ ❁ يَعْقُوبْ شَمْ رْوَايَحْ الجَنَّة يَا مَحْلاهَا

حِينْ وْصَلْ وْلِيدُو وقَالْ يَابَابَا خُوذْ لَخْبَارْ ❁ يُوسَفْ وْلِيدَكْ حَيّ وَقْمَجْتُو لِيكْ جُبْنَاهَا

امْسَحْ بِهَا عْيَانَكْ تْعُودْ تْشُوفْ مِنَ الأَبْصَارْ ❁ تْعُودْ لِيكْ الصَّحَّة وَتْشُوفْ الدَّنْيَا مَبْهَاهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 96.

امْسَحْ يَعْقُوبْ بَقْمَجَّةْ يُوسَفْ يَا حُضَّارْ ❁ فَلْحِينْ الصَّحَّة وَالْبَصَرْ بِأَمْرَ اللهْ أَلْقَاهَا

إنّه الإعجاز والمقام الإلهي الذي لا مردّ له، أحزن حال يعقوب قلب يوسف فأرسل إليه قميصه بغية الشفاء وكان الله له معينا ومنفذا.

كان هذا فيما يخصّ الأحداث أمّا بالنسبة للشخصيات نرى أنّ جميع الشخصيات التي ذكرت في القصة القرآنية قد تمّ ذكرها في القصّة الشعبية وهي –يوسف عليه السلام–، يعقوب –عليه السلام–، إخوة يوسف، القافلة السيارة، العزيز، امرأة العزيز، الشاهد، النسوة، فتيا السجن، الملك، الملأ، بنيامين.

زد إلى ذلك بعض الشخصيات المذكورة دون أن يكون لها دور مهمّ في القصة مثل زوجة يعقوب والنبيين إبراهيم واسحاق والمنجمون والكهنة والجيش.

ننتقل إذن إلى الحيّز الجغرافي أو المكان الذي جرت فيه أحداث القصة، حيث نجد حيزان أو مكانان، الأول لم يذكر في القصة القرآنية ذكرا صريحا، لكنه ذكر ونلمسه من خلال قراءتنا للقصّة ألا وهو المكان الذي رأى فيه يوسف الرؤيا قبل أن يأخذه إخوته ورميه في البئر وبالتالي انتقاله إلى الحيّز الثاني الذي هو مصر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾[1]، فأرض مصر ذكرت ذكرا صريحا في القرآن الكريم، إذن هي نقطة الارتكاز وهي الأرض الآمنة بالنسبة ليوسف –عليه السلام– ومكان الاستقرار والسعادة بعد الشقاء والتعاسة التي عاشها من قبل، فهي إذن مسرح الأحداث، حيث أوت يوسف وأنجته وأهله من الجوع وجمعت شملهم بعد الشتات والفراق الطّويل، هذا في القصة القرآنية، أمّا القصة الشعبية فقد ذكرت المكانين ذكرا صريحا، يقول القاص الشعبي في هذا:

[1]– سورة يوسف، الآية 21.

آ –ك حجرئلآ ك: نكضري م.

نَبْدَا بْيَعْقُوب هْجَرْ عْلَى خُوهْ مْنَ الدَّارْ ❁ ومْشَا لْفَلَسْطِينْ عَنْدْ خَالْتُو زَارْهَا

إذن هذا الحيّز هو الذي شبّ فيه يعقوب وتزوّج فيه وأنجب فيه أبناءه، فهو مكان مقدّس وتاريخي، وهذا يدلّ على نشأة يوسف بعض السنوات هناك، ثمّ ننتقل إلى:

ا –ك حجرك تئمى: لشذ.

ـنَدِّيوَكْ لْمَصَارْ وَنْبِيعُوكْ بَالدِّينَارْ ❁ ولاـبْشِي دْرَاهَمْ إِذَا كُنْتْ سِوَاهَا

وَصْلُوا لْمَاصَرْ فَالسُّوقْ بَرْحُو بْلَجْهَارْ ❁ شْرَاهْ لْعَزِيزْ والقَافْلَة سَارَتْ فْحَالْهَا

فمصر هي الحيّز الذي لم يشهد الجوع والقحط بسبب تحذير يوسف لهم ووصيتهم بتخزين القمح للأيام السود على غرار المدن الأخرى التي عمّ فيها الجوع والقحط، وشهدت عظمة يوسف وكبر شأنه، وهي الأرض التي مدّت يد المساعدة لجيرانها طيلة سنوات القحط والجفاف.

ثمّ ننتقل إلى الحيّز المائي ألا وهو البئر والذي ذكر في القصتين معا، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1]، فذكر كلمة "جبّ" تعني مكان فيه ماء وغيابات الجب تعني غياب الشيء فيه وفنائه، فهو بهذا تشير إلى الحيّز الضيق والشديد الذي لا منفذ منه ولا مهرب، إذن هو حيّز يشير إلى الخوف والذّعر والموت، أمّا في القصّة الشعبية فيقول القاصّ:

رَبْطُوهْ وَيْعَذْبُوا فِيهْ ويَضَّرْبُوهْ بْلَحْجَارْ ❁ رْمَاوَهْ في بِيرْ وقَالُوا لْمُوتْ ثَمَّ تَلْقَاهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 15.

حقا هو حيز مظلم وموحش صعب المسالك، لكن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

ب. أوجه الاختلاف:

من خلال دراستنا للقصّتين معا وتتبّع أحداثهما وجدنا أنهما يختلفان اختلافا كليّا في بعض الأحداث واختلافا جزئيا في أحداث أخرى، كما استنتجنا بعض الاختلافات الأخرى إمّا بالزيادة أو بالنقصان وعليه تكمن هذه الاختلافات فيما يلي:

آ لإ:ئ لإخ تلإ ـك تكى.

- آ ك ما نبتدأ به في هذا النّوع من الاختلافات هو بداية كل قصّة وطريقة افتتاح كل منهما، نجد أنّ القصّة القرآنية تبتدأ بما يلي، يقول الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[2].

أمّا القصّة الشعبية فتبتدأ بالحديث عن يعقوب النبيّ وهجرته إلى فلسطين ثمّ زواجه براحيل ومن ثمة ولادة يوسف، يقول القاص بعد الصّلاة على نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام، وذكر الخلفاء الراشدون:

بِسْمِ اللهْ نَبْدَا فَلْقُولْ يَا حُضَّارْ ❁ خُذُوهَا ذَ للقَصَّة نْعِيدْ خْبَارْهَا

الحَدِيثْ مَوْجُودْ في كِتَاب لْجَبَّارْ ❁ في سُورَة سِيدْنَا يُوسَفْ يَا نَاسْ قْرِيتْهَا

نَبْدَا بْيَعْقُوبْ هْجَرْ عْلَى خُوهْ مْنَ الدَّارْ ❁ ومْشَا لْفَلَسْطِينْ عَنْدْ خَالْتُو زَارْهَا

رَحْبَتْ بِيهْ خَالْتُو بِدُونْ غْيَارْ ❁ حَتَّى اكْبَرْ وتْزَوَّجْ بْرَحِيلْ بَنْتْهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 90.

[2]– سورة يوسف، الآيات1...3.

رَاحِيلْ زَيْدَتْ يُوسَفْـيَا حُضَّارْ ❁ يَعْقُوبْ غَايَبْ فَالشَّامْ يْتَاجَرْ فَسْوَاقْهَا

إذن نستنتج أنّ القصة القرآنية تبتدئ بالموعظة والإرشاد والهداية وتبيان مدى أهمية هذا القرآن واعجازه وحكمته والعبر التي يحتويها، في حين نجد أنّ القاصّ الشعبي بدأ بذكر مصدر القصة الذي هو القرآن الكريم ثمّ الحديث عن يعقوب وحياته آنذاك هذا أولها.

- آلئ تئمى الاختلافات الكلية يكمن في خروج إخوة يوسف قصد تنفيذ خطّتهم وتآمرهم على أخيهم، فالقصّة القرآنية تذكر لنا خروجهم قصد الرعي واللعب، يقول تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1]، أمّا القاص الشعبي فيذكر سببا آخر خرج من أجله إخوة يوسف لكن الغرض والهدف واحد، ويكمن هذا في القصيد:

سَمْعُوا خَاوْتُوا بَلْمْنَامْ وخْذَاوْ عْلِيهْ قَرَارْ ❁ عَزْمُوا يَفْنُوا هَكْذَا الأَمْرْ يَنْتْهَا

صَلبُوا حَرْفَةْ بَابَاهُمْ وقَالُوا بْتَنْكَارْ ❁ يُوسَفْ نَدُّوهْ وَنْعَلْمُوهْ صْيَادَا وحْكَامْهَا

قَالُوا يَا بَابَا مَا تْخَافْشْ مْلَخْطَارْ ❁ لازَمْ عْلِيهْ لَمْرَ الصْيَادَا يَقْرَاهَا

إذن خرج الإخوة في القصة الشعبية للصّيد لا للرعي واللعب،- كما في القصّة القرآنية-، والملاحظ أيضا أنّ الإخوة سمعوا بالمنام الذي رآه يوسف فكانت هي السّبب في الانتقام منه وقتله، أمّا في القصة القرآنية فكان السبب حبّ أبيهم له ولأخيه أكثر منهم وغيرتهم منهم هي الدّافع "وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه واخوته معا وهذا غلط منهم (إسرائيليات)"[2].

- آلئ ثلثت الاختلافات فيتمثّل في موقف يعقوب النبي عندما عاد الإخوة بدون يوسف ومعهم قميصه ملطّخ بالدماء وزعموا أنه أكله الذئب، فالملاحظ في القصّة القرآنية أنّ

[1]- سورة يوسف، الآية 12.

[2]- ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، ص 188.

يعقوب لم يصدّق أبناءه الماكرين وشكّ في كلامهم، يقول تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1]، إذن أحسّ أبوهم بمكرهم وغدرهم لأخيهم وعدم صدقهم معه فصبر وأوكل الأمر كلّه لله الذي سوف يفضح أمرهم ذات يوم، أمّا في القصة الشعبية نلتمس أنّ يعقوب قد صدّق أبناءه دون تردّد بعد تلقيه خبر موت يوسف، فأغمي عليه واستسلم للحزن والبكاء، فظلّ يعاني الألم والعمى والأسى سنين طويلة، يقول القاص الشعبي:

تْغَاشَا يَعْقُوبْ وَبْدَا يْنُوحْ وَدْمُوعُو غْزَارْ ❁ غْرَقْ خْيَالُو وَحْيَاتُو لَلْحُزْنْ فْنَاهَا

لْقُوَّتْ مَنْ فْرَاقْ وْلِيدُو يُوسَفْ رْجَعْلُو مْرَارْ ❁ وَعْيُونُو مْنَ لْبْكَا الظْلاَمْ كْسَاهَا

- وِمِ ظِلظ الاختلافات فيتجلّى في طريقة بيع يوسف، حيث يباع سرّا في القصة القرآنية، أمّا في القصة الشعبية فيباع جهرا في بيوت العبيد، يقول تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[2]، أمّا القاص الشعبي فيقول في هذا الصّدد:

دَهْشُو حِينْ ظْهَرْ يُوسَفْ لْمَسْرَارْ ❁ قَالُوا حْنَا سَلَّكْنَاكْ مْنَ لْبِيرْ و عْمَاقْهَا

ـنَدِّيوَكْ لْمَصَارْ وَنْبِيعُوكْ بَالدِّينَارْ ❁ ولاـبْشِي دْرَاهَمْ إذا كُنْتْ سِوَلهَا

وَصْلُوا لْمَاصَرْ فَالسُّوقْـبَرْحُو بْلَجْهَارْ ❁ شْرَامْـلْعَزِيزْ والقَافْلَة سَارَتْ فْحَالْهَا

بِثْمَنْ دْرَلهَمْ خَلْصُو ودَّاهْ لَلدَّارْ ❁ رَلِيسْ الوِزَارَة في مَاصَرْ وَ حْكَامْهَا

[1]– سورة يوسف، الآية 18.

[2]– سورة يوسف، الآية 19.

- آلية الإخفاق في الإغراء: فيتجسّد في شراء عزيز مصر ليوسف من سوق الرقيق ثمّ أمر زوجته بإكرام مثواه لعلّه ينفعهما يوما أو يتّخذانه ولدا، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، أمّا في القصة الشعبية نرى أنّ يوسف كان خادما مطيعا لزوجة العزيز يقول القاصّ:

قَالْ لْزُوجْتُو لْغُلاَمْ شْرِيتُو هَادْ نْهَارْ ❁ أَمْرِيهْ وَشْرُوطَكْ لازَمْ عْلِيهْ يْلَبِّيهَا

- زئبق الإخفاق في الإغراء: يتمثّل في التمكين ليوسف في الأرض المصرية، إذ نجده في القصّة القرآنية يطلب بنفسه من الملك أن يجعله المتصرّف في الخزائن والمحافظ عليها، يقول تعالى:﴿قَالَاجْعَلْنِيعَلَىٰ خَزَائِنِالْأَرْضِإِنِّيحَفِيظٌعَلِيمٌ﴾[2]، على غير القصة الشعبية التي جاء فيها بأن الملك هو من كلفه بالمهمّة، يقول القاص:

قَالُّوا السُّلْطَانْ بَاللهْ عْلِيكْ يَا بَشَّارْ ❁ طِيعْ أَمْرِي بْغِيتْ نَجَّعْلَكْ مَسْؤُولْهَا

طَاعْ الأَمْرْ سِيدْنَا يُوسَفْ كِينْ خْذَا قَرَارْ ❁ لَمْ رْجَالْ وتَبْعَتْهُمْ حَتَّى نَسْوَانْهَا

- آلية الإخفاق في الإغراء الكلية يكمن في طريقة استقبال يوسف لأبويه، ففي القصة القرآنية جاء تصريح واضح بحضور الأبوين معا يعقوب وزوجته، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[3]، إذن رحّب يوسف بأبواه وآواهما عنده في بيته فسكنوا مصر وأقاموا فيها، أمّا في القصة الشعبية نجد أنّ القاص يرتكز على قدوم يعقوب فقط دون ذكر زوجته (هناك

[1]– سورة يوسف، الآية 21.

[2]– سورة يوسف، الآية 55.

[3]– سورة يوسف، الآية 99.

اختلاف إن كانت أمه أو خالته)، فيذكر استقبال يوسف له في جوّ بهيج ملؤه الشوق والحنين واللقاء بعد الفراق وحنين يعقوب لابنه يوسف، والعكس كذلك، يقول القاص:

ـقَالْ يَعْقُوبْ تْسِيرْ مْعَايَا ـبِاذْنْ القَهَّارْ ❁ لْمَاصَرْ عَنْدْ يُوسَفْ نْصِيفْتُو نْشُوفْهَا

يَعْقُوبْ رْجَعْ لْمَاصَرْ يْشُوفْ المَسْرَارْ ❁ انْحْرَمْ عْلِيهْ عْوَامْ في مْحَانْ عَدَّهَا

ويُوسَفْ مَتْشَوَّقْ يْشُوفْ بَلبَاهْ يَا حُضَّارْ ❁ دَارْلُو[1] اسْتِقْبَالْ بُشْرَى يَا مَعْظَمْ مَنْهَا

عَسْكَرْ بَخْيُولْ وجَيْشْ ولْوِزَارَة كْبَارْ ❁رْجَالْ والنَّسْوَانْ لْكُلْ خَرْجَتْ مَنْ دَارْهَا

حِينْ وْصَلْ يَعْقُوبْ لْمَاصَرْ قَلْبُو زَادْ فِيهْ نَارْ ❁ كْشَافْ سِيدْنَا يُوسَفْ دَمْعْتُو فْرَاتْ يَا مَغْزَرْهَا

والملاحظ أنّ القاص ذكر مجيء يعقوب إلى مصر بتفصيل دقيق، لكن غض النظر عن إيواء يوسف لأبويه وسجودهما له مع إخوته الإحدى عشر، وبالتالي تحقيق رؤياه، لقد تغافل القاص الشعبي عن أهمّ شيء في القصة ألا وهي تحقيق رؤيا النبي التي نسجت على غرارها القصة وأحداثها.

- آلئ ءخذئلإخةلاغئ ةطكقي يد فيتجسّد في نهاية القصّتين وختامهما حيث نرى أنّ القصّة القرآنية ختمت بحمد يوسف الصدّيق لله وشكره والثناء عليه على ما أنعم عليه من علم وحكمة، ثمّ يدعوه بأن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين، يقول تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[2]، أمّا القصة الشعبية فيختمها القاص الشعبي بالاستغفار والتسبيح:

اسْتَغْفْرُوا يا خْوَانْ خُذُو هَذَا لْعِبَارْ ❁ سُبْحَانْ مَنْ ـفَارَقْ لَعْظَامْ ويْلَمْهَا

[1]– دارلو: أنجز له، فعل له.

[2]– سورة يوسف، الآية 101.

سُبْحَانْ مَنْ يَرْزُقْ لْخِيرْ ولِعْتِصَارْ ❁ سُبْحَانْ مَنْ يُحْيِ الأَرْوَاحْ مَنْ بَعْدْ مُوتْهَا

سُبْحَانْ مَنْ دَاوَى يَعْقُوبْ وشَفَاهْ مَلْبْصَارْ ❁ سُبْحَانْ مَنْ سِيرَةْ يُوسَفْ وحْيَاتُو نَجَّاهَا

الصَّلاَةْ عْلَى مُحَمَّدْ شَارَفْ الأَنْوَارْ ❁ عَدَادْ مَا نَلْكُونْ الدُّنْيَا وسُكَّانْهَا

والرِّضَا عْلَى أَبُو بَكْرْ والسَّيَّدْ عُمَارْ ❁ عُثْمَانْ وعْلِيْ وفَاطِمَة وَوْلاَدْهَا

تتهيأ: الإخوة لإلقاء جوبة.

- الإخوة لإلقاء جوبة في القصّتين يتجلّى في المشهد الذي يصوّر اصطحاب الإخوة ليوسف لتنفيذ خطّتهم واشفاء غلّهم وحقدهم وغيرتهم حيث نرى أنّ الحدث ذكر في القصّتين معا لكن القصة الشعبية قد أضافت حدث التعذيب والضرب ليوسف قبل إلقاءه في البئر، يقول القاص:

قَالُولُو نْزَلْ نَفْنُوكْ ونَرْمُوكْ لَلْقِطَارْ ❁ تَرْتَاحْ قْلُوبْنَا مْنَ الْغِيرَة ومْحَانْهَا

رَبْطُوهْ ويْعَذْبُوا فِيهْ ويَضَرَّبُوهْ بَلْحْجَارْ ❁ رْمَاوَهْ في بِيرْ وقَالُوا لْمُوتْ ثَمَّ تَلْقَاهَا

- يتجسّد الإخوة لإلقاء جوبة تتمى في الفضيحة التي أوقعت امرأة العزيز ويوسف فيها ثمّ تشهير النسوة في المدينة بزوليخا وبحبّها لفتاها ومراودته عن نفسه، فالملاحظ أنّ هذا الحدث جاء في القصّتين معا لكن للقصّة الشعبية إضفاء على القصة القرآنية وذلك بزيادة بعض العناصر كإبلاغ الخادمة زوليخة بما تقوله النسوة في المدينة عنها، ثمّ الشّأن نفسه بالنسبة لحادثة السكاكين حيث ذكرت القصّة الشعبية، كيفية تقطيع أيديهنّ وتحديد نوع الفاكهة المستعملة لديهنّ، يقول القاصّ:

لَخْدِيمَة خَبْرَتْ زُولِيخَة وقَالَتْ مَاذَا صَارْ ❁ للنَّاسْ رَلهِي كَثْرَتْ عْلِيكْ حْدِيثْهَا

النَّسْوَانْ قَالُوا عْلِيكْ هَادَا عَيْبْ وعَارْ ❁ كِيفْ مَرْتْ لْوَزِيرْ تَعْشَقْ في خْدِيمْهَا

إلى أن يقول:

قَالَتْ النْسَا كِيفْ نَاكْلُو التُّفَّاحْ بلا تَقْشَارْ ❁ اعْطَاتْ زُولِيخَة لَمْوَاسْ قَاطْعِينْ لَضْيَافْهَا

دَهْشُو حِينْ شَافُوا دَاكْ الزِّينْ السَحَّارْ ❁ ـقَطْعُو يَدِّيهُمْ ودِيكْ الفَاكْيَة نْسَاوْهَا

ـقَالَتْ زُولِيخَة آيَا عَذْرَاتْ كْبَارْ ❁ انْظُرُوا ـمَاجْرَا بْيَدِّيكُمْ الدَّمْ كْسَاهَا

عْلِيهْ قَطَّعْتُو لَحْمْكُمْ وما جَبْتُو خْبَارْ ❁ ونْتُومْ لُمْتُو زُولِيخَة كِبْلِيسْ غْوَاهَا

- آلئ ـلإخ ـقلإ ـطك ـنكت فيكمن في حدث قدوم إخوة يوسف إلى مصر في كلتا القصّتين، حيث يكاد يكون الحدث واحدا لولا إضافة القاص الشعبي عنصر تعريف إخوة يوسف ونسبهم:

قَالْهُمْ رَاكُمْ ثْقُولُو كِيمَا خُوهْ يا كُبَّارْ ❁ ونْتُومْ آشْ يْجِيكُمْ هَادَا بَتْمَامْهَا

قَالُوا حْنَا في عَشْرَا مَنْ أُمّْ وَاحْدَ بلا غْيَارْ ❁ ـهُوَ وْيُوسَفْ أُمْهُمْ الرَّاحِيلْ اَسْمْهَا

- آلئ ـغلظ هته الاختلافات فيتمثّل في حادثة اختفاء صواع الملك وتفتيش أمتعة الإخوة، فيبدو أنّ القصّة الشعبية اختلفت قليلا هاهنا مع القصّة القرآنية حيث نرى إنّ إخوة يوسف هم الذين يأمرون الحراس بتفتيش رحل بنيامين على غرار القصة القرآنية التي لم يرد فيها هذا، بل كان الأمر كلّه في يد يوسف يقول القاص:

فَتْشُوهُمْ والسَّاقْيَة مَالْقَاوَلْهَاشْ أَثَرْ ❁ إلاّ ـبَنْيَامِينْ لي نْجَا مَنْ تَفْتَاشْهَا

قَالُوا لْخَاوَا ـهَذَا ـعَيْبْ ما فِيهَاشْ تَنْكَارْ ❁ حْنَا فَتْشُونَا وبَنْيَامِينْ اسْلَكْ مَنْ هْوَالْهَا

بْلا شَكّ ـبْغِيتُو تْوَجْهُنَّا لْعَيْبْ وَالْعَارْ ❁ احْنَا مَتْأَكْدِينْ بَللِّي ـهُوَ اللِّي أَدَّاهَا

فَتْشُو بَنْيَامِينْ والسَّاقْيَة بَانَتْ جْهَارْ ❁ فَرْحُو خَاوْتُو وَلْفْضِيحَة لِيهْ تْمَنَّاوْهَا

- آلئ ءخذ هذه الاختلافات يتجلّى في حادثة شفاء يعقوب وعفوه عن بنيه في القصّتين، لكن توجد إضافة طفيفة في القصّة الشعبية، حيث يستبدل القاصّ الشعبي اشتمام يعقوب رائحة يوسف باستنشاق رائحة الجنة:

خْذَا خُوهُمْ لَقْمَجَّة وقْبَلْ مَا يُوصَلْ لَلدَّارْ ❁ ـيَعْقُوبْ شَمْ رْوَايَحْ الجَنَّة يَا مَحْلاهَا

واعْلَمْ بْحَيَاة يُوسَفْ قَلْبُو كَانْ خَبَّارْ ❁ ولَبْشَارَة بْنَجَاة يُوسَفْ كَانْ يَسْتَنَّاهَا

لك تئ:ئلإخةلإ ــ لكي ئخ.

لا يخلو أي نص أعيدت صياغته من حذف أو إضافة، زيادة أو نقصان وقصّة يوسف الصدّيق قد عرفت تغييرا وتحويرا في الأحداث التي لم ترد في النصّ القرآني الذي هو النصّ الأصلي، وتتبلور هذه الاختلافات فيما يلي:

1- حادثة هجرة يوسف إلى فلسطين وزواجه من ابنة خالته وولادة يوسف وبنيامين، يقول القاصّ:

نَبْدَا بْيَعْقُوبْ هْجَرْ عْلَى خُوهْ مْنَ ـلدَّارْ ❁ وَمْشَا لْفَلَسْطِينْ عَنْدْ خَالْتُو زَارْهَا

رَحْبَتْ ـبِيهْ خَالْتُو بِدُونْ غْيَارْ ❁ حَتَّى اكْبَرْ وَتْزَوَّجْ بْرَحِيلْ بَنْتْهَا

رَاحِيلْ زَيْدَتْ ـيُوسَفْ ـيَا حُضَّارْ ❁ يَعْقُوبْ غَايَبْ فَالشَّامْ يْتَاجَرْ فَسْوَاقْهَا

إلى أن يقول:

عَامْ مَنْ بَعْدْ زَادْ بَنْيَامِينْ خُوهْ يَا حُضَّارْ ❁ ـفَرْحَتْ بِيهْ رَاحِيلْ وفْرَحْ زُوجْهَا

2- حادثة وفاة راحيل زوجة يعقوب لم ترد في النصّ القرآني ووردت في القصة الشعبية، يقول القاصّ:

ـيُوسَفْ ـبْلُغْ سَتْ سْنِينْ في لَعْمَارْ ❁ ـتْوَفَّـاةْ رَاحِيلْ يَمَّاهْ ونْتْهَاتْ أَيَّامْهَا

حْزَنْ سِيدْنَا يَعْقُوبْ ودَمْعُو يْسِيلْ كِلَمْطَارْ ❁ ودْعَا اللهْ فِي دَار لنَّعِيمْ يْسَكَّنْهَا

3- زواج سيدنا يعقوب للمرة الثانية، حيث لم يقدر على تربية بنيه لوحده فقرّر الزواج

يقول القاصّ:

يَعْقُوبْ مَا قْدَرْ يْقُومْ بَالْيَتَامَى حَارْ ❁ صَابْ مْرَا مَنْ أَرْضْ كَنْعَانْ وخْذَاهَا.

4- علم الإخوة برؤية يوسف ممّا أدّى بهم إلى التآمر عليه، وهذا لم يذكر في القصة القرآنية، يقول القاصّ:

سَمْعُوا خَاوْتُوا بَلْمْنَامْ وخْذَاوْ عْلِيهْ قَرَارْ ❁ عَزْمُوا يَفْنُوا هَكْذَا الأَمْرْ يَنْتْهَا

5- ذكر الثمن الذي اشتراه به العزيز وتحديده يقول القاص:

بِثْمَنْ دْرَلهَمْ خَلْصُو وَدَّاهْ لَلدَّارْ ❁ رَلِيَسْ الوِزَارَة في مَاصَرْ وحْكَامْهَا

6- تحديد القاص الشعبي لسنّ يوسف عندما شغف زوليخا حبّه وازداد جماله وفتن كل من ينظر إليه، أي عندما وقعت حادثة المراودة:

قْعَدْ يُوسَفْ خْدِيمْ لِيهُمْ بِدُونْ شِعَارْ ❁ حَتَّى بْلَغْ خَمْسَة و عَشْرُون عَامْ بَتْمَامْهَا

نِينْ يُوسَف قْوَا ويَسْلَبْ الأَنْظَارْ ❁ سْلَبْ مَرْتْ لْعَزِيزْ ونَسَّاهَا في شْغَالْهَا

7- نزول سيدنا جبريل ثلاث مرات، الأولى على سيدنا يعقوب يبشّره بولادة يوسف، يقول القاص:

حَتَّى انزَلْ سِيدْنَا جِبْرِيلْ بِإِذْنِ القَهَّارْ ❁ قَالُّوا زُوجْتَكْ بْصَبِيِّ اللهْ غْنَاهَا

سَمَّاهْ اللهْ يُوسَفْ جِيتَكْ بَشَّارْ ❁ ولِلزِّينْ السَّمَاوَاتْ لِيهْ وْهَبْهَا

والثانية ليبشّر يوسف بخروجه من السجن:

حَتَّى انْزَلْ سِيدْنَا جِبْرِيلْ وعْلِيهْ كَانْلُو بَشَّارْ ❁ قَالُّو عَنْ قَرِيبْ تُخْرُجْ مْنَ السِّجْنْ وحْصَارْهَا

والثالثة نزل على يوسف أيضا ليخبره بأنّ الله أمره بأن يتزوّج زوليخا بعد أن ردّ إليها بصرها واستعادت جمالها وبهائها وشبابها، يقول القاص:

أَنْزَلْ جِبْرِيلْ سِيدْنَا يُوسَفْ وقَالُّوا يَا صَبَّارْ ❁ رَبِّ الغَالِي رَاهْ لَّمْرَكْ بَزْوَاجْهَا

سِيدْنَا يُوسَفْ تْزَوَّجْ بِهَا وبْرَاتْ مَلْبْصَارْ ❁ وزَالُّو عْلِيهَا لَمْحَانْ وعَادَتْ لْجَمَالْهَا

8- حادثة موت عزيز مصر وزوج زوليخا، حيث لم ترد في النص القرآني لا ذكرا صريحا ولا إيحاء، في حين جاء الحدث واضحا بيّنا في النص الشعبي، يقول القاص:

اسْتَدْعَاهْ وقَالُّوا رَانِي خْذِيتْ عْلِيكْ قَرَارْ ❁ ـفَوَّضْتَكْ بِمَكَانْـلْعَزِيزْ تَاخُذْهَا

لأَنَّ العَزِيزْ صْبَحْ شِيخْ ـبْلاَ خْيَارْ ❁ فِي مْكَـلنُو تْسَيَّرْ لَبْلادْ وحْكَامْهَا

ـيُوسَفْ حْمَدْ وشْكَارْ مُولانَا لْجَبَّارْ ❁ كِي صْبَحْ رَايَسْ لْوِزَارَة ومْخَازَنْهَا

تَلْتْ شْهُورْ بَعْدْ مَاتْ لْعَزِيزْ يَا حُضَّارْ ❁ رَادْ اللهْـيْفَارَقْ زُولِيخَة وجَمَالْهَا

9- تحايل يوسف وبنيامين على الإخوة العشرة وتدبيرهم أمر سرقة السقاية في القصة الشعبية على غرار القصة القرآنية التي لم يذكر فيها أنّ بنيامين كان على علم بحيلة يوسف قصد إبقاءه عنده ولم يصرّح له في بادئ الأمر بالحقيقة، حتى ذهب إخوته عنهم في المرة الثانية، يقول القاصّ:

ـقَالْ بَنْيَامِينْ عْلَى يُوسَفْ لْيَالِي صَبَّارْ ❁ مَنْـفْرَاقُو عْيُونْ بَابَا لَبْكَا عْمَاهَا

بْكَا يُوسَفْ وقَالْ لِبَنْيَامِينْ كُونْ بَشَّارْ ❁ لَنَا خُوكْ ويَلْزَمْ هَادْ لَمْحَانْ يَنْسَاهَا

تْعَانْقُو لَتْنِينْ بَاكْيِينْ وحَامْدِينْ القَهَّارْ ❁ وارْتَاحَتْ قْلُوبْهُم مَن الفَرْحَة زَالَتْ هْوَالْهَا

قَالْ يُوسَفْ بَاشْ تَبْقَى عَنْدِي يَلْزَمْ تَدْبَارْ ❁ نَتَّهْمَكْ بَالسَّرْقَة ونْشُوفْ حْسَابْهَا

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نشير إلى ما زيد وأضيف من شخصيات في القصة الشعبية، حيث لم ترد في النص القرآني وهي كالآتي، خالة يعقوب، وابنتها راحيل وجبريل، وخادمة زوليخا، أخ يعقوب، زوجة يعقوب الثانية، إبليس الحكيم، العساس (الحارس)، الغلام الذي كان يقود زوليخا الكفيفة.

أمّا فيما يخصّ الحيز فنلاحظ أنّ القصة الشعبية قد ذكر عدة أمكنة وقعت فيها أحداث القصة كفلسطين والشام التي قصدها يعقوب للتجارة والبحار كذكر واد النيل الذي رأى الملك أحداث رؤياه فيه.

نستنتج أنّ القصّة الشعبية قد أضافت الكثير من الأحداث التي لم يتم ذكرها في النصّ القرآني ممّا يدلّ على إبداع القاص الشعبي وسعة خياله لكن في المقابل يعدّ هذا فعل غير جائز لأنها قصة نبي مقدسة ولا ينبغي الزيادة فيها.

ثانيا: الاختلاف في الشكل.

- إنّ أوّل ما نلاحظه من اختلاف بالنقصان في القصّة الشعبية هو غياب حدث همّ يوسف بزوليخة امرأة العزيز عندما دعته إلى المعصية وراودته عن نفسه، لولا أنّ الله نجاه من الفاحشة لوقع في الخطأ، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

أمّا في القصة الشعبية فنجد يوسف يلعن إبليس ويذكّر زوليخا بأفعالها وما تريده من فحش وخطيئة وأنّه لا يريد خيانة سيده.

[1]– سورة يوسف، الآية 24.

- ومن الأحداث التي وردت في النص القرآني أيضا ولم يذكرها القاص الشعبي نجد: ابتهال يوسف وعبادته لله الواحد الأحد ودعوته له قصد تخليصه من الخطيئة التي تريده امرأة العزيز مشاركته فيها، يقول تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1].

فيوسف الصديّق يطلب من الله تعالى أن يصرف عنه كيد النسوة ويبعدهنّ عنه والاّ سوف يغوص في الخطأ والمعصية وبالتالي يصبح من الجاهلين، لكن في القصة الشعبية نرى أن يوسف يختار السّجن هروبا وتخلّصا من امرأة العزيز ولا يذكر استعانة يوسف بالله تعالى.

- عدم ذكر حادثة تفسير يوسف لرؤيا الملك وهو في السجن في القصة الشعبية حيث لمح لها القاصّ الشعبي فقط، لكن القصة القرآنية قد ذكرت الحدث بالتفصيل يقول تعالى:﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[2]، إذن تفسير رؤيا الملك غائبة في النص الشعبي غياب شبه تام.

- ومن الأحداث الغائبة عن النص الشعبي والمذكورة في القصة القرآنية كذلك: ردّ يوسف بضاعة إخوته في رحلهم حتى تكون امتحانا لهم، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ

[1]– سورة يوسف، الآية 33.

[2]– سورة يوسف، الآيات 47-48-49.

وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾[1]، فهو حدث هام مبتور اختلت بحذفه موازين القصة الشعبية، فلو ذكره القاص لكانت القصة أحسن.

ومن الأحداث الناقصة في النصّ الشعبي حدث إكرام يوسف لإخوته حيث تغافل عنها القاصّ، ولم يتعرّض لكيفية الإكرام والضيافة، فنجده يتحاور معهم ويسألهم عن سبب مجيئهم إلى مصر، ثمّ طلبه منهم إحضار بنيامين كي يوفى لهم الكيل، فالقصة القرآنية تذكر الأمر بشكل أوضح، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾[3]، فلفظ جهّزهم يعني أنّ يوسف الصديق قد أكرم إخوته وأعطاهم من الميرة والقمح ما جرت به عادته في إعطاء كل إنسان حمل بعير، وهذا ما لم يرد في القصة الشعبية.

نلاحظ أيضا أنّ القاص الشعبي لم يصوّر لنا موقف يوسف لما أطلع إخوته على حقيقة أنّه وبأنهم أخوهم الذي غدروا به، حيث جسّد لنا صورتهم عندما علموا بالخير حيث شرعوا في البكاء وأبدوا الندامة على ما فعلوه وطلبوا التوبة والغفران، لكن يوسف لم يبد أي اهتمام لما طلبوه منهم، ولما هم فيه من ندم وحسرة وعذاب، فأخذ يسألهم مباشرة عن أحوال أبيه فقط دون أن يذكر لنا ردّة فعل يوسف كما في القصة القرآنية، يقول تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[4].

---

[1]– سورة يوسف، الآية 65.

[2]– سورة يوسف، الآية 59.

[3]– سورة يوسف، الآية 70.

[4]– سورة يوسف، الآيات 90-91-92.

إذن ردّة فعل يوسف واضحة في الآية القرآنية، فهو لم يعاقبهم اليوم على ما فعلوه بالأمس ودعا الله أن يغفر لهم ويسامحهم ثمّ عفا عنهم، وعليه كان أجدر بالقاصّ الشعبي أن يروي لنا كيف واجه يوسف إخوته وهم في حالة ندم وحسرة، كما جاء في النص القرآني.

- ونجد اختلافا آخر بين القصتين يكمن في حذف القصة الشعبية لحدث تشاور الإخوة فيما بينهم لما طلب منهم يوسف إحضار أخيهم من أبيهم، فيتحاورون بينهم كيف يواجهون أباهم بعد أن فرّطوا في يوسف من قبل، أي لقد فعلوها من قبل مع يوسف وسيعاودون الكرّة مع بنيامين ويوسف أصرّ على إبقاء أخيه عنده بتهمة السّرقة الملفقة، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[1]، حيث لما يئسوا من أخذ أخيهم من يوسف بدؤوا يتناجون فيما بينهم لأنهم أخلفوا الوعد كما فعلوا من قبل، فلن يقدروا على مواجهة أبيهم، وهذا لم يذكر في النصّ الشعبي.

[1]– سورة يوسف، الآية 80.

جدول مقارنة بين القصة القرآنية والقصة الشعبية

رقم الآية	الحدث في القصة القرآنية	الحدث في القصة الشعبية
3/1	مدح المولى لكتابه الكريم (القرآن) والعظيم وبداية دينية لقصة حقيقة	مدخل يضع القصة في إطار شعبي ينطلق من المحيط العائلي
6/4	خروج يوسف واخوته للرّعي واللعب	خروجهم للصّيد
15/7	إلقاء يوسف في البئر	حدث بتصرف (زيادة)
18/16	شك يعقوب في أولاده وأمله بإيجاد يوسف عقب مؤامرتهم وخداعهم له	تصديق يعقوب لأولاده وحزنه على فراق يوسف دون تردّد بعد الحادثة
20/19	سرية بيع يوسف	الجهر ببيع يوسف
21	اتخاذ يوسف ولدا	اتخاذ يوسف خادما
24	هم يوسف وزوليخا بالمعصية لولا برهان الله وحمايته له من الخطيئة	لم يرد
25	قد القميص من الدبر من طرف امرأة العزيز	الحدث نفسه
29/27	إدانة خلقية من العزيز لامرأته	الحدث نفسه
25	اتهام زوليخا ليوسف بالفاحشة	الحدث نفسه
31/30	فضيحة في المدينة واجتماع النسوة في مأدبة امرأة العزيز وتقديمها السكاكين لهم والفاكهة	حدث بتصرف (زيادة)
34	دعاء يوسف أمام إلحاح زوليخا	لم يرد
40/36	وعظ يوسف للسجناء ودعوتهم لعبادة الله الواحد الأحد	الحدث نفسه
41	تعبير رؤيا السجينين بطلب من يوسف	الحدث نفسه
48/42	حل عقدة السجن باعتراف زوليخا ببراءة يوسف	الحدث نفسه
49	تكهّن يوسف لعام الخير والرخاء	لم يرد

53	اعتراف النسوة في حضرة الملك	الحدث نفسه
54	ردّ الاعتبار بيوسف	مهمّة موكلة إلى يوسف
55	يوسف يطلب مسؤولية المخازن	يكلّف يوسف بمسؤولية المخازن
57	الاهتمام والتذكير بأجر الآخرة	حدث بتصرف
62/58	يوسف واخوته	حدث بتصرف
65/63	ردّ يوسف البضاعة لإخوته	حدث لم يرد
67/66	عودة الإخوة إلى مصر للكيل	الحدث نفسه
69/68	وصول الإخوة إلى مصر مرة أخرى وتآمر يوسف عليهم	الحدث نفسه
79/70	رحيل إخوة يوسف واعتقال بنيامين	حدث بتصرف
80	تشاور الإخوة	لم يرد
87/81	عودة الأبناء إلى يعقوب	الحدث نفسه
88	العودة إلى مصر للكيل مرة ثانية	العودة إلى مصر بكتاب من يعقوب
92/89	عفو يوسف عن إخوته	لم يرد
93	إرسال قميص يوسف إلى يعقوب	الحدث نفسه
95/94	وجدان وشعور يعقوب	الحدث نفسه
98/96	شفاء يعقوب ودعاءه وعفوه عن أبناءه	حدث بتصرف
99	قدوم الأبوين إلى مصر	قدوم يعقوب والإخوة إلى مصر
101	ختام القصة يوسف بحمد الله ويشكره ويدعوه	ختام القصة الشعبية بحمد القاص لله والثناء عليه

الفصل الثاني

قصة مريم العذراء أم النبي عيسى عليه السلام بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي

1. القصة القرآنية.
   - ذكر الأحداث كما جاءت في القرآن الكريم.
2. القصة الشعبية
   - التعرض للأحداث كما ذكرت في القصة الشعبية.
3. الموازنة بين القصتين
   أ. أوجه التشابه
   ب. أوجه الاختلاف

I- القصّة القرآنية:

إنّ قصّة مريم العذراء وابنها النبيّ عيسى –عليه السلام– من أكثر القصص انتشارا ورواجا بين المسلمين وغيرهم ، عند المثقّفين والعامة ، وكل يرويها حسب ما قرأ عنها أو سمع، وذلك نظرا للأحداث الغريبة والعجيبة التي تحتويها هذه القصّة ،وقد جاءت في مواطن عدّة من القرآن الكريم وأبرزها سورة آل عمران وسورة مريم، وعليه تتبلور أحداثها القرآنية فيما يلي:

يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

يخبرنا الله تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر بيوت أهل الأرض، فاصطفى آدم وذريته والتابعين له، حيث خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء والحكمة، واصطفى نوحا –عليه السلام– وجعله أوّل رسول بعثه إلى أهل الأرض، كما اصطفى آل إبراهيم ومنهم سيّد البشر وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وآل عمران والمراد بعمران هذا وهو والد مريم أم عيسى –عليه السّلام–، وهذا الأخير ينحدر من ذرية إبراهيم –عليه السلام-"يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ اللَّه اِجْتَبَى آدَم وَنُوحًا , وَاخْتَارَهُمَا لِدِينِهِمَا , { وَآل إِبْرَاهِيم وَآل عِمْرَان } لِدِينِهِمْ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ , لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْل الْإِسْلَام . فَأَخْبَرَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ اِخْتَارَ دِين مَنْ ذَكَرْنَا عَلَى سَائِر الْأَدْيَان الَّتِي خَالَفَتْهُ . وَإِنَّمَا عَنَى بِآلِ إِبْرَاهِيم وَآل عِمْرَان الْمُؤْمِنِينَ . وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ آل الرَّجُل أَتْبَاعه وَقَوْمه وَمَنْ هُوَ عَلَى دِينه"[2].

[1]– سورة آل عمران، الآيات 33-34.

2– ابن جرير الطبري /تفسير الطبري /الجزء 6/ص 326– 327

1- ولادة مريم العذراء:

يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، واختلف المفسّرون في تفسير هذه الآية بناء على وجه القراءة[2].

فامرأة عمران هي أمّ مريم واسمها حنة بنت فاقود "بحسب الرواية الواردة في الكتب الأبوكريفية وتمّ اعتمادها في المسيحية أيضا فإنّ والدي مريم كانا عجوزين لا أولاد لهما في حين كانت أمها عاقرا، الأمر الذي كان يعتبر عارا في المجتمع اليهودي القديم، ويجلب تعييرات المجتمع، لكن الربّ أجرى معجزة لوالدتها فحبلت وأنجبت مريم بعد أن نذرت نذرا بأن تهبها لله، فعندما ولدت قدمتها والدتها للخدمة في هيكل سليمان ولها من العمر ثلاث سنوات"[3].

إذن كانت امرأة لا تلد فرأت يوما طائرا يرزق فرخه، فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها فحملت منه، فلمّا تحقّق الحمل، نذرت أن يكون محرّرا، أي خالصا مفرغا للعبادة ولخدمة بيت المقدس[4].

---

[1]– سورة آل عمران، الآية 35-36.

[2]– محمد جمال الدين القاسمي/ محاسن التأويل/ ط1، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت/ 1994/ م2/ ج4/ ص 57-58.

[3]– لجنة من اللاهوتيين بموافقة الخور أسقف بولس باسم/ مدخل إلى العهد الجديد/ القدس/ دار المشرق/ الطبعة السادسة عشر/ بيروت/ 1989/ ص 21-22.

[4]– محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ المجلد الأول/ الطبعة السابعة/ دار القرآن الكريم/ بيروت/ 1402 ه/ 1981م/ ص 287.

يقول البابا شنودة الثالث في مريم العذراء ما يلي: "لا توجد امرأة تنبأ عنها الأنبياء واهتمّ بها الكتاب مثل مريم العذراء...رموز عديدة عنها في العهد القديم، وكذلك سيرتها وتسبحاتها ومعجزاتها في العهد الجديد، وما أكثر التمجيدات والتأملات التي وردت عن العذراء في كتب الآباء...وما أمجد الألقاب التي تلقبها بها الكنيسة...مستوحاة من روح الكتاب"[1].

كانت امرأة عمران تريد ما في بطنها أن يكون ذكرا محرّرا لخدمة البيت، فلمّا جاءت أنثى رأت أنّ ما كانت تريده لن يكون فتحسّرت على ولادتها للأنثى، لأنها لا تستطيع تحقيق نذرها للمولى وبالتالي لن تفي بوعدها لله، ولأنّ الذكر وحده منذور لخدمة بيت المقدس، لكن الله تعالى يعلم أنّ لهذه الأنثى شأن عظيم، أعظم من شأن الذّكور،وهذا معنى فيه إشراق وتصور أكثر للحق ومعناه: أنها تريد ذكرا بمفهومها في الوفاء بالنذر، وليكون في خدمة البيت والله وهبها الأنثى، لكنه سيعطيها بها آية أكبر من خدمة البيت، حتى تقوم الساعة، فهي آية ليست موجودة في غيرها، آية طلاقة القدرة الإلهية ، يقول الطبري في تفسيره " : – حدثنا أبو كريب قال : حدثنا يونس بن بكير قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : – كل مولود من ولد آدم له طعنة من الشيطان ، وبها يستهل الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها ، فإن أمها قالت حين وضعتها : " إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " فضرب دونهما حجاب ، فطعن في الحجاب.

– حدثنا ابن حميد قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو ، عن شعيب بن خالد، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : ما من بني آدم مولود يولد إلا قد مسه الشيطان حين يولد ،

[1]– البابا شنودة الثالث/ ألقاب العذراء/ كنيسة القديس مرقس/ 06 تشرين الأول/ 2010، (مقال).

فيستهل صارخا بمسه إياه ، غير مريم وابنها . قال أبو هريرة :اقرءوا إن شئتم : " إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

– حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن عجلان مولى المشمعل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : – كل مولود يولد من بني آدم يمسه الشيطان بإصبعه ، إلا مريم وابنها.

– حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال : حدثني عمي عبد الله بن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث :أن أبا يونس سليما مولى أبي هريرة حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه ، إلا مريم وابنها " [1].

2- كفالة النبيّ زكريا لمريم:

لمّا ولدت مريم وضعتها أمّها في خروقها ولفتها، ثمّ خرجت بها إلى المسجد، فسلمتها إلى العبّاد المقيمين فيه، فتنازعوا في أيّهم يكفلها، وكان زكريا نبيّهم في ذلك الزمان، يقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، تشير الآية الكريمة إلى قبول الله تعالى نذر أمّ مريم، نتيجة إخلاصها وصدقها، "فمنذ أن نذرت جنينها لله تعالى وطلبت منه أن يحفظها من الشيطان الرّجيم، استجاب الله عز وجل لدعاءها فتربّت هذه البنت أحسن تربية ونشأت في أطهر تربة"[3].

---

[1]– ابن جرير الطبري /تفسير القرآن /الجزء السادس/الأحاديث رقم:6885–6887–6888–6889/ص338–339.

[2]– سورة آل عمران، الآية 37.

[3]– محمد أحمد العمادي أبو السعود/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ 1970م/ م1/ ج2/ ص 29. – محمد بن يوسف الاندلسي أبو حيان/ تفسير البحر المحيط/ط1/ تحقيق–عادل عبد الموجود=

لقد تقبّل الله عز وجلّ مريم من أمّها نذيرة فأنبتها نباتا حسنا فقرنها بالصالحين من عباده، تتعلّم منهم العلم والخير والدّين، فأخذها زكريا فتكفّل بها لأنّه غلبهم في القرعة المجراة على حضانة مريم وكفالتها، فقد قدر الله له أن يكفلها، لتقتبس منه علما جمّا وعملا صالحا، ولأنّه كان زوج خالتها، فكان زكريا كلّما دخل عليها في مكان عبادتها "المحراب" يجد عندها رزقا،أي يجد فاكهة الشتاء في الصّيف وفاكهة الصّيف في الشّتاء، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على كرامات الأولياء، فكلّما سألها عن هذا الخير تقول هو من عند الله، الذي يرزق من يشاء ومتى ما شاء بغير حساب.

3- كيف كفل زكريا مريم:

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾[1].

لمّا جاءت امرأة عمران بابنتها مريم إلى بيت المقدس أراد أهل البيت أن يأخذوها، فقال زكريا أن أولى بها لأنّني زوج خالتها، فقالوا: نحن أحقّ لأنها ابنة إمامنا عمران، عندها قرّروا إجراء القرعة، ولمّا اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة، "فأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فأخرج واحدا منهم، وكان قلم زكريا –عليه السلام–، فطبلوا أن يقترعوا ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر، فأيّهم جرى قلمه على خلاف جريه في الماء، فهو الغالب، ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جري الماء، وسارت أقلامهم مع الماء، ثمّ طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيّهم جرى قلمه مع الماء، ويكون بقية الأقلام قد

=واخرون/ دار الكتب العلمية /بيروت/1993م/ج2/ ص 260. –عبد الله بن أحمد النسفي/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ ط1/ تحقيق: يوسف علي بدوي/ دار ابن كثير/ بيروت/ 1988/ ج1/ ص 250.

[1]– سورة آل عمران، الآية 44.

انعكست سيرها صعدا فهو الغالب، ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم، فكفلها لأنه كان أحق بها شرعا وقدرا لوجوه عديدة"[1].

أمّا فيما يخصّ سنّ مريم لمّا أرسلتها امها إلى بيت المقدس فهو بعد انتهاء الرضاعة والحضانة، وهو الأقرب للقبول لأن القرآن الكريم ذكر بأنّ كفالة مريم كانت بعد الإنبات الحسن[2].

فأخذها زكريا واتخذ لها مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها، وكانت تعبد الله ليلا ونهارا حتى صارت يضرب بها المثل في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصّفات الشريفة، ومن جملة ذلك ما ذكرنا سالفا، كلّما دخل عليها موضع عبادتها وجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه فتقول له مريم هذا رزق رزقنيه الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب، فعند ذلك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه، فدعا الله فرزقه يحيى عليه السلام.

لقد نشأت السيدة مريم العذراء برعاية الله وتربيته لها، فقد ترعرعت ونشأت في جوّ يعبق بالإيمان والإخلاص والعبادة، بعيدة عن الرذائل الخلقية والمفاسد الروحية، وقد كانت كثيرة الاجتهاد في عبادة الله حتى فاقت الأحبار، يُنقل عن ابن عباس أنّه قال: "لمّا بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الأحبار"[3].

---

[1]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ تحقيق صدقي جميل العطار/ دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع/ بيروت لبنان/ 2008م/ ص 418.

[2]– محمد عبد الله ابن العربي/ أحكام القرآن/ ط1/ المجلد 4/ تحقيق عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي/ بيروت 2000م/ وانظر أيضا: علي بن محمد بن حبيب الماوردي/ النكت والعيون/ ط 1/ تحقيق بن عبد المقصود/ دار الفكر العلمية/ بيروت/ 1992م/ ج1/ ص 393.

[3]– محمد حسين نجيب/ حياة السيد المسيح في القرآن الكريم/ ط1/ بيروت/ دار الهادي/ 2002م/ ص 30.

4- اصطفاء الله لمريم على النساء:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

أخبر المولى عز وجل بما خاطبت به الملائكة مريم عن أمر الله، حيث بشرتها بأنّ الله اصطفاها من بين سائر نساء عالمي زمانها، فالمولى عز وجل اصطفى[2] مريم مرتين الأولى اختارها لكثرة عبادتها وزهدها في الدنيا وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس أما الثانيةفمعناها أن الله اختارها وانتقاها على نساء العالمين نظرا لجلالتها وعظمتها واختارها لتكون أمّ النبيّ الشّريف عيسى ،أي أن:" الله اختارك على نساء العالمين في زمانك ، بطاعتك إياه ، ففضلك عليهم ، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " : خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد " يعني بقوله : " خير نسائها " خير نساء أهل الجنة.

–حدثني بذلك الحسين بن علي الصدائي قال : حدثنا محاضر بن المورع قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : سمعت عليا بالعراق يقول : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة.

[1]– سورة آل عمران، الآية 42-43-44.

[2]– انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ الدر المنثور في التفسير المأثور/ ط1/ المجلد 4/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1990/ ص 32/ وانظر أيضا: إبراهيم بن السري الزجاج/ معاني القرآن الكريم واعرابه/ ط1/ تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي/ عالم الكتب/ بيروت/ 1988م/ ج1/ ص 399.

– حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثني المنذر بن عبد الله الحزامي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : خير نساء الجنة مريم بنت عمران ، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد .

– حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله " : واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين "ذكر لنا أن نبي الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول : حسبك بمريم بنت عمران ، وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، من نساء العالمين "[1].

ويذكر الرازي أوجه اصطفاء مريم العذراء كما يلي:

"النوع الأول من الاصطفاء : فهو أمور:

أحدها : أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث .

وثانيها : قال الحسن :إن أمها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين ، بل ألقتها إلى زكريا ، وكان رزقها يأتيها من الجنة .

وثالثها : أنه تعالى فرغها لعبادته ، وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة ورابعها : أنه كفاها أمر معيشتها ، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى.

وخامسها : أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاها ، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها ، فهذا هو المراد من الاصطفاء الأول .

[1]– ابن جرير الطبري /تفسير القرآن/الجزء السادس /الأحاديث رقم:7026–7027–7028/ص394–395.

وأما الاصطفاء الثاني : فالمراد أنه تعالى وهب لها عيسى –عليه السلام – من غير أب ، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة" [1].

5- بشارة مريم:

يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[2]، بعد أن بلغت مريم –عليها السلام– مبلغ النساء جاءتها الملائكة بالبشرى والبشارة: هي الخبر السّار[3].

هذه بشارة من الملائكة لمريم العذراء، وتتمثّل في ولادة المسيح منها بمقتضى الكلمة، لا بمقتضى الذكر والأنثى، نعم سيرزقها الله بولد يكون له شأن عظيم يتكوّن بمجرّد كلمة يقول المولى عز وجل، حيث يقول له كن فيكون، سبحان الله، "البشارة لابدّ أن تكون بخبر عظيم ومفرح، وكانت البشارة بالكلمة، لأنّ الله تعالى يزاول سلطانه في الملك، لا بالعلاج...إنّ الأشياء موجودة بالإرادة، فما أراد الله إظهاره لخلقه، قال له "كن"، فكأنّه يقول له: أظهر لخلقي"[4]، إذن أراد

[1]– محمد فخر الدين بن ضياء بن عمر الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ ط1/ 16 مجلد/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/ 1981م/ ج8، ص 217-218/.*عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري/ لطائف الإشارات/ ط1/ تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 2000م/ ج1/ ص 148.

[2]– سورة آل عمران، الآيات 45-47.

[3]– انظر ابن منظور/ لسان العرب/ ط2/ المجلّد 14/ دار صادر/ بيروت/ 1960م/ ص 60-61.

[4]– محمد متولي الشعراوي/ مريم والمسيح/ إعداد عبد القادر أحمد عطا/ دار الشهاب للطّباعة والنشر/ باتنة/ الجزائر/ 1987م/ ص 36.

الله أن يوجد عيسى من مريم بكلمة منه[1]، وسماه المسيح ابن مريم، ويكون مشهورا بهذا الاسم في الدنيا يعرفه المؤمنون بذالك، "وسمي المسيح قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برئ بإذن الله"[2]، وقيل أيضا: الممسوح من الذنوب.

وقد سماه المولى عز وجل ابن مريم نسبة إلى أمّه حيث لا أب له، ووصفه لنا بأنّ له وجاهة[3] ومكانة عنده بما يوحيه الله إليه من الشريعة والدين، وينزل عليه من الكتاب وغير ذلك ممّا منحه الله به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم عليهم أزكى الصلوات والتسليم أجمعين، زد إلى ذلك أنّه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في صغره وفي كبره وله علم صحيح وعمل صالح، إنّه معجزة إلهية وآية ربانية في قمة الصلاح والإيمان.

نلاحظ أنّ مريم –عليها السلام– لما سمعت بشارة الملائكة لها بالولد تعجّب وأخذت في مناجاة المولى قائلة: كيف يوجد هذا الولد منّي وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغيا ! فقال لها الملك عن الله تعالى: "هذا أمر الله العظيم الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو ما يخلق ما يشاء ومتى يشاء وكيفما يشاء، فهو لا يتأخّر بتاتا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة وفي لمح البصر، أي نأمره مرة واحدة لا متنوية فيه، فيكون ذلك الشيء سريعا مجيبا في حينه"[4].

---

[1]– انظر أحمد بن أحمد بن المهدي ابن عجيبة/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ط2/ تحقيق عمر أحمد الراوي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ج1/ 2005م/ ص 319/ وانظر أيضا: محمود بن عبد الله الحسين الألوسي/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثماني/ ط1/ تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ 1999م/ ج 23/ ص 212.

[2]– محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ المجلد الأول/ ص 283.

[3]– انظر محمد عبده، الأعمال الكاملة (تحقيق: محمد عمارة)/ القاهرة، دار الشروق/د.ت/ ج5/ ص 28-29 بتصرف.

[4]– انظر محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ ط1/ عالم الفوائد/ مكة المكرمة/ 2004م/ ج4/ ص 297-298.

6- مريم وروح الله المتمثّلة في جبريل الملك:

يقول تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾[1].

كما ذكرنا أنّ مريم العذراء كانت من بيت طاهر في بني إسرائيل ونشأت نشأة عظيمة، وكانت إحدى العابدات الناسكات، المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل الدؤوب، وكانت ذات كرامات هائلة فاختارها المولى عز وجل أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام لما لله في الأمر من حكمة وحجة بالغة، ففي إحدى الأيام اعتزلت مريم أهلها وتنحّت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس وهو مكان شاسع ومنعزل، يقال أنها ابتعدت عن أهلها إلى الشّرق،جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم: "أنها تنحت وتباعدت وقال ابن قتيبة واعتزلت، وقيل: وانفردت"[2]، وقد خرجت مستترة ومتوارية عنهم، فأرسل الله حينها إليها جبريل –عليه السلام– متمثّلا في صورة إنسان تام، فلمّا رأته مريم وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنّت أنه يريدها على نفسها، فاستعادت بالرحمن منه وقالت له: إن كنت تخاف الله تذكيرا له فابتعد عنّي –لأن التقي ذو نهية– فخاطبها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من خوف: أنا لست ممّا تظنين، ولكني رسول ربّك بعثني

[1]– سورة مريم الايات16–22.

[2]– الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين/ وبهامشه كتاب تلخيص المستدرك للإمام أبي عبد الله النهبي/ تحقيق محمود مطرجي/ دار الفكر بيروت/ 2002م/ ج3/ ص 196/ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والرسل.

إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1]، فتعجّبت مريم وقالت: كيف يكون لي غلام ولست بذات زوج ولا يتصوّر منّي الفجور ولست ممّن يفعلن الفاحشة والبغي؟ فردّ عليها جبريل[2] قائلا: إنّ الله قال أنه سيوجد منك غلاما، وان لم يكن لك بعل ولم تكوني فاجرة وباغية، لأنه على ما يشاء قدير، فهذا الأمر سهل ويسير لديه سبحانه، وأيضا ليجعل الله في خلق هذا الغلام آية للناس ودلالة وعلامة على قدرته وعظمته سبحانه، فيرحم به العباد وذلك بدعوته لهم إلى الله في صغره وكبره، فمن اهتدى بهديه فهو من الناجين.

وأتمّ جبريل كلامه مع مريم قائلا: أنّهذا أمر الله قد قضاه وحتّمه وقدّره وقرّره، يقول تعالى في سورة التحريم تأكيدا لهذا الحدث: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[3]، حيث ذكر أكثر من واحد من السّلف "أنّ جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها"[4]، والنّفخ فيها من الروح كناية عن عدم ولادة عيسى عليه السلام إلى العادة الجارية في كينونة الولد من تصوّر النطفة أولا ثمّ نفخ الروح فيها، فإذا لم يكن هناك نطفة مصورة، لم يبق إلاّ نفخ الروح فيها وهي الكلمة الإلهية[5].

---

[1]– سورة مريم، الآية 19.

[2]– انظر إسماعيل بن عمر ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ تحقيق محمد إبراهيم/ مؤسسة علوم القرآن بيروت/ 1998م/ ج5/ ص 2212.

[3]– سورة التحريم، الآية 12.

[4]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 427.

[5]– ا.علي الشيخ (تفسير الميزان 17/ 313 نقلا عن)لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام/ دراسة مقارنة/ سلسلة الرحلة إلى الثقلين/ 29، مركز الأبحاث العقائدية/ قسم المقدسة –صفائية– ممتاز/ رقم34.

7- حمل مريم بعيسى عليه السلام وولادته:

يقول تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[1].

استسلمت مريم العذراء لقضاء الله وقدره، فلمّا حملت بعيسى ضاقت ذرعا لما سيكون من حديث الناس عنها، حيث لم تدر ماذا تقول لهم لأنها تعلم أنّهم لا ولن يصدّقونها، فأخبرت امرأة زكريا لأنهم بيت إيمان وتصديق، "كان أوّل من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف النجار، فتعجّب من ذلك عجبا شديدا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها، وهو مع ذلك يراها حُبلى وليس لها زوج، فعرض لها ذات في الكلام، فقال: يا مريم، هل يكون زرع من غير بذر؟ قالت: نعم فمن خلق الزّرع الأول، ثم قال: فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: نعم فمن خلق الشجر الأول؟ ثم قال: هل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، إنّ الله خلق من غير ذكر ولا أنثى، فأخبريني خبرك فقالت: إنّ الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم"[2] فصدّقها.

وأمّا مدة الحمل فقد اختلف فيها،بحيث لم يرد أي نص قطعي يثبت صحتها، ويستفاد من آيات القرآن الكريم، وفي بعض الروايات أنّ الحمل بالمسيح –عليه السلام– لم يكن تسعة أشهر كاملة، بل كان وقتا قصيرا مخالفا، قيل: تسع ساعات لا تسعة أشهر، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق: "أنّ مريم حملت بعيسى تسع ساعات كل ساعة شهر"[3].

[1]– سورة مريم، الآية 22–23..

[2]– ابن كثير الدمشقي قصص الأنبياء/ ص 427-428.

[3]– محمد باقر المجلسي/بحار الأنوار/ ط 3، بيروت/ دار إحياء التراث العربي/ 1983م/ ج14/ ص219.

إنّ الظّاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء، لكن هناك من قال غير ذلك، "فعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعنه أيضا ما هو إلاّ أن حملت به فوضعته"[1]، وقيل أيضا أنها حملت به وقد بلغت سبع عشرة سنة[2].

كما ظهرت مخايل وعلامات الحمل بها شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل اتهمها بعض الزنادقة أنها ارتكبت الفاحشة والزنا مع يوسف النجار الذي كان يتعبّد معها في المسجد، فتوارت عنهم واعتزلتهم كي لا تراهم ولا يروها، قال محمد علي الصابوني": لما حملت به أصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والوحم، وتغيّر اللون، حتى فطر لسانها، فشاع الحديث في بني إسرائيل، فتوارت من النّاس واتخذت من دونهم حجابا، فلا يراها أحد "[3].

والمكان القصي هو المكان البعيد، وقد اختلفت الروايات كثيرا في ذكر هذا المكان القصي، فبعضها يذكر أنّ مريم –عليها السلام– ولدت المسيح في العراق وتحديدا في الكوفة أو النّجف، ويقال في بغداد، وزعم البعض أنّه ولد في مصر والمشهور أنها كانت ببيت لحم في فلسطين وهو الأقرب للصحّة[4].

ظلّت مريم العذراء هكذا إلى أن جاءها الطّلق فاضطرها وألجأها إلى جذع النخلة، في المكان الذي توارت فيه عن الأنظار وهو على حدّ قول العلماء المشهور قرية يقال لها بيت لحم، عندها تمنّت مريم الموت، لأنه عرفت وأدركت أنّها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يصدّقونها النّاس في خبرها، فبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنّون

---

[1]–ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 428.

[2]– انظر علي بن الحسين بن علي المسعودي/ مروج الذهب ومعادن الجوهر/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ بيروت/ المكتبة العصرية/ ج1/ ص 63.

[3]– محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ المجلد الثاني/ الطبعة السابعة/ 1981م/ دار القرآن الكريم/ بيروت/ ص 448.

[4]–أنظر: آملي جوادي/ التوحيد في القرآن/ ط1/ بيروت/ دار الصفوة/ 1994م/ ص 115.

عاهرة فاسقة، فقالت من شدّة فتنتها وخوفها يا ليتني لم أخلق ولم أر شيئا قبل هذا الحمل أو متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا، وعليه فإنّ مريم العذراء تمنّت الموت على هذا الامتحان الذي هي فيه، لكنّ الله أراد أن تكون هي وابنها آية للنّاس ودليلا على قدرته وعظمته ومعجزته.

8- مريم بعد الوضع:

يقول تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1]، يا ترى مَنْ نادى مريم مِن تحتها وكلّمها؟

هناك اختلاف بين المفسّرين في هذا الأمر، فهناك من يقول عيسى ابنها لما ولد هو من ناداها، لكن عيسى لم يرد أنّه تكلّم حتى أتت به قومها ليبرّئ ذمتها، وهناك من يقول جبريل عليه السلام، وهناك من يقول النّهر هو السرّي.

"قال ابن عباس: هو جبريل...ناداها من أسفل الوادي، وقال مجاهد: هو عيسى بن مريم، وقال الحسن: هو ابنها، وعن البراء بن عازب وعن ابن عباس: السري النهر، وقال السّدي هو النهر، وقال آخرون: المراد بالسري عيسى بن مريم -عليه السلام-"[2]، إذن مهما يكن المنادي فقد ناداها وقال لها هزي جذع النخلة، حيث امتن عليها بذلك وجعل عندها طعاما وشرابا حتى تطيب نفسها لأنّه خير غذاء للنفساء هو التّمر والرطب، ثمّ واصل حديثه معها قائلا: مهما رأيت من أحد فقولي بلسان الإشارة أي: صمتا، لن أكلّم اليوم أحدا، لأنّ

[1]- سورة مريم، الآيات 24-25-26.

[2]- محمد علي الصابوني/ مختصر ابن كثير/ المجلد الثاني/ ص 448.

الصّوم عندهم كان يشمل الأكل والكلام، إذن أوصاها المنادي بخمسة وصايا هي عدم الحزن، والأكل والشّرب والصّوم وعدم الكلام مع البشر[1].

يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: إنّ هز جذع النخلة شيء صعب، لأنّك لو أتيت بأقوى رجل في العالم ليمسك نخلة من جذعها ويهزّها فلن تسقط عليه رطبة واحدة، لأنّه جذع ثابت لكن الحق سبحانه أراد أن يجمع بين شيئين هما: "طلب الأسباب مع الاعتماد على المسبّب..."[2].

9- مريم واتهام قومها لها بالفاحشة:

يقول تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[3].

بعدما أمرت مريم أن تصوم يومها ذاك، وأن لا تكلّم أحدا من النّاس، فإنها ستكفي أمرها ويقام بحجتها، فسلمت الأمر لله واستسلمت لقضاءه وقدره، فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله، فلمّا رأوها أعظموا أمرها واستنكروه جدّا، فقالوا لها: يا مريم ما هذا الذي فعلت؟ لقد ارتكبت خطأ كبيرا ومنكرا عظيما، عندها شبهوها بهارون في العبادة، فقالوا: (يا أخت هارون): أنت من بيت طاهر وعفيف معروف بالعبادة والصّلاح والإيمان، فكيف فعلت هذا؟ وكيف صدر منك الخطأ؟ "قيل: نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تقاس

[1]- انظر تفسير الآية في كتاب: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ م6، ج11/ ص 64.

[2]- محمد متولي الشعراوي/ مريم والمسيح/ تحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة/ القاهرة/ مكتبة التراث الإسلامي/ ص 108-109.

[3]- سورة مريم، الآيات 27-28-29.

به في الزهادة والعبادة"[1]، وليس هارون النبيّ لأنه شتان بين زمنيهما، إذن استغرب قومها ممّا رأوا مريم فيه، فلا هي باغية ولا أبوها ولا أمها ولا أخوها، فاتهموها بالفاحشة العظمى والزنا، ورموها بأبشع القذائف حيث اتهموا بها زكريا النبيّ وأرادوا قتله، ومنهم من اتّهم بها يوسف النجار ابن خالها، فلمّا ضاق بها الحال وتفاقم الأمر وانحصر المجال وامتنع المقال عظم التوكّل على ذي الجلال والإكرام، ولم يبق إلاّ الإخلاص والاتكال على الله، فأشارت إليه في مهده موحية إليهم بيديها أي: ها هو ذا ابني فكلّموه وخاطبوه، فإنّ جوابكم عنده وما تبغون من كلام لديه لتبرأ من قذائفهم واتهاماتهم، يقول تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[2].

10- عيسى بن مريم يبرئ والدته من الفاحشة وهو في مهده صبيّا:

يقول الله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

لما استراب بنو إسرائيل في أمر مريم واستنكروا قضيتها، وقالوا ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية، وقد كانت يومها هذا صائمة صامتة، فأحالت الكلام إلى ابنها عيسى، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه وهو في المهد، فقالوا متهكمين بتا ظانين أنها تزدري وتلعب بهم، بحيث لما أشارت إليه غضبوا غضبا شديدا وقالوا هذا استهزاء بنا، وتنقص لنا وانّ هذا لأشدّ وأعظم من زناها لأنها لا ترد عليهم قولا نطقيا، بل تحيلهم في الجواب إلى من هو في

[1]– محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ المجلّد الثاني/ ص 448.

[2]– سورة النساء، الآية 156.

[3]– سورة مريم، الآيات 29-30-31-32-33.

المهد صبيا فعندها نطق عيسى بن مريم –عليه السلام– بأوّل كلمات قالها في حياته، حيث اعترف لربّه بالعبودية، فنزهه الله سبحانه وتعالى عن قول الظالمين في زعمهم انّه ابن الله وبرّأه عن الولد، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثمّ برأ أمّه ممّا نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه، إذن لقد نطق ابن مريم بالقول الحق فبرأها الله على لسانه وأثبت أنها صديقة وشريفة، واتخذ ولدها نبيّا مرسلا أحد أولى العزم الخمس الكبار صلوات الله وسلامه عليهم، كان يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونزّه جنابه عن النّقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدّس وأوصاه بالصلاة والإحسان إلى الخلق والزكاة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على طهارة النّفوس من الأخلاق الرّذيلة، وثبات براءة والدته وربّه ممّا نسب إليهم.

فالله عز وجل لم يجعله جبّارا مستكبرا عن عبادته وطاعته، وبر والدته فيشقى بذلك، بل أثبت عيسى بن مريم –عليه السلام– بكلامه عبوديته لله عز وجل وأنّه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق.

II- القصة الشعبية:

إنّ القرآن الكريم هو مصدر هام من مصادر القصص الشعبي، بحيث تحتويه الذاكرة الشعبية لتعيد تركيبه وتشكيله حسب الخيال والنّمط الشعبي المتعارف عليه، فتضفي عليه بعض التغييرات والتحويرات حسب المواقف والأحداث والدّليل على ذلك هو أنّ أغلب القصص التي وردت في القرآن الكريم وجدت في العهد القديم في شكل تراث قديم، ومنه يسقي القاصّ أو الباحث الشعبي مادته، ومن بين القصص القرآنية التي أعيدت صياغتها

ونسجها ضمن قالب شعبي شعري نجد قصّة مريم العذراء المعروفة باسم راشدة عند عامّة الناس[1]، حيث تتبلور أحداث قصّتها فيما يلي:

1- عمران العابد والشيطان:

تبدأ قصة مريم –عليها السلام– بعد ما سبّح الشاعر الشعبي وصلّى وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين بإخبارنا عن قصة عابد كان يتعبّد ويصلّي لمولاه في مكان خال بعيد عن أعين النّاس.

كان يعبد الله بنية صافية لا شوائب فيها ولا نفاق، فأتاه الشّيطان كي يشغله عن العبادة ويلهيه عن طاعة الله، فوجده يتوحّد باليقين أي بالواحد الأحد، فأخذ بعظم قديم أتى به من أحد القبور، ورمى به في حجر هذا العابد بعنف وشدّة، وقال له الشيطان: "أحيي لي هذا العظم وردّه بشرا، إن كنت من القادرين على ذلك؟

فقال العابد: اذهب فأنت من جنس حرام، وشيطان أخرس بلا كلام، كيف تقول هذا؟ فالله هو وحده القادر على إحياء العظام وجعلها ذات روح من جديد، فهو سبحانه وتعالى قادر على كلّ شيء؟ وأنا لا أستطيع فعل هذا؟ عندها صدّه، فذهب الشيطان ولم يعد، يقول القاصّ الشعبي في هذا المجال:

قِصَّةْ عَلبَدْ فِي خَلْوْتُو ❁ يَعْبدْ فِي الله بْنَيْتُو

جَاهْ الشَّيْطَانْ يْقَلْتُو ❁ صَلبُو مَتْوَحَّدْ بَالْيَقِينْ

جَابْ عْظَمْ رَاشِي مَقْبَرْ ❁ لاحُو في حْجَرْ بَالْغْزَرْ

1-القصة مروية من نظم الشاعر الشعبي عبد القادر المغرابي وأداها غناء الحاج رابح درياسة:**هو** مغني ومؤلف موسيقي وملحن وكاتب كلمات جزائري من رواد وعباقرة الأغنية الجزائرية الأصيلة، متشبع بالطابع الشعبي الجزائري البدوي الاصيل ولـــــد في 1 جويلية 1934 بعاصمة الورود البليدة،يغني الأغنية البدوية والجزائرية الملتزمة والمحترمة،و يحظى الشيخ رابـــح درياسة بمكانة مميزة لدى الجمهور في الجزائر والخارج لسلامة وعذوبة أغانيه ويحترمه كل الجزائريين بجميع مستوياتهم.

قَالُّوا تَحْيِـلِي ذَا البَشَرْ ❁ كَانْ نْتَايَا مْنَ الْوَاصْلِينْ[1]

قَالُّوا اذْهَبْ يَا جَنْسْ الحْرَامْ ❁ أَنْتَ شَيْطَانْ بْلا كْلاَمْ

رَبِّي هُوَ مُحْيِ العِظَامْ ❁ بَعْدْ اللِّي كَانُوا رَاشْيِينْ

2- العابد والعظم المعجزة:

ذهب الشيطان وترك العظم للرّجل العابد، فقرّر هذا الأخير حفر حفرة ودفن العظم فيها، فلمّا فعل أخذت شجرة تخرج من تراب هذه الحفرة التي دفن فيه العظم، فأصبحت شجرة ذات تمر طيّب وحلو وجميل وكان مكانها في مصر، فلمّا رآها النّاس ذهلوا ودهشوا في خلقها وثمارها، لأنهم لم يروا مثلها من قبل، فأصبحوا يزورونها كلّ جمعة واثنين، وأصبحت الفتيات يقصدنها لما وجدن فيها من تحقيق الأماني والأحلام، فكلّ واحدة تأكل من تمرها وتنوي في نفسها حاجتها إلاّ وتحقق مرادها ومبتغاها، فأصبحت تلك الشجرة بشرى للزائرين والوافدين إليها، يقول القاصّ الشعبي ما يلي:

رَاحْ الشَّيْطَانْ أَمْشَا وغَابْ ❁ خَلاَّلُو[2] العْظَمْ يا حْبَابْ

احْفَرْ حُفْرَة بَالصْوَابْ ❁ دَفْنُوا فِيهَا يَا سَامْعِينْ

مَنْ ذَا الحُفْرَة وَتْرَابْهَا ❁ طَلْعَتْ شَجْرَة بَتْمَارْهَا

فَتْحَتْ مَاصَرْ بِيبَانْهَا ❁ وصَابَتْ شَجْرَة بَتْمَارْ زِينَ

حَارَتْ في خَلْقَتْهَا لَعْبَادْ ❁ مَا كَانْ مَثْلْهَا في للبْلادْ

[1]– قصيدة شعبية من أداء الحاج رابح درياسة.

[2]– خلاّلو: ترك له.

ولاّتْ[1] زْيْارَتْهَا عْنَادْ ❁ في يُومْ الجُمْعَة والتْنِينْ

دَارُوهَا[2] نُزْهَة لَلْحَيَاةْ ❁ صَابُو[3] فِيهَا سَعْدْ[4] البَنَاتْ

كُلّ أَخْرَى نَالَتْ ما نْوَاتْ ❁ صَبْحَتْ بُشْرَى للزَّايْرِينْ

3- ابنة العابد (مريم – راشدة):

يصف لنا الشاعر الشعبي ابنة ذاك العابد الزاهد، فيقول أنها طفلة تشبه الهلال في الجمال والتربية والأخلاق والتديّن، حيث كانت تعبد مولاها، فأرادها أن تكون بما قدره عليها وأن تنفذ أمره دون تراجع، ثمّ يقول أنها خرجت ذات خميس لتزور تلك الشجرة الخضراء المثمرة، فقالت لها مثيلاتها من الفتيات قومي وجرّبي مذاقها مثلما جرّبنا نحن، يقول القاصّ في هذا الصّدد ما يلي:

ذَاكْ الْعَابَدْ يا مَنْ تْسَالْ ❁ عَنْدُو طَفْلَة مَثْلْ لَهْلالْ

تَعْبَدْ مُولاهَا بَالْكْمَالْ ❁ رَادْ[5] عْلِيهَا يَا سَامْعِينْ

خَرْجَتْ اتْزُورْ[6] يُومْ الْخْمِيسْ ❁ دِيكْ[7] الشَّجْرَة خَضْرَا سْلِيسْ[8]

---

[1]– ولات: أصبحت.

[2]– داروها: فعلوها.

[3]– صابوا فيها: وجدوا فيها.

[4]– سعد: من السعادة: السعد هو الزوج بالعامية.

[5]– راد عليها: أرادها أن...

[6]– اتزور: تزور.

[7]– ديك: تلك.

[8]– سليس: شديدة الخضرة.

قَالُوا لِيهَا نُوضِي[1] اتْقِسْ[2] ❁ كِيمَا قُسْنَا احْنَا كَامْلِينْ

4- إعجاب الطفلة بالشجرة ومذاقها:

استجابت الطفلة لطلب صديقاتها ونهضت متثاقلة ومسكت بالغصن الأكثر ثقلا في الشجرة، فمال عليها الغصن بحليب لذيذ المذاق وجميل الرائحة، فلمّا تذوّقت منه أعجبها مذاقه حيث جاءها أحلى من السّكر والزبيب في الحلاوة، في حين أن كل النسوة لما تذوقن منه لم يعجبهنّ، وقلن أنّه كريه ومرّ المذاق، لكنّ الطّفلة أعجبها لدرجة كبيرة حيث أنها لمّا شربت ذاك الحليب، كبرت ولم تعد طفلة، فأصّرت أن تأكل من ثمر الشجر لأنه لذيذ بالنسبة لها وحلو المذاق وجميل، يقول الشاعر ما يلي:

نَاضَتْ[3] الطَّفْلَة بَلْمْهَلْ ❁ شَدَّتْ في الْغُصْنْ اللِّي[4] اثْقَلْ

ـمَالْ الغُصْنْ عْلِيهَا ❁ كَبّ عْلِيهَا بَحْلِيبْ زِينْ

ذَاقَتْ مَنُّو جَاهَا عْجِيبْ ❁ أَحْلَى مْنَ السُّكَّرْ والزْبِيبْ

كُلّ النَّسْوَة ذَاقُوا نْصِيبْ ❁ ـقَالُوا بَاسَلْ[5] وَ حْلِيبْ شِينْ[6]

ـلَمَّا ذَلقَتْ ذَاكْ اللَّبَا ❁ ـفَاتْ عْلِيهَا حَالْ الصَّبا

زَادَتْ رَغْبَتْهَا حَابَّة[7] ❁ ـتَلكُلْ ثَمْرُو جَاهَا[8] بْنِينْ

---

[1]– نوضي: قومي.

[2]– اتقيس: تجرّب.

[3]– ناضت: قامت.

[4]– اللي: الذي.

[5]– باسل: عكس لذيذ (كريه).

[6]– شين: غير جميل.

[7]– حابة: تحبّ وتريد.

[8]– جاها: أتاها، جاءها.

5- حمل الطفلة من أكلها ثمر الشجر:

لقد أعجبت البنت بثمر تلك الشجرة فأخذت تنزع وتأكل، فبمجرّد وصول ذاك التمر إلى بطنها بلغ رحمها فحملت منه في حينها وكان هذا سابق لها ومكتوب عليها عند الله، شيئا فشيئا بدأ حملها في الظهور وخاصّة لما بلغت ثلاثة أشهر، وبدأت علامات الحمل تبدو عليها، حيث تبدّل لون وجهها فأصبح شاحبا وجفّ فمها فأصبحت من المتوحمات، كيف؟ وماذا تفعل؟ لأنها لم تستطيع إخفاء ما ظهر وأصبح الناس يتحدّثون عنها جهرا لا سرّا، وهو يزيد شهر بعد شهر ويكبر أمام عيون الناظرين، يقول الشاعر الشعبي في هذا المجال ما يلي:

قَلْعَتْ[1] ثَمْرَة وَ اكْلاتْهَا ❁ ثَمَّة[2] بَلْغَتْ لأَرْحَامْهَا

حَمْلَتْ مَنُّو[3] في حِينْهَا ❁ وكَانَلْهَا سَابَقْ[4] في الْجْبِينْ

ثَلْثْ شْهُورْ ظْهَرْ حَمْلْهَا ❁ واصْمَاطْ[5] الرِّيقْ في فُمْهَا

في الْحِينْ ابْدَّلْ حَالْهَا ❁ وصَبْحَتْ مْنَ الْمَتْوَحْمِينْ

ما قَدْرَتْ تَخْفِي ما ظْهَرْ ❁ بَانْ[6] عْلَى حَالُوا في الْجْهَرْ

ويْزِيدْ شْهَرْ عْلَى شْهَرْ ❁ يَكْبَرْ ـقُدَّامْ[7] النَّاظْرِينْ

---

[1]– قلعت: نزعت.

[2]– ثمة: عندها.

[3]– منّو: منه.

[4]– سابق: مكتوب (في حينها) عليها.

[5]– اصماط: تغيّر طعمه وأصبح مرّا.

[6]– بان: ظهر.

[7]– قدّام: أمام.

6- موقف أم راشدة منها:

لمّا رأت الأم ما يحدث لابنتها تعجّبت، واستنكرت أنّ ابنتها المربية والطائعة والعابدة الطاهرة تفعل المنكر والفاحشة، فسألها قائلة: ما الذي فعلت يا راشدة؟ سأرسل لأبوك يأتي غدا، ويذبحك ويقبض عمرك دون أن يلين قلبه أو يشفق عليك ممّا فعلت، فأجابت البنت قائلة: يا أمّي ما الذي دهاك؟ فأنا ابنتك التي ربّيتها على الأخلاق والطّاعة، فأنا لا أنام إلاّ أمامك، وأينما تذهبين أذهب معك، فكيف تتهمينني بكلام فاحش كهذا؟ حيث يقول القاصّ أو الشّاعر في هذا المجال ما يلي:

قَالَتْ يَايَمَّا[1] وَاشْ[2] دَا ❁ وَاشْ أَعْمَلْتِي يَا رَاشْدَة

نَرْسَلْ لْبُوكْ يْجِي غْدَا ❁ ويَقْبَضْ عُمْرَكْ وْمَا يْلِينْ

قَالَتْ يَايَمّا وَاشْ جَاكْ ❁ يَاكْ ما نَرْقُدْ إلاّ احْدَاكْ[3]

وِينْ أَمْشِيتْي نَمْشِي مْعَاكْ ❁ تَتَّهْمِينْي بِكْلاَمْ شِينْ

7- تخوف أم راشدة من كلام الناس:

إنّ راشدة تعلم حالها وما جرى عليها ومتأكّدة من أنها لم ترتكب الفاحشة وأمها كذلك، لكن ما يظهر أمام أعين الناس وما يراه الحاقدين غير ذلك، لذلك قالت لها أمها وهي خائفة جدا من كلام الناس حولها: ماذا أفعل أمام النساء وكلام الناس الحاقدين؟ ماذا أقول لهم عند ما يسألوني عنك؟ ماذا أفعل مع أهلي؟ كيف أتصرّف مع هذا الهمّ الذي أصابني، وكيف أواجه هذه المصيبة وسط الناس، وليس لديّ أي دليل على براءتك؟

---

[1]– يماها: أمها.

[2]– واش دا: ما هذا؟

[3]– احداك: أمامك.

فالأمّ المسكينة تتعذّب لما أصاب ابنتها وهي تعلم أنها صالحة وليست من يرتكب الفاحشة،وفي الوقت نفسه ليس لديها ما يبرئ ذمة ابنتها، حيث يقول الشاعر في هذا الصّدد:

قَالَتْ يَمَّلهَا ـيَابْسَا[1] ❁ مَنْ ذِيكْ[2] الْحَالَة الْبَاخْسَة[3]

وَاشْ انْدِيرْ[4] أَقْبَالْ[5] النْسَا ❁ وَكْلامْ النَّاسْ الْحَاقْدِينْ

كِيفَاهْ ـلنْدِيرْ مْعَ أَهْلِي ❁ مَنْ ذَا الْهَمّْ اللِّي صَارْ لِي

ـيَا بَنْتِي وَاشْ تْسَلِي ❁ خَلِّيتِينَا ـمَتْعَذْبِينْ

8- ردّ راشدة على أمها:

تحسّرت راشدة ممّا تقوله أمّها وممّا أصابها فردّت عليها قائلة: يا أمّي لا تظنّي بي الظنون لأنه لم يحدث إلاّ ما أمر به المولى عز وجل فهو سبحانه وتعالى أراد أمرا فقال له كن فكان، عندها أدركت راشدة أنّ موقفها صعب جدّا، فتمنّت الموت، وقالت: لو أجد الموت للشّراء لاشتريته وأنتهي من هذا الأمر ولا أعصي والديّ، نلاحظ أنّ راشدة تمنّت الموت وفضّلته على الحالة التي هي فيها، يقول الشاعر في هذا المقام ما يلي:

قَالَتْ يَا يَمَّا مَا صْرَى[6] ❁ إلاّ حُكْمْ الْمَوْلَى أَجْرَى

لَوْ نَوْجَدْ الْمُوتْ للشرَى[7] ❁ و لا عَصْيَانْ الْوَالْدِينْ

---

[1]– يابسا: متجمدة من شدّة الموقف.

[2]– ذيك: تلك.

[3]– الباخسة: الدنيئة.

[4]– اندير: أفعل.

[5]– أقبال: أمام.

[6]– صرى: حدث.

[7]– للشرى: للشراء.

9- ردّة فعل والد راشدة:

رجع والد راشدة من سفره ولم يكن يعلم بشيء، ولمّا سمع بالخبر، نزل عليه وقعه كالصاعقة، فذهل ممّا سمع ولم يصدّق أن ابنته تفعل أو فعلت ما يقال عنها، لكن لما رآها قسا قلبه وأصبح أكثر من الحجر شدّة وقساوة فذهب لابنته وقال: يا ابنتي ما هذا الذي أسمعه؟ ماذا في الأمر من صحّة؟ هل حقّا أنت من ارتكب الفحش والزنا كما يقال عنك؟ فأنا لم أعهدك هكذا؟ ولم أربيك على هذا المنكر؟ يقول الشاعر ما يلي:

حِينْ اسْمَعْ بُوهَا ذَا الْخْبَرْ ❁ قَلْبُو عَادْ أَقْسَى مْنَ الْحْجَرْ

قَالْ لْبَنْتُو وَاشْ ذَا الأَمْرْ ❁ يَاقَلَّه مَا فِي النَّاقْصِينْ[1]

10- تفسير راشدة لأبوها ما حدث:

استرأفت راشدة حالتها وطلبت من والدها الرأفة والحنان والرّفق بها، فهو الصدّيق والأب والرفيق في الوقت نفسه، ثمّ طلبت منه أن يسأل القاضي وعلماء البلاد كلّهم عن الأمر فيعطوه الجواب عمّا يسأل، ثمّ قالت له أيضا واذا أردت قتلي بلا سبب، فماذا تفعل يوم الحساب أمام المولى عز وجل عندما يسألك مالك الرقاب عن سبب قتلي بلا ذنب؟ فماذا تقول له؟ لأنّ الله وملائكته على حالتي وما أتا عليه شاهدين وعالمين.

خاف الأب لمّا سمع كلام ابنته من الغلط والظّلم ويصبح من النادمين على ما فعل من حرام وما اقترف من خطأ وظلم، يقول الشاعر الشعبي في هذا المقام ما يلي:

قَالَتْ يا بُويَا يَا صْدِيقْ ❁ حَنْ عْلِيَّ وكُونْ لِي رْفِيقْ

سَالْ الْقَاضِي يَلْقَى طْرِيقْ ❁ سَالْ الْعُولاَمَا كَامْلِينْ

[1]– الناقصين: الخاطئين والآثمين.

واِذَا تَقْتُلْنِي بْلاَ سْبَابْ ❁ كِيفَاهْ تَعْمَلْ يُومْ الْحْسَابْ

كِي يْسَالَكْ مَالَكْ الرْقَابْ ❁ رَبِّي ومْلاَكُو شَاهْدِينْ

كِي قَالَتْ لُو ذَاكْ الكْلاَمْ ❁ خَافْ مْنَ الْغَلَطْ والمْلامْ

خَايَفْ يَظْلَمْ بَنْتُو حْرَامْ❁ و يَصْبَحْهَا مِنَ النَّادِمِينْ

11- مساءلة الأب للعلماء:

ترك الولد راشدة في البيت، وذهب إلى جامع الأزهر كي يسأل العلماء والفقهاء عن الأمر، فلمّا دخل عليهم وجدهم فوق زرابيهم جالسين يذكرون الله، فألقى عليهم السلام فردوها عليه ثمّ سألوه: خير ما أتى بك أيها الرّجل الحزين؟ عندها لم يستطع النّطق بلسانه ولو بكلمة واحدة وظهر الحزن على وجهه باديا من شدّة خوفه على ابنته من الهوان والمذلّة والسوء، لأنّه أب يخاف على ابنته وحنانه عليها يمنعه من الحديث عنها بسوء.

عندها ألحّ عليه علماء الأزهر ونصحوه بالكلام والبوح بما جاء به وعدم الخجل، وأبدوا له كلّ الطمأنينة والارتياح كي لا يخجل ويروي لهم قصّته مع ابنته، كما وعدوه بأن يكونوا له من النّاصحين والمتدبرين لأمره، لما ضاق ذرعا ولم يعد يطيق صبرا انفجر فؤاد الوالد وتحدّث لسانه قائلا: يا أيها العلماء أغيثوني وأعينوني، يا أحباب الله ما عقاب من تعصي مالك الرّقاب؟ ما هو جزاءها يا أهل الفهم والعزم؟ يقول القاصّ ما يلي:

خَلَّى[1] بَنْتُو وَمْشَى يْسَالْ ❁ في الْجَامَعْ لَزْهَرْ يَا رْجَالْ

صَابْ[2] السَّادَاتْ أَهْلْ الكَمَالْ ❁ ـفُوقْ زْرَابِيهُمْ جَالْسِينْ

حِينْ وْصَلْ تَحَّا بَالسَّلاَمْ ❁ رَدُّولـُو بَوْجَابْ الكْلاَمْ

[1]– خلّى: ترك.

[2]– صاب: وجد.

قَالُوا لُو الْعُولاَمَا الكِرَامْ ❁ خِيرْ مَا جَلبَكْ يَا حْزِينْ

مَا طَاقْشْ[1] يَنْطَقْ بَاللِّسَانْ ❁ وَظْهَرْ الْحُزْنْ عْلِيهْ بَانْ

خَافْ عْلَى بَنْتُو مْنَ الْهْوَانْ ❁ هَادَاكْ حَنَانْ الْوَالْدِينْ

قَالُوا الْعُولاَمَا مَا تْقُولْ ❁ وَاشْ اللِّي[2] جَابَكْ[3] يَا خَجُولْ

مَا تَخْجَلْشِي مَنْ أَهْلْ الْعُقُولْ ❁ هُوَ مَا لَقْطَابْ النَّاصْحِينْ

قَالْ لْهُمْ شْيَا حْبَابْ ❁ فِيدُونِي بِحْدِيثْ الصْوَابْ

مَنْ تَعْصِي مَالَكْ الرْقَابْ ❁ وَاشْ دْوَلهَا[4] يَا فَاهْمِينْ

12- قرار مجلس العلماء:

لمّا اشتدت حيرة الأب في أمر ابنته ولم يجد حلاّ ينصفهما معا، قرّر مشاورة العلماء والفقهاء في البلاد، فلمّا ذهب واستشارهم في أمرها تعجّبوا وذهلوا ونطقوا كلّهم مرة واحدة بأصواتهم، إن من يفعل هذا ويعصي أمر الله عز وجل عقابه وجزاءه الرجم بالحجارة، حقا إنه لقرار صعب على الوالد والبنت معا، فالمسكينة لا ذنب لها ممّا يفعلوه فيها، فهي بريئة كل البراءة ومكذوب كل ما قيل عنها، لكن قرار المجلس الأعلى للبلاد صدر، ولابدّ من تنفيذه، حينئذ ناد مناد منهم للنّاس أي: سكان تلك المدينة كلّهم، فلبّى كلّ واحد منهم سمع النّداء، فمنهم من فرح لأمر رجمها ومنهم من هو حزين يعلم بحالها ويشفق عليها، ثمّ بعدها أتوا بالمسكينة راشدة بكلّ عنف وقوة، ووضعوها في باب الرجم كي ترجم من طرفهم وهي تبكي ودموعها تنهمر من شدّة القهر والظّلم، ونفسها مكسورة وتنادي: يا أحباب الله أنا بريئة

[1]– ماطاقش: لم نستطع.

[2]– واش اللي: ما الذي.

[3]– جابك: أتى بك.

[4]– دواها : ما مصيرها، جزاءها.

ممّا تظنّون، أخذت تترجّاهم وتتوسّل إليهم، لكن لا دليل ولا حجّة على كلامها، ويكمن قول الشّاعر الشعبي فيما يلي:

نَطْقُوا السَّادَاتْ بْصُوتْهُمْ ❁ ـقَـلـلُوا تَتَّرْجَمْ كُلْهُمْ

نَادُوا النَّاسْ وجَاوْهُمْ[1] ❁ بَللِّي فَارَحْ بَللِّي احْزِينْ

جَابُوا الْمِسْكِينَة بَالْعْزَمْ ❁ حَطُّوهَا[2] في بَابْ الرَّجْمْ

تَبْكِي الْخَاطَرْ يَنْهْزَمْ ❁ و تْنَادِي بْجَاهْ الْمُرْسَلِينْ

13- المفاجأة التي أوقفت الرّجم:

قرّر أهل العلم والفقه بعد الاجتماع أن ترجم راشدة أمام الملأ جزاء لها على ما اقترفته من خطيئة، وعصيانها لربها حسب آرائهم والواقع الحق غير ذلك، فلمّا اجتمع النّاس كلّهم بحضور قاضي البلاد والعلماء وأهل العدل سمعوا صوت صبيّ يتكلّم بالجهر ويسألهم عن الأمر الذي هم من أجله في اجتماع والمام بالناس، فأجابوه بأنّ هاته الطّفلة الموضوعة في باب الرّجم قد عصت مولاها وارتكبت خطأ يجب رجمها عليها، ونحن لا نتهمها ظلما وانّما لدينا الحجة القاطعة وشواهد الإثبات وبموافقة العلماء والوالدين، عندها أمرهم هذا الصبيّ بالتوقف والتريّث وقال: أين كبيركم؟ سأذهب إليه لمشاورته في أمر هاته الفتاة، ثمّ أعود إليكم بالخبر اليقين والجزاء الصحيح؟ وأسأله لما سألتكم إن كان موافق على ما تفعلون بها؟ فعندها ذهب الصبيّ إلى كبيرهم، ثمّ عاد ولمّا بدأ يتكلّم دهشوا لمّا سمعوا كلامه الرزين والرشيد، أي فكيف لصبيّ صغير ينطق بهذا الكلام الصائب والحكيم، يتمثّل قول القاص فيما يلي:

[1]– جاوهم: جاءوا إليهم.

[2]– حطّوها: وضعوها.

كِيفْ اجْتَمْعُوا نَاسْ الفْضُولْ ❁ بَحْضُورْ الْقَاضِي الْعُدُولْ

سَمْعُوا وَاحَدْ الصَّابِي يْقُولْ ❁ وَعْلاَشْ[1] أَهْنَا مَتْلاَيْمِينْ[2]

قَالُوا الطَّفْلَة اعْصَاتْ ❁ لاَزَمْ تَتَّرْجَمْ في الحْيَاةْ

بَالحُجَّة وَشْهُودْ الثَّبَاتْ ❁ وَالْعُولاَمَا وَلْوَالْدِينْ

قَالَ لْهُمْ وِينْ[3] لكْبِيرْكُمْ ❁ نَمْشِي لْعَنْدُو[4] ونْجِي[5] لْكُمْ

ونْسَلْلُو كِيمَا سْأَلْتُكُمْ ❁ كَانْ عْلِيهَا مُنَافْقِينْ

رَاحْ الصَّابِي مَنْ بَعْدْ عَادْ ❁ جَاهُمْ مْعَ قَاضِي للْبْلاَدْ

يَتْكَلَّمْ بَكْلاَمْ للرْشَادْ ❁ سَمْعُولُو قَاعْ[6] الْحَاضْرِينْ

14- إنقاذ الصّبي لراشدة:

ذهب الصّبي لمشاورة قاضي البلاد في أمر راشدة ثمّ عاد إلى الجمع الغفير الذي يجتمع لتقصّي حقائق قضية الفتاة وما مصيرها، عندها خاطبهم الصّبيّ قائلا: لماذا تفعلون هذا بها فهي بريئة ممّا تزعمون، وسيأتي يوم وتندمون على ما فعلتم وتصبحون من الظالمين؟ ما ذنبها وما ذنب الجنين الذي في بطنها؟ ما الذي فعله هذا الصّبي: لم يعصي ربّه ولم يخن جاره، ولم يرتكب أيّ خطأ؟ فما ذنبهما ممّا تفعلونه بهم؟ فأنتم بفعلتكم هاته تتصرّفون كالصّغار وأنتم كبار القوم وأفهمهم؟ نلاحظ أنّ كلام الطّفل في غاية الصحّة

[1]– علاش: لماذا؟

[2]– متلايمين: مجتمعين.

[3]– وين: أين؟

[4] – لعندو: إليه.

[5]– نجي: آتي إليكم.

[6]– قاع: كل.

والسّداد حيث استطاع أن يقنع الحاضرون كلّهم، فقالوا: إنّ كلام هذا الصبيّ هو الرأي السديد والصّحيح ولابدّ أن نتبعه ونعدل عن قرارنا ونترك الفتاة وحالها بما قدره الله عليها، ويكمن قول الشاعر في هذا الصّدد فيما يلي:

وَجْمِيعْ النَّاسْ تْلاَيْمُو[1] ❁ وَ مْعَ ذَا الْمَلِكْ اتْكَلْمُوا

قَالَ لْهُمْ رَاكُمْ[2] تَنْدْمُوا ❁ وَ تْعُودُوا كَامَلْ[3] ظَالْمِينْ

اللِّي في رَحِمْهَا وَاشْ دَارْ ❁ مَا عْصَا رَبِّي مَا خَانْ جَارْ

دَرْتُو فِيهَا رَايْ الصْغَارْ ❁ وَلنْتُومَا كْبَارْ وْفَاهْمِينْ

قَالُوا قَوْلْ الصَّابِي مْلِيحْ[4] ❁ كِي جَانَا بَالرَّايْ الصْحِيحْ

15- ندم العلماء على ما فعلوا:

جاء الصبيّ لإنقاذ راشدة، حيث جعله الله سببا في ذلك وتخليصها من ظلم كبار البلاد، حيث كان سببا إيقاف الرجم والعفو عنها، وذلك لما بدأ ينطق الدرر والجواهر بلسانه بغية إقناع قومها والعدول عن قتلها، عندها فقط أحسّ العلماء وكبار البلاد أنّهم على خطأ فندموا على ما كانوا مقدمين على فعله، واعترفوا بأن فعلتهم هذه كلّها قبيحة وعقولهم ناقصة، ثمّ خاطبهم الصغير قائلا: لو صبرتم عليها حتى تكتمل شهور حملها ثمّ تلد وتكتمل عدّة النفاس ومن ثمة تحكمون عليها وعندها تكون من الصابرين، فقالوا: أنت شاب بعثك الله لنا بالرأي الصواب كي تنفذ عدّة رقاب بعدما كانوا في عداد الهالكين والمنتهين، فالملاحظ أنّ

[1]– تلايمو: اجتمعوا.

[2]– راكم: سوف.

[3]– كامل: كلكم.

[4]– مليح: شيء جميل.

هذا الصبيّ هو هبة من الله أنزله لإنقاذ راشدة من الظّلم والقهر والقتل الخطأ، عندها فهم النّاس أجمعين أنها بريئة كل البراءة وأن ما نسب إليها إنّما افتراء وكذب واختلاق، عندها أطلق والدها سراحها، وقال لها اذهبي ولا تخافي والله على كل ظلاّم قدير، ويتمثّل قول الشاعر هاهنا فيما يلي:

قَالُوا قَوْلْ الصَّبِيْ مْلِيحْ ❁ كِي جَانَا بَالرَّايْ الصْحِيحْ

وَاللِّي دَرْنَا كُلُّوا قْبِيحْ ❁ كُنَّا لَعْقُولْنَا نَاقْصِينْ

لُو كَانْ اصْبَرْتُو يَا نَاسْ ❁ يَوْفَاوْ[1] شْهُورْهَا بَالْقْيَاسْ[2]

حَتَّى يَلْحَقْ شْهَرْ النْفَاسْ ❁ لتْنَالُو حَقْ الصَّابْرِينْ

قَالُولُو يَا هَاذْ الشْبَابْ[3] ❁ بَعْتَكْ رَبِّي لِينَا صْوَابْ

مَاذَا سَلَّكْتْ[4] مْنَ الرْقَابْ ❁ بَعْدْمَا كَانُوا حَاصْلِينْ

حُكْمْ اللهْ عْلِيهَا خْفَافْ ❁ و اطْلَقْهَا بُوهَا مْنَ الكَتَّانْ

قَالَ لْهَا سِيرِي ولا تْخَافْ ❁ واللهْ حْسِيبْ الظَّالْمِينْ

16- راشدة حية طليقة:

أطلق والد راشدة سراحها وبعدما كانت مربوطة في باب الرجم يودّ القوم رجمها حتى الموت، فأرسل الله الصبيّ لها رحمة منه ورأفة بها قصد تبرئتها واخراجها من الورطة التي كانت فيها، فسارت وهي تبكي ودموعها تنهمر وتحمد الله وتشكره على نعمته وتشيد بعمل

[1]– يوفاوو: تكمل عدّتهم

[2]– بالقياس: الحساب.

[3]– الشباب: الجميل

[4]– سلكت: أنقذت.

الصالحين من القوم، لمّا وصلت إلى بيتهم قالت أمها فرحة مسرورة من رؤية ابنتها حيّة ترزق ثانية: يا ابنتي كيف نجوت من حكم القوم عليك؟ وكيف نفذت من عقابهم؟ من أنجاك وأنقذك من الورطة التي كنت فيها؟فردّت على أمها قائلة: أنقذني صبيّ بهيّ جميل مثل الهلال في النور والضياء، يمتاز بنور جميل ونجوم ساطعة، فهي تشبهه بالهلال والنّجوم الساطعة من شدّة إعجابها به، فهذا الصبيّ هو الذي أنقذني من الموت ولولاه لكنت من الهالكين، ويكمن قول الشاعر الدّال على هذا فيما يلي:

سَارَتْ البَنْتْ عْلَى وْفَا ❁ وسَلَّكْهَا[1] مَالَكْ الخْفَا

تَبْكِي وَدْمُوعْهَا هَايْفَا[2] ❁ وَتْنَادِي بْجَاهْ الصَّالْحِينْ

قَالَتْ يَمَّاهَا يَا غْزَالْ ❁ مَنْ فَكَّكْ مَنْ ذَا الْخْبَالْ[3]

قَالَتْ صَابِي مَثْلْ الْهْلاَلْ ❁ يَضْوِي وَنْجُومُو سَاطْعِينْ

17- راشدة تلد الصبيّ:

تجاوزت راشدة وأهلها محنة الرجم وعادت تهتمّ بصحتها وصحّة جنينها، وصبرت على المحن حتى جاء يوم ولادتها، لمّا أحسّت بالغثيان والدوار والألم أحسّت أنها قد جاءها المخاض وجاءت ساعة الولادة، فبدأت تدعو الله أن يساعدها ويقدّرها على تجاوز الألم والولادة، فلمّا اشتدّ ألمها، أحضرت والدتها القابلة وأحضرت كلّ لوازمها، ولمّا شرعت في توليدها تفاجأت وذهلت ممّا رأت عندها لم تدر من أين تبدأ فعلا لأنّ راشدة ما تزال عذراء، فكيف تولدها؟ عندها صاحت راشدة صيحة واحدة فقفز الطّفل من فمها بدون عذاب ولا

[1]–سلكها: أنفذها.

[2]– هايفا: دموعها تنهمر.

[3]– الخبال: المصائب.

تعب، لأنّ الله أراد أن يثبت براءتها ممّا نسب إليها من قذائف وبدا لهم جليّا أنّ البنت ما تزال عذراء ولم ترتكب الفواحش والزنا، فاستبان الأمر على حقيقته أمام كلّ الحاسدين والحاقدين، بحيث لمّا أكملت راشدة تسعة شهور من الحمل ألقت الطّفل من فمها الذي أكلت منه ثمر الشجرة المعجزة، وتلك هي قدرة الله وعجائبه سبحانه، ويكمل قول الشاعر الدّال على ذلك فيما يلي:

صَبْرَتْ الطَّفْلَة وأَمْهَا ❁ حَتَّى وِينْ[1] أَلْحَقْ يُومْهَا

جَاتْ غْشَاوَة عْلَى فَمْهَا ❁ قَالَتْ يَا رَبِّي يَا حْنِينْ

شَدَّتْ وْجَاتْ الْقَلْبْلاَ ❁ وْجَابَتْ صَنْعَتْهَا[2] كَامْلاَ

وَلبْقَاتْ اتْخَمَّمْ[3] ذَاهْلاَ ❁ وْمَا عَرْفَتْشِي تَبْدَا مْنِينْ[4]

صَاحْتْ صَيْحَة طَاحْ الشَّبَابْ ❁ مَنْ فُمْ الْبَنْتْ بْلاَ عْذَابْ

سَلَّكْهَا مَالَكْ الرْقَابْ ❁ قُدَّامْ عْيُونْ الْحَاسْدِينْ

سَلَّكْهَا مَالَكْ العْبَادْ ❁ وْفَاتْ حْسَابْهَا بَالْعْنَادْ

ومْنِينْ كْلاَتْ مْنِينْ زَادْ[5] ❁ بِقُدْرَة اللهْ يَا سَامْعِينْ

---

[1]– وين: أين؟

[2]– صنعتها: لوازمها.

[3]– اتخمم: تفكر.

[4]– منين: من أين؟

[5]– زاد: يولد.

18- فرحة القوم بالمولود:

بعدما انزاحت غيمة الظّلم والقهر التي عاشتها راشدة مع قومها، وبعدما تجاوزت محنتها، ورزقها الله الصبيّ الموعود الذي أظهر براءتها حين ولادته ولحظة ولوجه إلى الدّنيا، كان بمثابة الهمّ الذي أزيح عنها وشرح صدرها، وبالتالي أصبحت تمشي دون خجل وسط قومها متباهية بمكانتها وشرفها ونزاهتها، إذن لما رزقت راشدة بالطّفل فرح القوم بسلامتها ونجاتها فالله أكرمها ورزقها بالطّفل المعجزة والذي سيكون سببا في هداية قومه، إذن ابتهج النّاس لما رزقت به راشدة وأصبحوا يتوافدون عليها بغية رؤية الغلام الصّغير وأصبحت في مقام الصالّحين، جاء الناس للمباركة واكرام الطّفل بالهدايا، وكلّ من جاءها وقصدها في أمر إلاّ ودعت الله فكان له ما يتمنّى، حيث أصبحت زيارتها تسعدهم وتفرحهم وتعود عليهم بالفائدة، وأصبحت أيامهم مزدهرة، عندها دعت الله بحوله وقوته فهو على كلّ شيء قدير، لأهلها بالصّلاح والفلاح وشكرته على نعمته، ثمّ اعترفت لقومها بأنّ الله عز وجل هو الذي أراد بها ذلك فقال له كن فكان، ثمّ أنقذها من الموت والرّجم وأنجاها من القوم الفاسدين وأرضى عليها والديها وطهّر قلبهما من الشوائب، يقول الشاعر في هذا الصّدد ما يلي:

فَرْحُو بَسْلاَكْهَا[1] يَا لَخْتَامْ ❁ زَادْ لكْرَمْهَا مَنْ لاَ يَنَامْ

جَاوُوا النَّاسْ يْشُوفُو الغُلاَمْ ❁ صَبْحَتْ في مَقَامْ الصَّالِحِينْ

فَرْحَتْ الطَّفْلَة وأُمْهَا ❁ سَعْدَكْ بَاللِّي زَادْ[2] عَنْدْهَا

وَلاَّتْ للنَّاسْ لتْزُورْهَا ❁ مَنْ كُلّ قْبِيلَة وَافْدِينْ

يَا سَعْدْ اللِّي جَاهَا يْزُورْ ❁ يَسْعَدْ بَالْفَرْحَة والسُّرُورْ

[1]– سلاكها: سلامتها.

[2]– زاد عندها: ولد لها.

واللِّي تَدْعِيـلَوْ مَا يْبُورْ ❁ ـيَرْبَحْ ولْيَّامُو زَاهْرِينْ

قَالَتْ حَوْلِي وقَوْمِي ❁ إلاّـبَاللَّهْ وبْنَيْتِي

هُوَ اللِّي سَلَّكْ[1] حَـلْتِي ❁ وأَصْفَاوَ وْ قْلُوبْ الْوَالْدِينْ

19- احتفال الجد بالصبي وولادته:

لمّا رزق الله راشدة ذاك الصبيّ فرح القوم بقدومه، وأكثرهم فرحا وابتهاجا أهلها وخاصة جدّه أي والد راشدة الذي قرّر أن يحتفل بمولد حفيده على طريقة الملوك والأمراء حيث أعدّ الوليمة الكبيرة ودعا إليها كلّ سكان المدينة، وألبسوا الطّفل ملابس جديدة وأغدقوه بالهدايا والذّهب وزيّنوا يديه ورجليه بالحنا وأوقدوا له الشّموع دليلا على سعادتهم به، وكان كلّ فرد من أفراد قومه جاء ليبارك إلاّ وأحضر له معه هدية من شدّة فرحهم وغبطتهم بقدومه، ويقول الشاعر في هذا الصّدد ما يلي:

جَا جَدُّو دَايَرْلُو السُّبُوعْ[2] ❁ بَالْحَنَّة وَضْوَاوْ الشُّمُوعْ

مَاذَا جَاوَهْ مْنَ السْلُوعْ[3]❁ وبِفَضْلَ اللهْ كَانُوا فَارْحِينْ

20- الغلام المعجزة:

لقد خلق الله هذا الغلام من أمّه راشدة دون أب، إنّما أمره أن يكون فكان فعلا، فسبحان من خلق الخليقة وبرّأها وأعطى كلّ نفس هداها، وهاهنا تبرز معجزة المولى عز وجلّ ومدى قدرته سبحانه وتعالى على ما يريد فعله، بحيث لما رضع الغلام اللّبا من أمّه في حينه نهض وبدأ يحبو على ركبتيه ثمّ نهض ومشى، سبحان الله في خلقه، وكما ذكرنا أنّ

[1]– سلك: أنقذ.

[2]– السبوع: العقيقة، الاحتفال.

[3]– السلوع: الهدايا والسلع.

هذا الغلام كان عزيز جدا على لأمه وجدّه وجدّته، فلمّا رأوا هذا المنظر ذهلوا لما يحدث له، بحيث أنّ الغلام كان لا يزال رضيعا، فبمجرّد شربه لحليب أمه مشى وكبر وأصبح صبيا، فقرروا تعليمه وتلقينه آداب العلم والدّين والفقه، فأخذوه إلى المسجد عند الإمام يتعلّم القرآن" قراءة وحفظا، فلمّا بدأ يعلّمه هذا الأخير وجده يعلم ما لا يعلمه كبار العلم والفقهاء فحار فيه وتفاجأ ممّا يعلمه هذا الغلام، ويتقنه وهو لا يزال صغيرا، فما بالك عندما يكبر؟

"قال: لمّا بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب، فجعل لا يعلمه المعلّم شيئا إلاّ بادره إليه فعلمه أباجاد، فقال عيسى: ما أبوجاد؟ فقال المعلم: لا أدري، فقال عيسى: كيف تعلمني ما لا تدري؟ فقال المعلم: إذا فعلمني، فقال له عيسى: فقم من مجلسك، فقام فجلس عيسى مجلسه فقال: سلني، فقال المعلّم: ما أبوجاد؟ فقال عيسى: الألف ألف الله والباء بهاء الله، والجيم بهجة الله وجماله، فعجب المعلم من ذلك فكان أوّل من فسّر أباجاد"[1].

ويقول الشاعر الشعبي في هذا المجال ما يلي:

كِيفْ ارْضَعْ مَنْ أُمُّو اللْبَا ❁ قَامْ في الْحِينْ أَمْشَا ادْبَا

سُبْحَانَ الْمَوْلَى في الصِّبَا ❁ كَانْ عْزِيزْ عْلَى الْوَالْدِينْ

أَدَّاوْو[2] الصَّابِي لَلْفْقِيهْ ❁ يَقْرَ القُرآنْ يْفُوزْ بِيهْ

في صُغْرُو شِيخُو حَارْ فِيهْ ❁ عَلَّمْ بَعْلُومْ العَالَمِينْ

[1]– حديث أورده ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (الحديث ج 20 ص 93)/ نقلا عن ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 442.

[2]– أدواو: أخذوا.

21- موت الصبي:

كبر الصبيّ وأصبح صبيا يصول ويجول ويتعلّم العلوم ويحفظ القرآن وأصبح من فقهاء القوم وعلماءه، عندها أراد الله عز وجلّ أن يظهر لقومه معجزاته وقدرته الجبارة من خلال هذا الصبيّ، فبينما كان يمشي وقع في البئر العميق فغرق وأصبح في عداد الموتى، فحملته الملائكة ووضعته في فراشه، ولم يعلم أحد بالأمر، ولمّا جاء جدّه يزورهم، فأطعمته ابنته ممّا كان عندهم من رزق ثمّ سأل عن الغلام فقالت راشدة إنه نائم، فقال لها: اذهبي واتيني به في الحال، فأنا مشتاق إليه وقلبي لا يطيق صبرا على رؤيته، لكن الجدّ لا يدري ما الذي حدث للصبيّ، ولو علم لبكى وانهمرت دموعه من شدّة الحزن والألم، إذن ذهبت راشدة كي تفيق ابنها، ولمّا كلمته لم يردّ عليها ثمّ صرخت ولم يجيبها، ثمّ ذهبت ورجعت إليه بعد حين لكنه لم ينهض، ولم تدري ما الذي حدث له، فاستعانت بجيرانها دون علم أبيها، فعزموا على تكفينه واخراجه سرّا خائفين من حزن الجدّ الحنون الذي يحبّ حفيده حبّا لا مثيل له، فقال أحد الجيران: كفاكم لعبا وتخفيا، اذهبوا به وادفنوه، كفانا كذبا فكلّ الناس شاهدة على موت الصبيّ لأنّ ما يفعله الجيران لا يحيي الميّت ولا يردّ ما كان، يقول الشاعر الشعبي:

وَاكْتَبْ اللهْ يَا مَنْ تْفِيقْ ❁ طَاحَلْهُمْ[1] في الْبِيرْ العْمِيقْ

أَوْفَى[2] أَجْلُو وَلاَّ[3] غْرِيقْ ❁ كَتْبُو رَبِّي مْنَ المَيْتِينْ

جَا جَدُّو يَفْقَدْ فَالْمَقَامْ ❁ حَطُّولُو[4] قُوتْ مَن الطْعَامْ

---

[1]– طاحلهم: سقط لهم.

[2]– أوفى: انتهى.

[3]– ولاّ: أصبح.

[4]– حطولو: قدّموا له.

قَالْ لْبَنْتُو وِينْ الغُلاَمْ ❁ ـقَـالَتْ رَاهْ مَنّـلِيْمِينْ[1]

قَالَ لْهَا رُوحِي[2] فَيْقِيهْ ❁ قَلْبِي مَا يَصْبُرْشِي عْلِيهْ

لُو كَانْ دْرَى مَا صَارْ بِيهْ ❁ يَبْكِي وَدْمُوعُو سَايْلِينْ

امْشَاتْ[3] لْعَنْدُو بَالقْدَامْ ❁ وقَالَتْلُوـنُوضْ[4] يَا غْلاَمْ

وزَقَّاتْ[5] مَارَدْشْ[6] الكْلاَمْ ❁ ولاَّتْ لْعَنْدُو وبَعْدْ حِينْ

جَاوُو الْجِيرَانْ يْخَرْجُوهْ ❁ خَافُوا لَيْعُودْ يْفِيقْ بُوهْ

جَابُوا لُوـبَاشْ يْكَفْنُوهْ ❁ وْخَافُوا عْلَى جَدُّو لَحْنِينْ

قَالُوا لْجِيرَانْ اكْفَى لْعُوبْ ❁ مَا يَنْفَعْنَا غِيرْ الهْرُوبْ

لاَشْ عْلِينَا هَاذْ الكْذُوبْ ❁ والنَّاسْ عْلِينَا شَاهْدِينْ

22- إحياء الله عز وجل للصبيّ:

بعدما قدّر الله سبحانه وتعالى على الصبيّ أن يموت بإذنه وبعدما فزع أهله وقومه ممّا حدث له، فقد حان الوقت الذي سيحيي فيه المولى الغلام أمام أعين الناظرين ليريهم سبحانه وتعالى مدى معجزته وقدرته اللامتناهية واذا أمر أمرا فيكون له كن فيكون، إذن لما استيأس الناس من وفاة الغلام وقرّروا تكفينه ودفنه، قام الغلام حيّا يرزق وكأنه لم يمت، وكأنّ شيئا لم يكن، فبُهت الحاضرون وتفاجؤوا واندهشوا ممّا يحدث لهذا الصبيّ، عندها

[1]– منايمين: من النائمين.

[2]– روحي: اذهبي.

[3]– أمشات: ذهبت.

[4]– نوض: انهض.

[5]– زقات: صرخت.

[6]– ماردش: لم يرد، لم يتكلّم.

شهدوا لله بالعظمة والقدرة الإلهية، وعلموا أنّ الله قادر على كلّ شيء وفي أيّ وقت يشاء كيفما يشاء، عندها خاطبوا الصبيّ: يا سيدي محمد كيف حالك؟ ما الذي أصابك؟ أجابهم بعدما كان هالكا وقال لهم، وقد خصّ بالكلام جدّه: أنا بخير، وها أنا معك بعدما كنت مع الميتين، فقد أحياني مولايا الكريم جل جلاله، بعدما زرت أهل النعيم ورأيت ما لم يكن في الحسبان، رأيت ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، فردّ عليه جدّه مادحا إياه: أنت عبد تقيّ تحبّ الله ويحبّك وجاهك ومكانتك عنده عظيمة وجليلة، فيا فرحة من جاورك وكان رفيقك في الدّنيا والآخرة، فردّ عليه "محمد"، كما ورد في القصة الشعبية: لقد أحياني المولى عز وجل بعدما انتهيت وكنت من الميّتين، فقد أشربني الله حتى رويت ثمّ أماتني بعدما أحياني، فقد ذقت مرارة الموت مرتين على غرار باقي الناس الذي يتوفاهم الله مرة واحدة، ثمّ ودّع جدّه وألقى عليه السلام ووصاه بالصّبر له ولأمه، أن يصبروا كثيرا على فراقه ولا يفعلون ما يفعلون على الميّت من حضرة[1]، وأخبرها أنّني في النعيم ولا تقلقوا عليّ، إذن فاق الصبيّ ليعلم جدّه أنه عند ربّه في جنات النعيم أي أنه سيموت مرة ثانية لا حياة بعدها، يقول الشاعر الشعبي في هذا الصّدد ما يلي:

قَامْ الصَّابِي ولْتَوْ حَدُّوا ❁ ـلَمَّا شَلفُوهْ اتْنَهْدُوا

وَلاَّوْ وجْمِيعْ يْشَهْدُوا ❁ سُبْحَانْ اللهْ أَمْرُو فِي حِينْ

سِيدِي مُحَمَّدْ[2] وَاشْ رَاكْ ❁ نَادَاهَا مَنْ بَعْدْ الهَلاَكْ

قَالْ لْجَدُّو رَانِي مْعَاكْ ❁ بَعْدْمَا كُنْتْ مْعَ الْمَيْتِينْ

أَحْيَانِي مُولاَنَا الكْرِيمْ ❁ بَعْدْ مَا زُرْتْ أَهْلْ النَّعِيمْ

جَاهَكْ عَنْدْ الْمَوْلَى عْظِيمْ ❁ سَعْدْ اللِّي مْعَاكْ مْجَاوْرِينْ

[1]– الحضرة: في قاموسنا الشعبي هي: اجتماع مشايخ المدينة وتلاوتهم للقرآن في الجنائز ثلاث ليال متتالية.

[2]– محمد: اسم الغلام

أَحْيَانِي بَعْدْمَا فْنيتْ ❁ شَرَّبْنِي قَدْ مَا[1] ارْوِيتْ

وَفَّانِي-بَعْدْمَا حْيِ ِيتْ ❁ ذُقْتْ الْمُوتْ عْلَى مَرْتِينْ

بَقِّيتَكْ-يَا جَدِّي بْخِيرْ ❁ وْقُولْ لْيَمَّا اصَّبْرِي كْثِيرْ

وَلاَّ ادِّيرُوا[2] عْلِيَّ حْضِيرْ[3] ❁ قُولَ لْهَا رَانِي فِي النَّعِيمْ

23- وفاة الصبي ثانية بدون رجعة:

لقد خلق الله هذا الغلام لغرض ما وهو تأدية الرسالة وتبليغها إلى قومه الذين كانوا على فسق وخطأ، فأنزله إليهم كي ينشر دعوة الحق ودين الله، فآمن من آمن، وكفر الذي كفر، ولمّا انتهت مهمته رفعه الله إلى السماء بعدما توفاه بالنوم، إذن بعدما ودّع جدّه وأوصاه ووالدته بالصّبر الكثير واخبارهم عن حالته ومكانته في الدار الآخرة، وقف عند تلك الشجرة التي أكلت منها أمه فحملت به وأقبل عليه، فانشقت وفتحت له جذعها، فدخل فيه، فجذبته قوة خفية إلى الأسفل، عندها غاب عن أعين الناظرين، بعدما هبّت ريح قوية أخفت ومحت كل شيء على وجه الأرض، الغلام والشجرة، وكأنّ شيئا لم يكن، وشاع خبره عند الناس ولم ينسوا ما حدث وظلّ حديثهم المتكرّر، وشغلهم الشاغل لوقت طويل من الزمن، وهكذا انتهت قصة راشدة وابنها ومعجزة الله فيهما، يقول الشاعر الشعبي في هذا المجال ما يلي:

عَنْدْ الشَّجْرَة ثَمَّ اقْبَلْ ❁ وَانْفَتْحَتْلُو-فِيهَا ادْخَلْ

-قُوَّة جَبْدَاتُوا[4] لَلسْفَلْ ❁ غَابْ عْلَى عْيُونْ النَّاظْرِينْ

---

[1]– قدّما: حتى.

[2]– اديرو: تفعلوا.

[3]– حضير: الحضرة، الجنازة.

[4]– جبداتو: جذبته.

هَبْ الرِّيحْ أَخْفَى كُلْشِي[1] ❁ كَأَنُّه مَا كَانْ شِي

وَابْقَى خَبْرُو مَا غَابْشِي ❁ عَنْدْ النَّاسْ المَتْحَدْثِينْ

كَمَّلْتْ احْدِيثْي بَالصْوَابْ ❁ عَنْ لَشْيَاخْ اقْرِيتْ الكْتَابْ

وهكذا انتهت قصة مريم العذراء وابنها المسيح الشعبية أو راشدة وابنها محمد.

ثالثا: موازنة القصتين القرآنية والشعبية

أ- أوجه التشابه:

نستنتج من خلال تعرضنا للقصة القرآنية والقصة الشعبية لمريم العذراء أنهما تتفقان في جوهر ولب القصة الذي أسس على أسس دينية ومواعظ وعبر إيمانية، وأحداث شتى جسدتها لنا مريم العذراء وابنها عيسى-عليه السلام- في المقام الأول ثم تليها شخصيات أخرى كل بدوره، وعليه فإن المتشابهات أو أوجه التشابه في القصتين ضئيلة جدا على غرار أوجه الاختلاف التي كان لها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر في القصة، وعليه يمكننا إجمال نقاط التشابه في الأحداث التالية:

1. [illegible]:

كما ذكرنا في القصة القرآنية أن امرأة عمران نذرت لله نذرا، فلما رزقت بمريم سلمتها إلى عباد بيت المقدس، "قال أبو جعفر :يعني بذلك : أن الله - جل ثناؤه - تقبل مريم من أمها حنة ، وتحريرها إياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها " بقبول حسن". "[2] فكفلها زكريا عليه السلام- واتخذ لها مكانا شرقيا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من طهارة البيت إذا جاء دورها، وتقوم بالعبادة والصلاة ليلا ونهارا، حتى صارت

[1]- كلشي: كل شيء.

[2]- ابن جرير الطبري/تفسير القرآن /الجزء السادس /ص 344-345.

يضرب بها المثل وبعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الكرامات والصفات الشريفة فكان كلما دخل عليها النبي زكريا مكان خلوتها وعبادتها وجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه، فهو رزق الله يرزقه من يشاء بغير حساب، ويبرز هذا الحدث جليا في قوله تعالى:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[1]، وما يقترب من هذا الحدث في القصة الشعبية يتمثل فيمايلي:

ذَاكْ الْعَابَدْ يَا مَنْ تَسْأَلْ ❁ عَنْدُو طَفْلَة مَثْلَ الهْلاَلْ

ـتَعْبَدْ مُولاهَا بَالكْمَالْ ❁ رَادْ عْلِيهَا يَا سَامْعِينْ

2-ئ شف ـئ ؟ئ ﴿ك لفل ئ خ ق ي ئ ذ ئ لآ ل ن ل م خ ه م ط ك م ز ئ ؟:

لقد اصطفى الله مريم من بين سائر نساء زمانها واختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وفضلها عليهم وطهّرها بالعبادة والصلاة والزهد في الدّنيا ويتمثّل هذا الحدث القرآني فيما يلي: يقول سبحانه وتعالى: "وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾"[2]، ومعنى قوله تعالى :" (اصطفاك) ، اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته

وقوله : " وطهرك " يعني : طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم "واصطفاك على نساء العالمين "يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك ، بطاعتك إياه ، ففضلك عليهم ، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " : خير نسائها

[1]– سورة آل عمران، الآية 37.

[2]– سورة آل عمران، الآيات 42-43.

مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد " يعني بقوله : " خير نسائها " خير نساء أهل الجنة. "[1] وممّا يثبت هذا في القصة الشعبية قول الشاعر الشعبي الآتي:

نَاضَتْ الطَّفْلَة بَلْمْهَلْ ❁ شَدَّتْ في الغُصْنْ اللِّي اثْقَلْ

مَالْ الغُصْنْ عْلِيهَا ❁ كَبّْ عْلِيهَا بَحْلِيبْ زِينْ

ذَاقَتْ مَنُّو جَلهَا عْجِيبْ ❁ أَحْلَى مْنَ السُّكَّرْ وَالزْبِيبْ

كُلّ النَّسْوَة ذَاقُوا نْصِيبْ ❁ قَالُوا بَاسَلْ وَحْلِيبْ شِينْ

لَمَّا ذَاقَتْ ذَاكْ لِلْبَ ❁ فَاتْ عْلِيهَا حَالْ الصِّبَا

زَادَتْ رَغْبَتْهَا حَلَبَّة ❁ تَلكُلْ ثَمْرُو جَاهَا بْنِينْ

نلاحظ أنّ الشاعر الشعبي يبيّن لنا مدى تفوّق راشدة على مثيلاتها وصديقاتها ممّا يدلّ على اختيار المولى لها واصطفاءه لها عليهنّ ،وخاصة عندما ذاقت حليب الشجرة فأعجبها مذاقه وأصرّت على أكل الثمر الذي نال إعجابها عكس باقي النسوة اللائي لم يعجبهنّ مذاقه واشمأزت منه ،وهذا أكبر دليل على أنها خيرهنّ وأحسنهنّ عند الله.

3- حمل مريم بعيسى –عليه السلام–:

لقد بشّر الله مرمي بكلمة منه يلقيها إليها بحمل عيسى –عليه السلام– وقد جاء هذا الحدث في القرآن الكريم كما يلي: يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [2] وقوله أيضا: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا

[1]– ابن جرير الطبري/ تفسير القرآن / الجزء السادس /ص394.

[2]– سورة آل عمران، الآية 45.

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[1].

أمّا في القصّة الشعبية فيتجسّد الحدث في قول القاص الشعبي الآتي:

قَلْعَتْ ثَمْرَة وَاكْلاَتْهَا ❁ ثَمَّة بَلْغَتْ لأَرْحَامْهَا

حَمْلَتْ مَنُّو فِي حِينْهَا ❁ وْكَانْ لَهَا سَابَقْ فِي الْجِبينْ

ثَلْثْ شْهُورْ ظْهَرْ حَمْلْهَا ❁ وَاصْمَاطْ الرِّيقْ فِي فُمْهَا

إذن ذكر هذا الحدث في القصّتين معا لكن طريقة ووسيلة الحمل تختلف.

4- لإنجاز لفعل الكلامي وزو -عي نطق زلإ-:

الأمر نفسه لهذا الحدث، بحيث ذكر في كلا القصّتين لكن بطريقتين مختلفتين، فيما يخصّ الحدث القرآني يتمثّل في قوله تعالى التالي: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، أمّا الحدث الشعبي فيكمل في قول القاص التالي:

صَبْرَتْ الطَّفْلَة وأَمْهَا ❁ حَتَّى وِينْ[3] أَلْحَقْ يُومْهَا

جَاتْ غْشَاوَة عْلَى فَمْهَا ❁ قَالَتْ يَا رَبِّي يَا حْنِينْ

[1]– سورة مريم، الآيات 16–21.

[2]– سورة مريم، الآيات22–26.

[3]– وين: أين؟

شَدَّتْ وْجَاتْ الْقَلْبْلاَ ❁ وْجَابَتْ صَنْعَتْهَا[1] كَامْلاَ

وَلبْقَاتْ اتْخَمَّمْ[2] ذَاهْلاَ ❁ وْمَا عَرْفَتْشِي تَبْدَا مْنِينْ

صَاحْتْ صَيْحَة طَاحْ الشَّبَابْ ❁ مَنْ فُمْ الْبَنْتْ بْلاَ عْذَابْ

سَلَّكْهَا مَالَكْ الرْقَابْ ❁ قُدَّامْ عْيُونْ الْحَاسْدِينْ

سَلَّكْهَا مَالَكْ العْبَادْ ❁ وْفَاتْ حْسَابْهَا بَالْعْنَادْ

ومْنِينْ كْلاَتْ مْنِينْ زَادْ ❁ بِقُدْرَة اللهْ يَا سَامْعِينْ

5- آلذئ﴾ فلكك ذ ق م غقئم:

نلاحظ أنّ القصّتين معا ذكرتا رجوع الأمر كلّه إلى الله، فهو من ألقى كلمته على مريم فحملت بعيسى وهو الذي سخّر لها الثمر فأكلت منه فحملت بابنها، فهو أمر كان مقضيا بقول تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[4]، هذا ما ورد في القصة القرآنية، أمّا فيما يخصّ القصة الشعبية فيتمثّل الحدث في قول الشاعر التالي:

قَالَتْ يَا يَمَّا مَاصْرَا ❁ إلاّ حُكْمَ الْمَوْلَى اجْرَى

[1]– صنعتها: لوازمها.

[2]– اتخمم: تفكر.

[3]– سورة آل عمران، الآية 47.

[4]– سورة مريم، الآية 21.

6- قصة مريم في الخطاب القرآني:

لما ضاقت مريم ذرعا ممّا آلت إليها حالتها مع قومها، وممّا ظنوه بها وفعلوه بها، تمنّت الموت على حياتها وهي تعاني ما تعانيه، فهم يتّهمونها ولا يصدّقون كلامها، وبالرّغم من انها كانت من العابدات المنقطعات عن الأعين والمعتكفات في المسجد إلاّ أنها لم تستطع تحمّل الهمّ والحزن والمذلة وظنّ السوء بها، فتمنت لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت نسيا منسيا ولم تخلق،" كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس) يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (تقول : يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بعل ، وكنت نسيا منسيا :شيئا نسي فترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسي ."[1] مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[2]، أمّا في القصةّ الشعبية، فيقول الشاعر الشعبي ما يلي:

لَوْ تُوجَدْ الْمُوتْ لَلشْرَا ❁ وَلا عَصْيَانْ الْوَالْدِينْ

والملاحظ أنها تمنّت الموت ولو وجدته للشراء، لاشترته وماتت ولم تعش لتعصي والديها.

7- قراءة في الخطاب:

من خلال عرضنا للقصّتين، تبيّن لنا أنّ تبرئة مريم قد ذكرت فيهما معا لكن الاختلاف فيه كثير، أوّله من براها، ففي القصّة القرآنية برّأها عيسى ابنها بعد ولادته، أمّا في القصة الشعبية فبرأها غلام جعله الله سببا لذلك لكن قبل ولادتها، حيث يقول تعالى في كتابه

[1]– ابن جرير الطبري /تفسير القرآن / الجزء الثامن عشر/ص 172.

[2]– سورة مريم، الآية 23.

الكريم ما يلي: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، أمّا الشاعر الشعبي فيقول في هذا الصّدد:

قَالَتْ يَمَّاهَا يَا غْزَالْ ❁ مَنْ فَكَّكْ مَنْ ذَا الخْبَالْ

قَالَتْ صَابِي مَثْلَ الهْلاَلْ ❁ يَضْوِي وَ نْجُومُو سَاطْعِينْ

هذا فيما يخصّ الأحداث التي تكن لتشابه تشابها تاما ومتطابقا إنّما جاءت القصة الشعبية في معنى القصة، ولم تذكر الأحداث بحذافيرها كما جاءت القصة القرآنية الأصلية، أمّا فيما يخصّ الشخصيات فلم يكن هناك توافق وتشابه في الشخصيات بغضّ النظر عن مريم وعيسى واختلفت القصص في الأسماء، أمّا الشبه المطلق في هذه القصة فهو الحيّز المكاني الذي هو الشجر التي ذكرت في القصّتين معا، وهكذا تمّت أوجه التشابه –إن متشابهة فعلا–.

ب – أوجه الاختلاف:

نستطيع أن نقول أنّ الاختلاف بين القصّتين يكاد يكون كليّا:

1. في الاختلاف:

من خلال دراستنا لهذه القصة سواء القرآنية أو الشعبية لمسنا اختلافا كبيرا بينهما وابتعاد واضح عن الحقائق وفرق شاسع بينهما من حيث الأحداث ومن حيث الشخصيات ومن حيث الزمان والمكان، وعليه تتبلور هذه الاختلافات فيما يلي:

[1]– سورة مريم، الآيات29....32.

1/ عدم ذكر مولد مريم العذراء –عليها السلام– في القصة الشعبية كما ورد ذكرها في القصة القرآنية يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1]، زد إلى ذلك عدم ذكر أنّ والدتها قد نذرتها محرّرة لعبادة الله وتفرغها للسجود والركوع وانقطاعها عن العالم الخارجي.

2/ عدم ورود ذكر كفالة النبي زكريا –عليه السلام– لمريم في القصة الشعبية حيث ورد الحديث عنه مفصّلا في القصة القرآنية ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

كما جاء ذكر كيفية كفالته لها والسّبل المتبعة من طرف قومها قصد كفالتها، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [3]، في حين نرى أنّ القصة الشعبية لم تذكر هذا الحدث بتاتا ولم تشر إلى أنّ مريم قد كفلها زكريا بل جاء فيها أنها تربّت في بيت والديها وفي حضن أسرتها ولم تكن محرّرة ومنقطعة في بيت المقدس لعبادة الله، بل نشأت وكبرت بين عائلتها، ولم يذكر النبيّ زكريا قط فيها ودليل ذلك قول الشاعر التالي:

ـقَالَتْ يَا يَمَّا وَاشْ جَاكْ ❁ يَاكْ مَا نَرْقُدْ إِلاَّ حْدَاكْ

وِينْ امْشِتِي نَمْشِي مْعَاكْ ❁ تَتَّهْمِينِي بَكْلاَمْ شِينْ

[1]– سورة آل عمران، الآية 36.

[2]– سورة آل عمران، الآية 37.

[3]– سورة آل عمران، الآية 44.

وقوله أيضا:

جَا جَدُّو وَدارْلُو السْبُوعْ ❁ بَالحَنَّة وَاضْوَاوْ والشْمُوعْ

مَاذَا جَاوَه مَنْ السْلُوعْ ❁ وبِفَضْلْ اللهْ كَانُو فَارْحِينْ

وقوله كذلك:

جَا جَدُّو يَفْقَدْ في المَقَامْ ❁ حَطُّو لُو قُوتْ مْنَ الطْعَامْ

قَالْ لْبَنْتُو وِينْ الغُلاَمْ ❁ قَالَتْ لُو رَاهْ مَنَّايْمِينْ

نلاحظ أنّ هذه الأبيات كلها تدلّ على عيش مريم مع والديها في بيتهما والعكس تماما في القصة القرآنية التي تنصّ على أنها كانت تعيش في خلوة وحدها في بيت المقدس، يقول تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[1].

3/ يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[2]، لقد جاءت البشارة في القرآن الكريم واضحة جلية حيث أنّ الله بشّر مريم العذراء من خلال الملائكة بشارة حمل المسيح بمقتضى الكلمة وأنه سيكون له شأن عظيم على خلاف القصّة الشعبية التي لم تذكر هذا الحدث ولو بإشارة إليه بل حذف تماما منها.

4/ جاء الاختلاف الكلّي أيضا في القصّتين في الأسماء، فمريم العذراء جاء اسمها مريم في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ

[1]– سورة آل عمران، الآية 37.

[2]– سورة آل عمران، الآية 45.

[3]– سورة آل عمران، الآية 36.

ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ [1]، وغيرها من الآيات القرآنية التي ذكرت اسم مريم، أمّا القصة الشعبية فقد أسمتها راشدة، حيث يقول الشاعر الشعبي ما يلي:

قَلْلَتْ يَمَّلهَا وَاشْ دَا ❁ آشْ اعْمَلْتِ يَا رَاشْدَة

ثمّ نجد الاختلاف أيضا في اسم ابن مريم، فالقصّة القرآنية جاء ذكره فيها على أنه عيسى، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾[2]،أمّا القصة الشعبية فقد أطلقت عليه اسم سيدي محمد، يقول الشاعر:

سِيدِي مُحَمَّدْ وَاشْ رَاكْ ❁ نَادَاهَا مَنْ بَعْدْ الهْلاَكْ

قَالْ لْجَدُّو رَانِي مْعَاكْ ❁ بَعْدَمَا كُنْتْ مْعَ الْمَيْتِينْ

إذن مريم هي راشدة وعيسى هو سيدي محمد في القصة الشعبية.

5/ نلاحظ أيضا أنّ كيفية حمل مريم للمسيح مختلفة في القصّتين، ففي القصة القرآنية نرى أنّ مريم حملت من خلال الملك الذي بعثه الله لها وتمثّل لها في شكل إنسان، فألقى عليها كلمة الله فحملت يقول تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾[3]، أمّا في القصة الشعبية نرى أنّ راشدة قد حملت من أكلها لثمر الشجرة وشربها لحليبها الذي أعجبها جدا مذاقه وكلّ كان مسخّرا من عند الله، يقول الشاعر الشعبي ما يلي:

لَمَّا ذَلقَتْ ذَاكْ اللّْبَا ❁ ـفَاتْ عْلِيهَا حَالْ الصِّبَا

زَادَتْ رَغْبَتْهَا حَابَّة ❁ تَلكُلْ ثَمْرُو جَاهَا بْنِينْ

[1]– سورة مريم، الآية 16.

[2]– سورة آل عمران، الآية 45.

[3]– سورة مريم، الآيات 17-18-19.

قَلْعَتْ ثَمْرَة وَاكْلاَتْهَا ❁ ثَمَّة بَلْغَتْ لأَرْحَامْهَا

حَمْلَتْ مَنُّو في حِينْهَا ❁ وكَانْ لِهَا سَابَقْ في الْجْبِينْ

6/ أمّا سادس الاختلافات الكلية فيتجسّد في طريقة ولادة مريم وكيف تمّ ذلك، يبرز لنا جليا في القصة القرآنية انها وضعت ابنها لوحدها بمساعدة معجزة الله وقدرته دون مساعدة طبية أو قابلة، يقول تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، أمّا القصة العشبية فقد ورد في نصها أنّ راشدة قد ساعدتها القابلة على الوضع، يقول الشاعر ما يلي:

صَبْ رَتْ الطَّفْلَة ولُّمْهَا ❁ حَتَّى وِينْ أَلْحَقْ يُومْهَا

جَاتْ غْشَاوَة عْلَى فُمْهَا ❁ قَالَتْ يَا رَبِّي يَا حْنِينْ

شَدَّتْ وْجَاتْ الْقَابْلَة ❁ وْجَابَتْ صَنْعَتْهَا كَامْلاَ

وَابْقَاتْ لتْخَمَّمْ ذَاهْلاَ ❁ وْمَا عَرْفَتْشِي تَبْدَا مْنِينْ

7/ نلاحظ أيضا أنّ مكان الولادة مختلف، فهي القصة القرآنية وضعت مريم عند جذع النخلة، أمّا راشدة في القصة الشعبية فقد وضعت في بيتهم.

8/ تتمثّل ثامن الاختلافات في غضب القوم على مريم في القصة القرآنية أثناء فترة الحمل وبعد الوضع، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [2]، وقوله أيضا: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ

[1]– سورة مريم، الآيات 22-23.

[2]– سورة مريم، الآيات 27-28.

بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[1]، فبنو إسرائيل لما شاع خبر حملها قذفوها بالزنا وارتكاب المحرمات، وممّا زادهم عنادا واصرارا لما رأوها تحمل ابنها بين يديها، أمّا في القصة الشعبية نلاحظ أنّ القوم غضبوا عليها فقط قبل الحمل، ولما وضعت فرحوا بمولودها واحتفلوا به، يقول الشاعر في هذا الصّدد ما يلي:

قَالَ لْهُمْ للهْ يَا حْبَابْ ❁ فِيذُونِي بَحْدِيثْ الصْوَابْ

مَنْ تَعْصِي مَالَكْ الْرقَابْ ❁ وَاشْ دْوَاهَا يَا فَاهْمِينْ

نَطْقُوا السَّادَاتْ بْصُوتْهُمْ ❁ ـقَلْلُوا تتَّرْجَمْ كُلْهُمْ

نَادُوا النَّاسْ و جَاوْهُمْ ❁ بَللِّي فَارَحْ بَللِّي احْزِينْ

جَابُوا الْمَسْكِينَة بَالعْزَمْ ❁ حَطُّوهَا[2] في بَابْ الرْجَمْ

تَبْكِي الْخَاطَرْ يَنْهْزَمْ ❁ وتْنَادِي بْجَاهْ الْمُرْسَلِينْ

هذا ما حدث قبل ولادتها، أمّا بعد الوضع اختلف الأمر وابتهج الناس لما حدث، يقول الشاعر:

فَرْحُو بَسْلاَكْهَا بَا لَخْتَامْ ❁ زَادْ اكْرَمْهَا مَنْ لا يْنَامْ

جَاوُوا النَّاسْ يْشُوفُو الغُلاَمْ ❁ صَبْحَتْ في مَقَامْ الصَّالْحِينْ

ـفَرْحَتْ الطَّفْلَة وأُمْهَا ❁ سَعْدَكْ بَاللِّي زَادْ عَنْدْ َهَا

وَلاَّتْ النَّاسْ اتْزُورْهَا ❁ مَنْ كُلّ قْبِيلَة وَافْدِينْ

يَا سَعْدْ اللِّي جَاهَا يْزُورْ ❁ يَسْعَدْ بَالفَرْحَة وَالسْرُورْ

[1]– سورة النساء، الآية 156.

[2]– حطّوها: وضعوها.

وَاللِّي تَدْعِي لَوْ مَا يْبُورْ ❁ يَرْبَحْ وأَيَّامُو زَاهْرِينْ

جَا جَدُّو دَايَرْلُو السُّبُوعْ ❁ بَالْحَنَّة وَضْوَاوْ الشْمُوعْ

مَاذَا جَاوَه مْنَ السْلُوعْ ❁ وبِفَضْلْ اللهْ كَانُوا فَارْحِينْ

9/ أمّا تاسع الاختلافات الكلية يتمثّل في زمن تبرئة مريم وعلى يد من تمّت براءتها، في القصة القرآنية تمّت براءتها بعدما وضعت ابنها عيسى، وهذا الأخير هو من برّأ والدته ونزهها عمّا نسب إليها من أقاويل وأكاذيب، يقول تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، أمّا القصة الشعبية فتسير عكس تيار القصة القرآنية، حيث نلمس أنّ راشدة تمّت تبرءتها قبل أن تضع مولودها، ومن طرف صبيّ كالملك أذهل قومها بكلامه وحكمته ورأيه الصائب، فكان سببا في عدم رجمها وقتلها، يقول القاص الشعبي ما يلي:

كِيفْ اجْتَمْعُوا نَاسْ الفْضُولْ ❁ بَحْضُورْ القَاضِي والعْدُولْ

سَمْعُوا وَاحَدْ الصَّابِي يْقُولْ ❁ وَعْلاَشْ أَهْنَا مَتْلاَيْمِينْ

قَالُوا الطَّفْلَة اعْصَاتْ ❁ لاَزَمْ تَتَّرْجَم في لحْيَاةْ

بَالحُجَّة وَشْهُودْ الثَّبَاتْ ❁ والعُولاَمَا وَالْوَالْدِينْ

ـقَالَ لْهُمْ وِينْ اكْبِيرْكُمْ ❁ نَمْشِي لْعَنْدُو وَنْجِي لْكُمْ

ونْسَالُو كِيمَا سْأَلْتْكُمْ ❁ كَانْ عْلِيهَا مُتَّافْقِينْ

[1]– سورة مريم، الآية 29-32.

رَاحْ الصَّابِي مَنْ بَعْدْ عَادْ ❁ جَاهُمْ مْعَ قَاضِي الْبْلاَدْ

يَتْكَلَّمْ بَكْلاَمْ الرْشَادْ ❁ سَمْعُولُو قَاعْ الحَاضْرِينْ

ـقَالَ لْهُمْ رَاكُمْ تَنْدْمُوا ❁ وَتْعُودُوا كَامَلْ ظَالْمِينْ

اللِّي فِي رَحِمْهَا وَاشْ دَارْ ❁ مَا عْصَا رَبِّي مَا خَانْ جَارْ

دَرْتُو فِيهَا رَايْ الصْغَارْ ❁ وَانْتُومَا كْبَارْ وْفَاهْمِينْ

لَوْ كَانْ اصْبَرْتُو يَاـنَاسْ ❁ يُوفَاوْ شْهُورْهَا بَالْقْيَاسْ

حَتّى يَلْحَقْ شْهَرْ النْفَاسْ ❁ اتْنَالُو حَقْ الصَّابْرِينْ

وقوله أيضا:

قَالَتْ يَمَّلهَاـيَا غْزَالْ ❁ ـمَنْ فَكَّكْ مَنْ ذَا الخْبَالْ

قَالَتْ صَابِي مَثْلْ الهْلاَلْ ❁ يَضْوِي وَنْجُومُو سَاطْعِينْ

10/نلمس أنّ عمران والد مريم لم يكن له أي دور في القصة القرآنية بغض النظر عن ذكر اسمه ذكرا عابرا، فلم يقم بأيّ وظيفة حدثية في القصة، على خلاف القصة الشعبية التي كان له فيها دور كبير، لكن مع عدم ذكر الاسم، كما نعته الشاعر بالعابد أو "بوها"، ولم يفصح عن اسمه، وعليه تتجلّى مواضع ذكره فيها كما يلي:

آ – حقيقة نـ لظك سيض ئـم:

يقول القاص الشعبي ما يلي:

ـقَصَّةْ عَابَدْ فِي خَلْوْتُو ❁ ـيَعْبَدْـفِي اللهْ بْنَيْتُو

جَاهْ الشِّيطَانْ يْفَلْتُو ❁ صَابُو مَتْوَحَّدْ بَاليَقِينْ

جَابْ عْظَمْ رَاشِي مَقْبَرْ ❁ لاحُو في حْجَرْ بَالْغْزَرْ

قَالُّوا تَحْبِى لِي ذَا للبَشَرْ ❁ كَانْ نْتَايَا مَنْ الوَاصْلِينْ

قَالُّوا اذْهَبْ يَا جَنْسْ الحْرَامْ ❁ أَنْتَ شِيطَانْ بْلاَكْلاَمْ

رَبِّي هُوَ مُحْيِ الْعِظَامْ❁ بَعْدْ اللِّي كَانُوا رَاشْيِينْ

رَاحْ الشِّيطَانْ أَمْشَا وْغَابْ ❁ خَلاَّلُو العْظَمْ يَا حْبَابْ

احْفَرْ حُفْرَة بَالصْوَابْ❁ دَفْنُوا فِيهَا يَا سَامْعِينْ

ا –ك ع و آ ذ خ غ س:

ويتمثّل هذا الدّليل في قول الشاعر التالي:

ذَاكْ العَابَدْ مَنْ تْسَالْ ❁ عَنْدُو طَفْلَة مَثْلْ الهْلاَلْ

تَعْبَدْ مُولاَهَا بَالكْمَالْ ❁ رَاهْ عْلِيهَا يَا سَامْعِينْ

ث – ة ش غ ذ ظ ئ م ن ك ل ئ ع ى آ ذ ح ك ء:

لمّا علم والد راشدة بحملها تفاجأ ممّا يحدث لأنه يعلم جيّدا سلوك ابنته وأخلاقها الحسنة لذا قرّر أن يعاقبها بما ينصّ عليه علماء وكبار البلد، يقول الشاعر ما يلي:

حِينْ اسْمَعْ بُوهَا ذَا الخْبَرْ ❁ قَلْبُو عَادْ أَقْسَى مْنَ الحْجَرْ

قَالْ لْبَنْتُو وَاشْ ذَا الأَمْرْ ❁ يَاقَلَّهْ مَا فِي النَّاقْصِينْ

قَلْلَتْ يَا بُويَا يَا صْدِيقْ ❁ حَنْ عْلِيَّ وْكُونْ لِيَ رْفِيقْ

سَالْ الْقَاضِي يَلْقَى طْرِيقْ ❁ سَالْ العُولاَمَا كَامْلِينْ

وإذَا تَقْتَلْنِي بْلاَ سْبَابْ ❁ كِيفَاهْ تَعْمَلْ يُومْ الحْسَابْ

كِي يْسَالَكْ مَالَكْ الرِّيقَابْ ❁ رَبِّي وَمْلاَكُو شَاهْدِينْ

كِي قَالَتْ لُو ذَاكْ الكْلاَمْ ❁ خَافْ مْنَ الغَلَطْ وَالمْلاَمْ

خَايَفْ يَظْلَمْ بَنْتُو حْرَامْ ❁ وَ يَصْبَحْهَا مْنَ النَّادْمِينْ

خ – لزئكة نككع كلئ؟ ع م آ لذئلمة ذ:

يقول الشاعر الشعبي في هذا الصّدد ما يلي:

خَلَّى بَنْتُو وَ مْشَى يْسَالْ ❁ فِي الجَامَعْ لَزْهَرْ يَا رْجَالْ

صَابْ السَّادَاتْ أَهْلْ الكَمَالْ ❁ فُوقْ زْرَابِيهُمْ جَالْسِينْ

حِينْ وْصَلْ تَحَّا بَالسَّلاَمْ ❁ ردُّوا لُو بَوْجَابْ الكَلاَمِ ْ

قَالُوا لُو العُولاَمَا الكِرَامْ ❁ خِيرْ مَا جَابَكْ يَا حْزِينْ

مَا طَاقْشْ يَنْطَقْ بَاللسَانْ ❁ وظْهَرْ الحُزْنْ عْلِيهْ بَانْ

خَافْ عْلَى بَنْتُو مْنَ الهَوَانْ ❁ هَادَاكْ حَنَانْ لْلْوَالْدِينْ

قَالُوا العُولاَمَا مَا تْقُولْ ❁ وَاشْ اللِّي جَابَكْ يَا خَجُولْ

مَا تَخْجَلْشِي مَنْ أَهْلْ العُقُولْ ❁ هُوَ مَا لَقْطَابْ النَّاصِحِينْ

قَالَ لْهُمْ للهْ يَا حْبَابْ ❁ فِيدُونِي بَحْدِيثْ الصْوَابْ

مَنْ تَعْصِي مَالَكْ الرْقَابْ ❁ وَاشْ دْوَاهَا يَا فَاهْمِينْ

نَطْقُوا السَّادَاتْ بْصُوتْهُمْ ❁ قَالُوا تَتَّرْجَمْ كُلْهُمْ

ن– في عن عمر ئلة ذ لمخ تاذ ئ د فه لهـ ئك هـ ئ:

جاء في هذا الصّدد قول الشاعر التالي:

حُكْمْ اللهْ عْلِيهَا خْفَافْ ❁ اطْلَقْهَا بُوهَا مْنَ الكْتَابْ

قَالَ لْهَا سِيرِي وْلاَ تْخَافْ ❁ و الله حْسِيبْ الظَّالِمِينْ

ه –ئ عفك ذ ا للفخ في خ ن:

يقول الشاعر في هذا المجال ما يلي:

جَا جَدُّو دَايَرْلُو السْبُوعْ ❁ بَالحَنَّة وضْوَاوْ والشْمُوعْ

ى –فق خ ك في خ ن:

يقول الشاعر في هذا المقام ما يلي:

جَا جَدُّو يَفْقَدْ فَالْمَقَامْ ❁ حَطُّولُو قُوتْ مْنَ الطْعَامْ

قَالْ لْبَنْتُو وِينْ الغُلاَمْ ❁ قَالَتْ رَاهْ مَنَّايْمِينْ

قَالَ لْهَا رُوحِي فَيْقِيهْ ❁ قَلْبِي مَا يَصْبُرْشِي عْلِيهْ

لُو كَانْ دْرَى مَا صَارْ بِيهْ ❁ يَبْكِي وَدْمُوعُو سَائِلِينْ

إذن نستنتج من خلال هذه العناصر أنّ والد راشدة في القصّة الشعبية يعتبر شخصية أساسية وله دور فعّال وكبير فيها، على غير القصة القرآنية التي لم يبرز له دور فيه ولو ثانوي، وهذا دليل على الاختلاف الكلّي في هذا الشأن.

11/ بروز شخصية امرأة عمران، أم مريم قبل ولادتها أمّا بعدها فلم يكن لها دور فعال في القصة القرآنية، على خلاف القصة الشعبية التي برز دورها بعدما كبرت البنت وصارت

شابة وحدث لها ما حدث، وعليه يكون واضح وهو كالآتي، يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[1]، هنا ينتهي دور والد مريم، فبعدما حملت بها وولدتها وجعلتها محررة لخدمة بيت المقدس، انتهى دورها واختفى اسمها ولم يرد في القصة القرآنية، أمّا في القصة الشعبية فالعكس تماما حيث لم يظهر اسمها ودورها في أوّل القصة بل برز وظهر جليا عندما حملت ابنتها، حيث يقول الشاعر ما يلي:

آ –خ هذه آتمة؟قصة آلذي آلمة هة:

يقول القاص هاهنا ما يلي:

قَالَتْ يَمَّاهَا وَاشْ دَا ❁ وَاشْ أَعْمَلْتِي يَا رَاشْدَة

نَرْسَلْ لْبُوكِ يْجِي غْدَا ❁ ويَقْبَضْ عُمْرَكْ و مَا يْلِينْ

قَالَتْ يَايَمَّا وَاشْ جَاكْ ❁ يَاكْ مَا نَرْقُدْ إِلاَّ احْدَاكْ

وِينْ أَمْشِيتِي نَمْشِي مْعَاكْ ❁ تَتَّهْمِينِي بَكْلاَمْ شِينْ

قَالَتْ يَمَّاهَا يَابْسَا ❁ مَنْ ذِيكْ الْحَالَة البَاخْسَة

وَاشْ انْدِيرْ أَقْبَالْ النْسَا ❁ وَكْلاَمْ النَّاسْ الحَاقْدِينْ

كِيفَاهْ انْدِيرْ مْعَ أَهْلِي❁ مَنْ ذَا الهَمّْ اللِّي صَارْلِي

يَا بَنْتِي وَاشْ تْسَلِي ❁ خَلِّيتِينَا مَتْعَذْبِينْ

[1]– سورة آل عمران، الآيات 35-36.

قَالَتْ يَا يَمَّا مَا صْرَى ❁ إلاّ حُكْم الْمَوْلَى أَجْرَى

لَوْ نَوْجَدْ المُوتْ لَلشْرَى ❁ ولا عَصْيَانْ الْوَالْدِينْ

ا – خ هذه لخ لإنسانية:

يقول الشاعر الشعبي ما يلي في هذا الصدد:

قَالَتْ يَمَّاهَا يَا غْزَالْ ❁ مَنْ فَكَّكْ مَنْ ذَا الخْبَالْ

قَالَتْ صَابِي مَثْلْ الهْلاَلْ ❁ يَضْوِي وَنْجُومُو سَاطْعِينْ

صَبْرَتْ الطَّفْلَة وأُمْهَا ❁ حَتَّى وِينْ أَلْحَقْ يُومْهَا

ث – خ هذه لخ لإنسانية:

يقول الشاعر ما يلي:

ـفَرْحَتْ الطَّفْلَة وأُمْهَا ❁ سَعْدَكْ بَاللِّي زَادْ عَنْدْهَا

نلاحظ جيّدا أن الاختلاف واضح وبارز في هذا الحدث.

12/ يتمثّل الاختلاف الكلّي الموالي في موت الغلام ابن راشدة في القصة الشعبية وهو صغير في السنّ، وقد توفاه الله مرتين: أي أماته ثمّ أحياه ثمّ أماته على عكس القصة القرآنية التي ورد فيها أنّ عيسى –عليه السلام– رفعه الله وهو كبير في السنّ، يقول تعالى في كتابه الكريم في هذا الشأن ما يلي: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

[1]– سورة آل عمران ، الآية 55.

[2]– سورة النساء، الآية 158.

يقال أنّ الله خلصه ممّن أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان، فرفعه الله تعالى بعدما توفاه في النوم على الصحيح والأرجح في القول: "قيل: رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة"[1].

فعيسى عليه السلام لما توفاه الله ورفعه إليه لم يحييه مرة ثانية، بل أماته ميتة واحدة إلى الأبد، إلى يوم القيامة، "وقيل أنه سينزل لقتل المسيح الدجال الكاذب والداعي إلى الضلال"[2]، هذا في القصة القرآنية، أمّا فيما يخصّ القصة الشعبية فنرى أنّ الغلام قد أماته الله حقا في المنام لكن وهو لا يزال صبيا ثمّ أحياه ثمّ أماته مرة ثانية، ويتجلّى ذلك في قول الشاعر الشعبي التالي:

قَالْ لْجَدُّو رَلِنِي مْعَاكْ ❁ بَعْدْمَا كُنْتْ مْعَ الْمَيْتِينْ

أَحْيَانِي مُولاَنَا الكْرِيمْ ❁ بَعْدْ مَا زُرْتْ أَهْلْ النَّعِيمْ

جَاهَكْ عَنْدْ الْمَوْلَى عْظِيمْ ❁ سَعْدْ اللِّي مْعَاكْ مْجَاوْرِينْ

أَحْيَلِنِي بَعْدْمَا فْنيتْ ❁ شَرَّبْنِي قَدْ مَا ارْوِيتْ

وَفَّانِي بَعْدْمَا حْيِ يتْ ❁ ذُقْتْ الْمُوتْ عْلَى مَرْتِينْ

عَنْدْ الشَّجْرَة ثَمَّ اقْبَلْ ❁ وَانْفَتْحَتْلُو فِيهَا ادْخَلْ

قُوَّة جَبْدَلتُوا لَلسْفَلْ ❁ غَابْ عْلَى عْيُونْ النَّاظْرِينْ

هَبْ الرِّيحْ أَخْفَى كُلْشِي ❁ كَأَنُّه مَا كَانْ شِي

وَابْقَى خَبْرُو مَا غَابْشِي ❁ عَنْدْ النَّاسْ المَتْحَدْثِينْ

[1]– ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، ص 466.

[2]– بتصرف، نقلا عن ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، ص 462.

وبهذه الأبيات يبدو الاختلاف واضحا بين القصّتين.

13/ يبرز الاختلاف الكلي الموالي في ذكر الشجرة المثمرة التي أكلت منها راشدة ثمرة فحملت منها في حينها في القصة الشعبية، على خلاف القصة القرآنية التي لم يتم ذكرها فيها، ويقول الشاعر الشعبي ما يلي:

مَنْ ذَا الحُفْرَة وَتْرَابْهَا ❁ طَلْعَتْ شَجْرَة بَثْمَارْهَا

فَتْحَتْ مَاصَرْ بِيبَانْهَا ❁ وصَابَتْ شَجْرَة بَثْمَارْ زِينَ

حَارَتْ في خَلْقَتْهَا لَعْبَادْ ❁ مَا كَانْ مَثْلْهَا في للبْلادْ

ولاّتْ زْيَارَتْهَا عْنَادْ ❁ في يُومْ الجُمْعَة والتْنِينْ

دَارُوهَا نُزْهَة لَلْحَيَاةْ ❁ صَابُو فِيهَا سَعْدْ البَنَاتْ

كُلّ أَخْرَى نَالَتْ ما نْوَاتْ ❁ صَبْحَتْ بُشْرَى للزَّايْرِينْ

14/ الاختلاف الكلّي الموالي يتمثّل في المكان الذي جرت ووقعت فيه أحداث القصة، ففي القصة القرآنية نلمس من خلال كلام المؤرخين وعلماء الدين أنّ مكان أحداث القصة كان فلسطين، يقول ابن كثير الدمشقي في هذا الصدد: "فبينما هي يوما قد خرجت لبعض شؤونها فانفردت وحدها شرقي المسجد الحرام، إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام"[1].

وفي مقام آخر يقول: "لما ألجأها واضطرها الطّلق إلى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به...ببيت لحم الذي بني عليه بعض ملوك الروم فيما بعد"[2]، أمّا محمد علي الصابوني فيقول في هذا الأمر: "قال السدي: كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس وقال وهب بن منبه: كان ذلك على ثمانية أميال من بيت

[1]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 426.

[2]– ابن كثير الدمشقي /قصص الانبياء/ ص 429.

المقدس، في قرية يقال لها بيت لحم، وهذا هو المشهور"[1]، أمّا القصة الشعبية فتقول غير ذلك أي أنّ مكان مجرى أحداثها كان في مصر وليس في فلسطين والدّليل على ذلك قول الشاعر الشعبي الآتي:

مَنْ ذَا الحُفْرَة وَتْرَابْهَا ❁ طَلْعَتْ شَجْرَة بَثْمَارْهَا

فَتْحَتْ مَاصَرْ بِيبَانْهَا ❁ وصَابَتْ شَجْرَة بَثْمَارْ زِينَ

ويقول أيضا:

خَلَّى بَنْتُو وَمْشَى يْسَالْ ❁ في الْجَامَعْ لَزْهَرْ يَا رْجَالْ

صَابْ السَّادَاتْ أَهْلْ الكَمَالْ ❁ ـفُوقْ زْرَابِيهُمْ جَالْسِينْ

إذن وقعت أحداث القصة القرآنية في فلسطين والقصة الشعبية كانت أحداثها على أرض مصر، ممّا يدلّ على اختلاف الأمكنة.

15/ يقول تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[2]، نلاحظ أنّ المولى عز وجل ذكر لنا في هذه الآية أنّ مريم لما وضعت عيسى حملته بين أيديها وذهبت به إلى قومها كي تبرئ نفسها ممّا ينسبونه إليها من لغط وآثام وفواحش، عندها تكلّم عيسى –عليه السلام–.

وهو في مهده صبيا فبرأ والدته ونزّه الله عز وجل عن الولد ونفى كل ما نسبه الجاهلون إليهم، على خلاف القصة الشعبية التي لم تذكر هذا الحدث وسارت عكس تيار القصة القرآنية الحقيقية، حيث جاء فيها أنّ راشدة لما وضعت مكثت في بيت والدها وفرح

[1]– محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ ج2/ ص 448.

[2]– سورة مريم، الآية 27.

الناس بولادتها وبمجيء الغلام وأقاموا له احتفالات كبيرة وقدّموا له ما قدّموا من الهدايا والعطايا، يقول الشاعر ما يلي:

فَرْحُو بَسْلاَكْهَا يَا لَخْتَامْ ❁ زَادْ لكْرَمْهَا مَنْ لاَ يَنَامْ

جَاوُوا النَّاسْ يْشُوفُو الغُلاَمْ ❁ صَبْحَتْ في مَقَامْ الصَّالِحِينْ

فَرْحَتْ الطَّفْلَة ولُّمْهَا ❁ سَعْدَتْ بَاللِّي زَادْ عَنْدْهَا

وَلاَّتْ للنَّاسْ لتْزُورْهَا ❁ مَنْ كُلّ قْبِيلَة وَافْدِينْ

يَا سَعْدْ اللِّي جَاهَا يْزُورْهَا ❁ يَسْعَدْ بَالْفَرْحَة والسُّرُورْ

جَا جَدُّو دَايَرْلُو السْبوعْ ❁ بَالْحَنَّة وَاضْوَاوْ الشْمُوعْ

مَاذَا جَاوَهْ مْنَ الْسلُوعْ ❁ وْبْفَضْلُو كَانُوا فَارْحِينْ

نستنتج أن مريم في القصة القرآنية حملت ابنها وذهبت به إلى قومها وهم غاضبين مما فعلت، أما القصة الشعبية، فالقوم هم من أتوا إلى راشدة ليباركوا وضعها وسلامتها وجلب الهدايا للصبي الذي لم يذكر أنه تكلم في مهده، وأيضا فرحهم وغبطتهم بهذا المولود، اختلاف واضح وتغيير للحدث الحقيقي.

هذا الاختلاف من حيث الأحداث ومكان مجرياتها، أما فيما يخص الشخصيات فتكمن الاختلافات فيما يلي:

1- تتمثل شخصيات القصة القرآنية في الله عزّ وجلّ، مريم العذراء، عيسى عليه السلام، والدة مريم (امرأة عمران)، زكريا النبي، الملك (جبريل)، بنو إسرائيل (قوم مريم).

2- تتجسد شخصيات القصة الشعبية في: الله عزّ وجلّ، راشدة، والد راشدة، أمها، الصبي الذي برأها، علماء الأزهر، ابنها (محمد)، القوم، القابلة، البنات (صديقات راشدة)، الجيران، الشيخ المعلم، الشيطان.

نستنتج أن القصتين تتفقان على الشخصيات التالية: المولى عز وجل، مريم وابنها ووالدتها، أما باقي الشخصيات فتجسد لنا الاختلاف.

2. الاختلاف في الشكل والمضمون:

تتبلور الأحداث التي تختلف بالنقصان أي الأحداث الحقيقية التي ذكرت في القصة القرآنية ولم يتم ذكرها في القصة الشعبية باختصار كما يلي: (كنا قد ذكرنا الشواهد في الاختلاف الكلي، تكتفي برؤوس أقلام فقط):

1- ذكر مولد مريم العذراء في القصة القرآنية فقط.

2- ذكر كفالة زكريا النبي لمريم –عليها السلام– في القصة القرآنية فقط.

3- جاءت البشارة لمريم العذراء من الله عن طريق الملائكة في القصة القرآنية ولم تذكر في القصة الشعبية.

4- نلاحظ أن مريم حملت في القصة القرآنية عن طريق الملك الذي أرسله الله إليها فنفخ في جيبها فحملت،في نجد أن حملها في القصة الشعبية جاء بعد أكلها للثمر.

5- تمت تبرئة مريم العذراء عن طريق ابنها عيسى وهو في المهد صبي، هذا ما جاء في القصة القرآنية على خلاف القصة الشعبية لم تذكره.

3.ئلإخةلإــ لئيئخ:

وتكمن الأحداث التي جاءت في القصة الشعبية زيادة عن الحقائق والأحداث الثابتة في القرآن الكريم فيما يلي:

1- زيادة قصة والد راشدة مع الشيطان.

2- زيادة ذكر أن والد راشدة لما دفن العظم في تلك الحفرة، أنبتت شجرة ذات ثمر لذيذ، منه حملت راشدة.

3- زيادة ذكر أن تلك الشجرة كانت ملاذ البنات والنسوة.

4- زيادة ذكر أن راشدة حملت من الثمر الذي أكلته.

5- ذكر أن والد راشدة هو من ساهم في رجم ابنته.

6- زيادة ذكر أن أم راشدة كان لها دور كبير في أحداث القصة الشعبية.

7- زيادة ذكر أن علماء الأزهر حكموا على راشدة بالرجم حتي الموت.

8- مجيء الصبي لإنقاذ راشدة قبل ولادتها.

9- فرح قوم راشدة بالغلام الذي وضعته.

10- ذكر أن راشدة صاحت صيحة سقط الغلام من فمها ولم تلده كما تلد النساء.

11- ذكر أن ابن راشدة أماته الله مرتين، أماته ثم أحياه ثم أماته.

12- ذكر أن الغلام قد سقط في البئر فمات الموتة الأولى، ثم انفتحت له الشجرة ودخل فيها وهبت ريح وأخفت كل شيء بقدرة الله، فمات الموتة الثانية.

13- ذكر أن الغلام كان على علم بأنه سوف يموت، فأبقى والد أمه أو جده بخير وودّعه وأوصاه ووالدته بالصبر.

إذن نلاحظ أن الاختلافات بالزيادة كثيرة، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على اختلاف القصة الشعبية عن القصة القرآنية اختلافا كبيرا، وهو تغيير للحقائق وتحوير لها، وبهذا انتهت الموازنة بين القصتين القرآنية والشعبية، ونخلص إلى أن الثابت هو القرآن والمتحوّل هو القصص الشعبي.

الفصل الثالث

مقارنة قصص الانبياء

(اسماعيل-يوسف- عليهما السلام- ومريم العذراء)

بين القرآن والكتب السماوية الأخرى.

- مدخل إلى علم مقارنة الأديان

ك لاحتلآ ك:

- مقارنة قصة إسماعيل الذبيح –عليه السلام– بين القرآن والإنجيل والتوراة.

ك لاحتكتمى:

- مقارنة قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة.

ك لاحتكنت:

- مقارنة قصة مريم العذراء –عليها السلام– بين القرآن والإنجيل.

مدخل إلى علم مقارنة الأديان:

إنّ القرآن الكريم فيه من العلوم والمعارف والمبادئ والآداب أضعاف أضعاف ما جاء في الكتب السماوية الأخرى، فالعهد القديم[1] مثلا كان أكثر الكتب السماوية تناولا للناحية العلمية قبل القرآن، ونجده لم يتعرّض إلاّ لثلاثة موضوعات فقط بإيجاز، وتتمثّل فيما يلي: خلق الأرض، وخلق ما عليها من كائنات وبعض سير الأنبياء.

وكان تناوله لهته الموضوعات محدودا، أمّا القرآن الكريم فقد تناول الحقائق الكونية وما يدور حولها من مظاهر، ثمّ ما يتعلّق بقصص الأنبياء بصورة أصحّ وأدقّ بكثير ممّا جاء في الكتب السماوية الأخرى، كما أنّه رسم الطّريق الصّحيح للبحث العلمي عن طريق النّظر، والتدبّر والتأمّل، واستعمال الفكر القويم في فهم القرآن.

ونذكر على سبيل المثال هاهنا ما ورد في التوراة عن النبيّ سليمان –عليه السلام–، كان شيئا يحطّ من قدره ويصفه بالملحد عن طريق الإيمان باستخدام الجن، واعتبرت خوارق المعجزات التي ظهرت على يده من قبيل السحر، لكن القرآن الكريم نفى عنه هته التّهم نفيا تاما وقاطعا في سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾[2]، فشتان بين ما جاء به القرآن العظيم عن نبي معصوم وما جاء في التوراة.

[1]– أنظر الشرح المفصّل للعهد القديم في كتاب: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي/ في مقارنة الأديان (بحوث ودراسات)/ دار الجيل/ بيروت/ الطبعة الثانية: 1410 ه–1990م/ ص 13.

[2]– سورة البقرة، الآية 102.

إنّ ذكر قصص الأنبياء مرتبط عادة بالعبرة من مواقفهم الخاصة، لكن الملاحظ أنّ الخلاف شديد بين القرآن والتوراة والإنجيل[1] في صلب القصص ويظهر هذا التناقض في موقف النصارى منه، فعندما نذكر مثلا سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم يقولون هذا اقتباس من التوراة، وحين لا يذكر عندهم سيدنا صالح عليه السلام يقولون هذا لا سند له عندنا فيُنكرونهُ.

ففي الآية الثلاثون من الأصحاح العشرين من إنجيل يوحنا جاء ما يلي: "وآيات أخرى كثيرة صنعها يسوع أن كتب واحدة فلست أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة"[2]، فها هو الإنجيل لم يستطع حصر كلّ معجزات المسيح، فهل يجمع كل ما جاء على وجه الأرض منذ خلق آدم –عليه السلام–؟

التعريف بعلم مقارنة الأديان:

يقصد بمصطلح مقارنة الأديان أو الدّين المقارن comparative religion عند علماء الغرب: تاريخ الأديان أو فلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني وعلم النفس الديني، واذا كان علم مقارنة الأديان يعني أن تتّخذ الأديان بعامة موضوعا للدّراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التي اصطلح عليها أهل هذا الحقل، فإنّ الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم وجعلها موضوعا مستقلاّ للدّراسة والبحث ممنهجا بطرق علمية سليمة، وقد أشاد العلامة أ– بينارد دولابولاي H.Pinard de la boulaye في كتابه الدراسة المقارنة للأديان بابن حزم الأندلسي باعتباره رائد مقارنة الأديان في الفكر الإنساني كلّه[3].

[1]– الإمام محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان: الديانات القديمة/ دار الفكر العربي/القاهرة/ 1385 ه– 1965م/ ص 9.

[2]– إنجيل يوحنا، الآية 30.

[3]– نقلا عن مقال في الإنترنت بعنوان: مفهوم مقارنة الأديان.

أمّا الأستاذ إيريك ج شارب Eric.J.Sharp فيرى أنّ: الذي صنف أديان العالم العشرة المعروفة في العالم وكان له شرف كتابة أوّل تاريخ للأديان في العالم، فهو الشهرستاني، معتمدا في ذلك على منهج تاريخي علمي دقيق[1].

ويقول آدم متز Adam Metz: إنّ أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوروبا التي كانت كلها على النصرانية في العصور الوسطى، وجود عدد كبير من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، يتمتّعون بنوع من التّسامح لم يكن معروفا في أوروبا في العصور الوسطى، وظهر هذا التسامح مع نشوء علم مقارنة الأديان: أي دراسة الملل والنحل على اختلافها والإقبال عليها بشغف عظيم[2].

أمّا فرانز روزنتال Franz Rossental فيقول أنّ الغرب يعترف اليوم صراحة بأنّ الدّراسة المقارنة للأديان تعدّ واحدة من الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية التي أسهمت في التقدّم الفكري للإنسانية[3].

ومن المعلوم أنّ التّأليف في هذا الفنّ الذي تميّز به الفكر الإسلامي يقع في دائرة تخصص علماء العقيدة الذين أبدعوا أيّما إبداع في عرض أصول الديانات المختلفة[4] وقضاياها العقيدية، حيث يعتبر كتاب الآراء والديانات للنوبختي ت– 202م أو كتاب في هذا العلم، ثمّ يليه ابن حزم الظاهري سنة 456 ه بكتابه الفصل في الملل والنحل وأيضا الملل

[1]– نفس المرجع.

[2]– نقلا عن مقال في الإنترنت بعنوان: مفهوم مقارنة الأديان.

[3]– أنظر د. مصطفى حلمي: الإسلام والأديان –دراسة مقارنة–/ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع– الإسكندرية– مصر الطبعة الأولى 1411 ه– 1990م، ص 152.

– وأيضا: موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم / الترجمة للعربية دار المعارف بمصر/ 1987م، ص9.

– وأيضا محمد عزت الطهطاوي: محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن/ مكتبة النور – مصر الجديدة/ 1986م / ص 71-72.

[4]– أنظر أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام/مكتبة وهبة– مصر/ 1400 ه– 1979م/ ص162 / وكذلك كتاب علي عبد الواحد عبد الوافي: الأسفار المقدّسة في الأديان السابقة للإسلام/ مكتبة النهضة– مصر/ 1414هـ– 1994م/ ص15.

والنحل للشهر ستاني سنة 547 ه، ثمّ البيروني وغيره من العلماء والمؤلفات في هذا السياق، وعلى هذا يكون قد نسب هذا العلم إلى الفكر الإسلامي، يقول أحد الدّارسين المسلمين: "ولكن هذه الحركة النقدية القائمة على منهج علمي تاريخي دقيق، وعلى الموضوعية...إنّما قام بها العلماء المسلمون الذين أنشأوا بحق علم مقارنة الأديان"[1].

وكما هو واضح يتكوّن علم مقارنة الأديان من لفظين أو كلمتين كفيلتان بتوضيح معناه، وهما: المقارنة والدين ويدلاّن على ما يلي:

1- لغة في مذهب:

مصدر "قرن" الشيء بالشيء أي شدّه إليه، ومنه قرنت (بتضعيف الراء) الأسرى بالحبال إذا شدّدت وثاقهم ومنه أيضا: القرين: وهو الأسير، والقرن: الحبل، واقترن الشيء بغيره إذا صاحبه[2]، فهذه المعاني اللغوية للقرن كلها تدلّ على الاشتراك في الشيء والتداخل والتقارب فيما بين الأشياء، ونقول أيضا القرين هو الصّاحب والصّديق.

2- لغة في دين:

ويكمن معناه اللغوي في: هو مستحقات طرف يُدعى دائنا عند ثان، يقال له المدين، وهذا شرعيا، أمّا معنويا فالدين هو العلاقة التي تربط الله عز وجل باعتباره دائنا مع عبده الإنسان باعتباره مدين[3]، وتكون المستحقات هنا هي: العبادة التي يؤدّيها الإنسان لله كالصّلاة والزكاة والصّوم...باعتبار ذلك شكرا على النّعم التي أنعم الله بها على عبده.

---

[1]– الإمام: محمد أبو زهرة/ محاضرات في النصرانية/ دار الفكر العربي– القاهرة/ الطبعة الثانية/ 1381 ه– 1966م/ ص 8.
– وأنظر أيضا الموقف نفسه في كتاب د أحمد شلبي / سلسلة مقارنة الأديان: اليهودية/ مكتبة النهضة– مصر/ 1988م/ الطبعة 8/ ص 25.

[2]– ابن منظور، لسان العرب: المجموعة الخامسة/ مادة: قرن/ ص 75.

[3]– انظر د. محمد الزحيلي/ د. يوسف العش: تاريخ الأديان/ جامعة دمشق/ 1998م/ الطبعة 1 / ص 14.

وعليه فإنّ معنى علم مقارنة الأديان هو: البحث في مصادر وأصول وفروع وتصورات أصحاب الملل والنحل المختلفة، بمنهج يساوي بينها في المنطق أو البدء، من حيث أنها حقائق عند أصحابها، وهي الحالة النفسية التي يفترض أن يتّسم بها الباحث والتي تؤدّي به إلى السّعي لتحقيق الموضوعية، بحيث تكون النتائج التي يخلص إليها نتائج علمية ممنهجة ودقيقة.

كما أنّ القرآن الكريم يعتبر أوّل من أعطى الإرهاص الحقيقي والإشارات الأولى في تناول الأديان الأخرى بمنهجية محكمة، وقد أعطى لدارس الأديان والنّاقد أشكالا متعدّدة في النّقد، وأعطى وسائل كثيرة لمعرفة ما هو صحيح ومتغيّر في الأديان، فبيانه لموقفه من التوراة (الأسفار الموسوية الخمس) نرى أنّه استعمل وسائل لم يكن معروفة، فعلم تاريخ الأديان وعلم مقارنة الأديان يعتبر من العلوم الأساسية في التراث الإسلامي وان لم يلق العناية الكافية في عصورنا المتأخّرة من الدارسين المسلمين.

وعليه فإنّ هذا العلم يهتمّ بدراسة مختلف أنواع الظّواهر الدينية على الخصوص بتعيين وتحليل العوامل التي تؤدّي إلى التشابه والفروق في الأنواع المعينة[1].

وتحتوي طريقة المقارنة على المنهج التاريخي Méthode historique، ومنهج الثقافات المقارن Interculturelle، وهو يتطلّب وسائل وطرق لتبيان أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر، حتى تتجلّى أوجه التّداخل التي بداخلها.

وبديهي أنّ المقارنة بين نصّ الكتاب المقدّس والروايات المتعلقة بأحداث بداية العالم أو بأبطال العصور القديمة، لا تخلو من الفائدة في نظر القارئ، فهناك الكثير من الشّواهد عن الماضي الأدبي في الشّرق الأدنى القديم، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم على

[1]– أنظر مقالة من الإنترنت: د. بشير كردوسي: مدخل إلى علم مقارنة الأديان: جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة/ الجزائر. www.Anfasse.org

يد الإلاه مردوك، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الطّوفان، أو الأبراج الشامخة التي شادتها مدن ما بين النهرين إكراما لآلهتها[1].

ظهور علم مقارنة الأديان:

لقد تعرض الفلاسفة اليونانيون بكلّ حرية للمشاكل الكبرى التي جلبت اهتمامهم كأصل العالم، العلاقة الإلاهية بالعدالة، مصير الأرواح بعد الموت، وعليه كانت هذه هي بداية النقد الذي تطوّر عند الصوفيين ومختلف الفلاسفة، ومن ثمّ ظهرت عدّة مناهج تفسيرية للأديان، وكان منهج l'evehénérisme، هو أوّل نظام تفسيري، ويعتقد Evhémére بأنّ الآلهة في الميثيولوجية التقليدية هم أشخاص مميّزين كانوا فلاسفة وأمراء قدّسوا من قبل الشعب، ونجاح هذه النظرية تعزّزه العادات الدينية للملوك خاصة في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد، وكان لكتاب Euhéméros صدى كبير في اليونان، وترجم إلى اللاتينية من قبل Ennius[2].

ثمّ تلتها بعض التطورات حتى ظهر آخر الأديان السماوية (الإسلام) الذي أعطى هذا العالم حقّه في الظهور، واستشراف طرقه ومناهجه، ممّا ساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية والرقيّ بتا عن طريق العلم والاجتهاد[3].

لهذا ظهر علم تاريخ الأديان أو علم الملل والنّحل، والذي أصبح يعرف بعد ذلك بعلم مقارنة الأديان بمنهجيته السمحاء وبعده الإنساني والعالمي على عكس الأديان الأخرى التي تعتبر أيّ دين ضلالة وبدعة، فإذا نظرنا إلى موقف اليهودية من المسيحية فهي تعتبرها ضلالا بل اعتبرت المسيح ضمن المسحاء الكاذبين...، حيث ذكر آدم ميتز أنّ "تسامح

[1]– أنظر نقاط الاختلاف والتشابه بين الإسلام والأديان الأخرى في كتاب: أحمد عبد الوهاب/ الإسلام والأديان الأخرى: نقاط الاتفاق والاختلاف/ مكتبة التراث الإسلامي/ دار الجيل للطباعة والنشر– الفجالة– مصر/ 1992/ ص 27 وص53.

[2]– أنظر: sous la direction de Maurice Brillant et Réné Aigrain, histoire de religions, Tome 01, Bloudet gay, France, p 113-114.

[3]-Alfred loisy : leçon d'ouverture du cours d'histoire des religions au collège de France, Emile nourry, Paris ; 1909, p 06.

المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، هو التسامح الذي لم يسمح مثله في العصور الوسطى سببا في أنّ الحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى هو علم مقارنة الملل"[1].

حيث اهتمّ المسلمون أيضا بدراسة الأديان غير السماوية، والتي اعتنوا بتا وبمعتقداتها، وما أفرزته من أطر اجتماعية وثقافية، فكانت دراستهم من أهمّ ما أنتجه الفكر الإنساني وقتها حتى أنّ كتب علم الكلام لا تخلو من دراسة ومناقشة هذه الأديان (الثانوية، المناوية المزدكية، الهندوسية، البرهمية، البوذية...)[2]، يقول الشهرستاني أحد أساطين هذا العلم: "أعلم أنّ العرب في الجاهلية كانت على ثلاث أنواع من العلوم، أحدهما علم الأنساب والتواريخ والأديان"، وكما ورد كذلك في رسائل إخوان الصفا: "وأعلم يا أخي أنّ العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان"[3].

ولعلّ أهمّ ما يميّز عمل محمد عبد الكريم الشهرستاني الذي يعدّ من أشهر علماء تاريخ الأديان عند المسلمين وصاحب كتاب الملل والنحل، في تاريخ ومقارنة الأديان تلك النّظرة المنهجية الواضحة التي بدأ بتا دراسته وذكرها في الصّفحات الأولى من الملل والنحل، وتقوم هذه النظرة على خمس مقدمات رتبها على النّحو التالي:

1- بيان تقسيم أهل العالم جملة.

2- بيان قانون يبني عليه تعداد الفرق الإسلامية.

3- بيان أوّل شبهة وقعت في الخليقة.

---

[1]– آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة: محمد الهادي أبو ريدة/ الدار التونسية للنشر والتوزيع– تونس / المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر/ 1986م/ ج1/ ص 342-343.

[2]– Guy Monnot, Islam et religions , éditions Maisonneuve et larose, Paris 1986, p 38-44

[3]– محمد خليفة حسن أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة/ دار الثقافة للنشر والتوزيع– مصر/ 1985م/ ص 127.

4- بيان أوّل شبهة وقعت في الملة الإسلامية، وكيفية تشبعها ومصدرها ومظاهرها.

5- بيان السّبب الرئيسي الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب[1]، فبيانه لموقفه من التوراة (الأسفار الموسوية الخمس) نرى أنّه استعمل وسائل لم تكن معروفة حيث يقول أحد الدارسين: "ولا نعجب إذا عرفنا أنّ معظم المصطلحات النقدية القرآنية ووسائل التغيير النهي...أصبحت من مقومات المنهج النقدي للتوراة الذي تبناه علماء نقد الكتاب المقدّس (العهدين القديم والجديد) منذ القرن 19 ميلادي"[2].

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ الفكر الإسلامي هو السباق لهذا العلم، لكن بعد ضعف المسلمين واستسلامهم لأدبيات التخلف، اتّجه الفكر الغربي نحو هذا العالم ليبرزه من جديد، فأصبحت كبريات الجامعات الغربية كجامعة شيكاغو التي فيها قسم خاص سمي الأديان المقارنة سنة 1893م، وجامعة مانشستر سنة 1904م، وجامعة السربون التي فتح فيها قسم سمي بعلم الأديان سنة 1885م، كما فتح أوّل قسم لعلم الأديان في ألمانيا سنة 1910م، أمّا إيطاليا فكان أوّل كرسي لعلم الأديان بجامعة ميلانو سنة 1912م[3].

فأخذ بذلك هذا العمل طابعا معرفيا مميّزا عند الغرب، فظهرت له عدّة تسميات، لكن فضلت التسمية الألمانية عند علماء مقارنة الأديان الغربيين، وهي Religions wissemschaft، بالمعنى العلمي الذي يريده علماء مقارنة الأديان لعلمهم، وضياع هذا المعنى في الكلمات المقابلة في اللغات الأوروبية وخاصة كلمة Science الإنجليزية والفرنسية[4].

---

[1]– محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي أحمد الشهرستاني: الملل والنحل/ الجزء الأوّل/ مكتبة السلام العالمية– القاهرة/ ص9-10.

[2]– محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)– دار الثقافة للنشر والتوزيع– مصر/ 1988م– ص 68-69.

[3]– Hansch weiser : Le grand atlas des religions, éditions du cerfs, Paris, 1997, p 30-35.

[4]– محمد خليفة حسن أحمد/ دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة/ ص 128.

تعرض علم مقارنة الأديان في الغرب لمقاومة شديدة من التيّار اللاهوتي المسيحي، ومن بعده الماركسي، لكن بالرّغم من هذه المقاومة إلاّ أنّه ظلّ ينمو سريعا ولاسيما منذ مطلع القرن العشرين، وبوجه أخصّ منذ استخدام الطّريقة الفنومنولوجيا كما جاء بتا هوسلر، والتي استخدمت لأوّل مرة في علم الأديان من طرف لهمان[1].

كما أظهرت بعض الدراسات في علم مقارنة الأديان أنّها لم تقتصر في تعاملها مع الفنومنولوجيا، بل استخدم علم مقارنة الأديان علم الفيلولوجيا والأنتوغرافيا كما استفاد من نتائج الأنتروبولوجيا، حتى أنّهم استعادوا بالعلوم الدقيقة مثل ما فعل لويس فريه في كتابه تحليل ترتيبي للأناجيل المتشابهة، الصّادر عن المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بالسربون، قسم علم الإنسان والرياضيات، حيث استخدم فيه الرياضيات الحديثة لتحليل الأناجيل المتشابهة الإيزائية: متى – مرقص– لوقا[2].

عرّف لالاند طريقة المقارنة "بأنها الطريقة التي تعتمد على المقارنات بين مختلف الأشكال المنتمية لفئة واحدة أو لنوع واحد من الظواهر ومن أصل واحد كذلك"[3].

إنّ المقارنة تستخدم عادة في مجال التاريخ، فهي بهذا تبدو أكثر قدما من الإنسانية وأكثر هشاشة منها، ولم تتمكّن المقارنة أو التيّار الفكري المنادي بتا اكتساب مركزا في عصرنا الحالي كطريقة فكرية إلاّ بصعوبة[4].

---

[1]– جيب" علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات/ بيروت/ باريس/ الطبعة الثانية/ 1989م/ ص 12-13.

3- Louis Frey : Analyse ordinale des évangiles synoptiques éditions Gautier villaren, éditions Mouton et cie, France , 1972

– وانظر كذلك:

-Dictionnaire de théologie fondamentale, Sous la direction de réne latourelle et Rino Fisichella, édition Française dirigée par René latourelle, éditions Bellarmine (Montréal) édition du cerf, Paris, pp 1034-1063 .

4- A.lalande, le vocabulaire technique et critique de la philosophie P.U.F. Paris, 1968, p 65-67 3-

[4]- Sous la direction de François boespflug et Françoise Dumand, le comparatisme en histoire des religions, les éditions des cerfs, Paris, 1979, p 08.

ووردت المقارنة في عدّة كتب سماوية كالقرآن مثلا، حيث رفض إبليس السّجود لآدم باعتباره مخلوقا من النّار وآدم من الطّين، وعليه "فالمقارنة تسمح بتعريف أو بسمو جهة الآخر من خلال الفوارق الموجودة، أو لشيء غير مفهوم وغير المشروح أو البيّن"[1].

وقد طوّر علماء مقارنة الأديان البحث في منهجه حتى يتفادوا السّقوط في اللاموضوعية، فكان عمل دو ميزيل في تاريخ الأديان المقارن أوّل موظفا لمنهجة الوراثية، فقد كان بحثه في الدّيانة الهندوأوروبية، والتي بدأها قبله ماكس موليير وجيمس فريزر، فتبع طريقة العلاقات بين الكلمات والتي بحث من قبل من طرف قوندرايس، وفهم أنّه لابدّ من التخلّي على مقارنة الأعلام والاتجاه لمقارنة التصوّرات الدينية للكلمات[2].

وبهذا نخلص إلى أنّ علم مقارنة الأديان قد سار مسارا معرفيا زمنيا منذ بدايته في الفترة الإسلامية حتى عصرنا الحالي، متطوّرا ضمنيا وفق المعطيات العلمية المستحدثة، كما أنّ المقارنة رغم تخطيها العقبات الإبستومولوجيا، ورغم مجهودات علماء علم مقارنة الأديان أن تكون مبنية على أسس معرفية صحيحة، لكن مازالت هناك عوائق كثيرة تحول دون سيرورته، كما أنّ على تاريخ الأديان قد بلغ شوطا كبيرا في أخذ مكانته اللائقة بت في مصاف المعارف الحديثة، والذي تشكّل فيه العقلانية وسموّ الإنسان للوصول إلى الحقائق المجرة والهدف الأسمى.

[1] - Alfred loisy, leçon d'ouverture du cours d'histoire des religions au collège de France, Emile nourry, Paris, 1909, p 6.

[2] – Paul Poupard, les religions, collections que sais-je, editions .P.U.F. Paris, 1979, p 06.

المبحث الأول: مقارنة قصة إسماعيل الذبيح –عليه السلام– بين القرآن والمسيحية والتوراة

I- مقارنة قصة إسماعيل الذّبيح بين القرآن والمسيحية واليهودية:

* هي بطاقة تعريفية لكل من القرآن والتوراة الأزلام بـ:

إنّ اتفاق القرآن الكريم والتوراة[1] على إيراد قصّة الذبيح والاشتراك في بعض ملابساتها لا يعني التطابق بين طرحيهما، بل إنّ النّظر في ذلك يبدي فروقا شاسعة بينهما حول (هوية الذبيح)، وما يحيط بها من عقائد وتوجيهات لها من الأهمية في مجال العقيدة الشيء الكثير، هذا إضافة إلى الاختلاف البيّن في شكل ومضمون إيرادها.

ومن المقدمات التي اتّفق الكتابان المقدّسان، عليها أنّ قصّة الذّبيح فيهما ليست مستقلة بذاتها، بل إنّ ورودها فيهما جاء في إطار سياق عام، نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، والأهمية العقيدية هاهنا تتأتّى في جانب كبير، منها الانتساب إلى هذا النبيّ الذي يعتبر أبا التوحيد في شكله المعروف للبشر منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، فقد اكتسب هذه الشخصية الدينية في تاريخ جميع الأديان التوحيدية قدرا عظيما من الاحترام والتبجيل، حيث يعتبر عليه السلام عند اليهود أبا من آباء بني إسرائيل، بل وجدّهم الأعلى والأكبر، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على انتسابهم له، والملاحظ أنّ هذا النسب المباشر بين أنبياء إسرائيل وابراهيم على عكس ما يزعمه الشعب اليهودي بانتسابهم إليه إلى يومنا هذا[2].

[1]– التوراة: هي الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام/ وتطلق مجازا على العهد القديم كله/ وهي سفر التكوين والخروج والعدد والتثنية واللويين.

[2]– فكرة انتساب اليهود إلى إبراهيم عليه السلام بقدر ما فيها من الخطورة فإنّ ذلك لا يقل أبدا عما فيها من الزعم الباطل/ انظر: يهود اليوم ليسوا يهودا/ لبنيامين فريدمان/ ترجمة: زهدي الفاتح. (مقال): www.diwan.olarab.com

ومن المؤكّد أنّ شرف وأهمية الانتساب إلى نبي الله إبراهيم هو ما دفع كتّاب الأناجيل إلى إلحاق نسب عيسى –عليه السلام– به عبر سلسلة طويلة من النسب[1]، كغيره من الأنبياء ومنهم إسماعيل –عليه السلام–[2].

1- لم هك دلي جـ عخطوق خ لو ؛ (هة وف ءلأمجك):

إنّ الذبيح عند اليهود والنصارى هو جدّهم إسحاق[3] بن إبراهيم –عليه السلام–، وأوّل النصوص التي تنصّ وتدلّ على هذا الاعتقاد وتؤكّده هي ما ورد في سفر التكوين من قول الله تبارك وتعالى لإبراهيم: "خذ ابنك، وحيدك الذي تحبّه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك (محرقة)[4] على أحد الجبال الذي أقول لك"[5].

نلاحظ أنّ هذا النصّ يحدّد اسم الذبيح ويصرّح به محاولا بذلك القضاء على كلّ الشكوك وتوضيح كل الغموض، وهذا عنصر أصيل وأسلوب طرح معتاد في التوراة، يبيّن بوضوح أنها كتب تاريخ أكثر من كونها كتب عقيدة، ويتأكّد ذلك من كثرة التفاصيل التي توردها في كلّ قصّة من قصصها رغم انتفاء علاقتها بالمعتقدات، وان كان الأمر يختلف هنا بعض الاختلاف إذ سيبيّن من التّأكيد هوية الذّبيح وأنّ كتاب هذا النصّ أرادوا غرس الاعتقاد في النفوس لا لمجرّد التفصيل القصصي[6].

---

[1]– انظر: أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري/ تبيين الصحيح في تعيين الذبيح/ تحقيق: بدر العمراني الطنجي/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت– لبنان/ الطبعة الأولى/ 1428 ه– 2007م/ ص 13.

[2]–ملاحظة: لاطلاع أكثر على قصة النبي اسماعيل عله السلام انظر رسالة المجاستير للطالبة فتيحة بلحاجي "قصص النبي اسماعيل عليه السلام بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي –دراسة موازنة–" ، 2003–2004.

[3]– انظر: آلان هوايت/ الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء/ ص 125/ ترجمة فرج الله إسحاق/ نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر/ بيروت/ 1981م.

[4]– القربان اليهودي في عهد موسى –عليه السلام –كان يحرق ويبدو أنّ الأمر كان كذلك في زمن إبراهيم –عليه السلام.

[5]– التكوين، 2/22.

[6]– أنظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم/ ج1/ مبنى على آراء عدد من اللاهوتيين/ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى/ بيروت/ 1973/ ص 156-157/ وأنظر أيضا د.ت. ماير/ حياة إبراهيم: ترجمة القمص مرقس داود: نشر

إنّ إسحاق –عليه السلام– هو ثاني أبناء إبراهيم –عليه السلام–وتبدأ قصّته في التوراة ببشارة الله لإبراهيم بميلاده، فقد ورد في سفر التكوين ما يلي: "وأباركها –يقصد سارة– وأعطيك أيضا منها ابنا"[1]، والملاحظ هاهنا أنّ ميلاده كان شيئا خارقا، حتى أنّ والده تعجّب من هذه البشارة وقال في قلبه: "هل يولد لابن مائة عام؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟"[2] ، ممّا يدلّ على عجز كبار السن عن الإنجاب سواء أكان رجلا أم امرأة.

وتستمرّ التوراة بعد هذا في رواية قصّته: نشأته وزواجه وتغربه...وهي تقدم بذلك حصرا للنبوة في خلفه بعد إقصاءها لإسماعيل من هذا العهد، يقول سفر التكوين مؤكّدا ذلك: "ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق"[3].

لكن الغريب في الأمر هو أنّ إبراهيم –عليه السلام– بعد مدة من البشارة، نجده في سفر التكوين يشتكي إلى الله من عدم الإنجاب، كما يبدي خوفه أيضا من أن يرثه الغرباء فوعده الله بالنسل، يقول سفر التكوين في هذا المجال: "وقال أبرام: أيضا إنّك لم تعطيني نسلا...فإذا كلام الربّ قائلا: بل الذي يخرج من أحشائك، هو يرثك"[4]، فمن هو هذا الوارث يا ترى؟

مكتبة المحبّة بالقاهرة/ 1980/ ص 151/ وأنظر كذلك: الآباء والأنبياء: تحقيق محمد أحمد عبد العزيز/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الرابعة/ 1408 ه– 1988م/ ص 126.

[1]– التكوين 12/17.

[2]– التكوين : 17/17.

[3]– التكوين : 21/17.

[4]– التكوين: 4/3/15: وتجدر الإشارة إلى عدم دقة المصطلح التوراتي والذي يتمثّل في تقريرها أنّ الولد يخرج من أحشاء الرجل بل الوصف لا يصحّ إلاّ بالنسبة للمرأة.

إنّه في الأصل إسماعيل –عليه السلام– الابن الأكبر لإبراهيم، وهو شخصية محورية من شخصيات العهد القديم، رويت قصّته بتوسع، ولم يغظّ الطّرف عنها إلاّ بعد ميلاد إسحاق –عليه السلام– بمدة[1].

2-ؤز لئعك ه هكديلجـ لمـ ش لـ مكة وف:

لقد خصّ الله عز وجل كل قوم بميزات ومقومات تختلف باختلاف المكان والزمان، وتلعب العوامل الجغرافية والاستقرار المعيشي الدّور الأكبر في ذلك، حيث أنّ الاستقرار هو الذي يساعد على صنع الحضارة، واذا طبّقنا تلك المقومات على اليهود، فإنّ ذلك لا ينطبق عليهم مطلقا، لعدم استقرارهم وتشتتهم الدائم ولفظهم من المجتمعات التي عاشوا فيها فرضا وجبرا أو تعايشا جبريا، كانت تلك المقدمة التي تدلّ على كذب التوراة في تناول قصّة الذّبيح، والتي أثبتت التوراة على نفسها الغلط والخطأ، فهي تغالط نفسها بنصوصها وتنقسم على ذاتها، لأنّ الله أراد أن يكشفهم على مرّ التاريخ والأزمان والعصور.

ونتعرض الآن إلى الدّليل من التوراة ذاتها التي يعترف بها اليهود ككتاب مقدّس، بداية نلاحظ أنّ التوراة تثبت صحة زواج سيدنا إبراهيم من هاجر في سفر التكوين الإصحاح السادس عشر كما يلي: "فأخذت ساراي امرأة إبرام هاجر المصرية جاريتها، من بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان، وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له"[2]، وبالتالي فإنّ الآية تثبت أنّ سيدنا إبراهيم قد تزوج هاجر بناء على رغبة سارة زوجته[3] التي لم تكن تنجب، ثمّ بعد هذا تنتقل التوراة إلى الحديث عن مولد إسماعيل النبيّ في نهاية الأصحاح، في العبارة

[1]– انظر ابن تيمية: مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية/ الجزء الرابع/ جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وابنه محمد بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين/ ص 332/ وأنظر أيضا كتابه منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية/ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم/ طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض/ 1406 ه–1986م/ ص 353.

[2]– تكوين الأصحاح، 3/16.

[3]– أنظر: أحمد عبد الوهاب/ فلسطين بين الحقائق والأباطيل/ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة/ الطبعة الأولى/ 1392 ه– 1972م/ ص 36.

15 وجاءت كما يلي: "فولدت هاجر إبرام ابنا له ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل، وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام"[1].

ويتّضح أنّ التوراة تثبت على نفسها نسب إسماعيل لإبراهيم وأنه أوّل أبنائه وكان عمره آنذاك 86 عاما، وحينما رزق الله إبراهيم بإسحاق كان عمره 100 سنة، وذلك ما تثبته التوراة في الأصحاح 21 العبارة الخامسة: "وكان إبراهيم بن مئة عام حين ولد له إسحاق"[2]، إذا الحقيقة التي أقرتها التوراة هي أنّ الابن البكر للنبيّ إبراهيم هو النبيّ إسماعيل وليس إسحاق[3].

ولنرى الآن مدى كذب التوراة بإظهار حقيقة قصّة الذبيح: جاء في الأصحاح 22 ما يلي: "فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبّه إسحاق واذهب به إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال..."[4].

لنتمعّن معا في تلابيب هذه الآية ونكتشف مدى التناقض الذي ينطوي على نفسه داخل وريقات التوراة نفسها:

أولا: هل إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم؟ الإجابة: لا بنص التوراة، كما سبق ذكره.

ثانيا: هل إبراهيم يحبّ إسحاق ويكره إسماعيل؟ الإجابة أيضا: لا وبنص من التوراة نفسها[5].

---

[1]– تكوين الأصحاح: 15.

[2]– تكوين الأصحاح : 21.

[3]– أنظر: عباس محمود العقاد/ إبراهيم أبو الأنبياء/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا– بيروت/ د.ت/ ص 87.

[4]– تكوين الأصحاح: 2/22.

[5]– أنظر: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية/زاد الميعاد في هدي خير العباد/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط/ نشر مؤسسة الرسالة/ بيروت/ مكتبة المنار الإسلامية بالكويت/ توزيع دار الريان للتراث الطبعة الخامسة عشر/ 1407 ه– 1987م/ الجزء 1/ ص 72.

كما جاء في الآية التالية: "ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأنّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق، فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبّ ابنه"[1].

تثبت لنا هذه الآيات من التوراة أنّ إبراهيم أحبّ ابنه إسماعيل مثل إسحاق والدّليل على ذلك ظهور الغضب عليه بسبب غيرة سارة منه، واذا تناولنا كلمة "وحيدك" بالعرض والتحليل ومنهج القياس سنكتشف أنّ التوراة أهدت لنا تلك الكلمة لتثبت أنها محرقة، وأنها تغيّر الحقائق وتبدلها لتسلب شرف الذبح عن العرب لثبوته لجدّهم الأعلى إسماعيل ورغبتهم في نسبه لجدّهم إسحاق، لكنها أثبتت لنا أنّه إسماعيل بالدلالة العقلية والنصّ الواضح والدّال عليه.

لنتأمّل هذه الآية من سفر التكوين: "ودفنه إسحاق واسماعيل ابناه في منارة المكفلية"[2]، فهي إن دلّت على شيء إنّما تدلّ على نفي كلمة وحيدك[3]، واثبات وجود الابنين معا لدى إبراهيم، ففي الحقيقة الأدلة كثيرة، لكننا اكتفينا بما جاء من التوراة من كذب اليهود، لكن هناك آية استوقفتنا في سفر أرميا، والتي تثبت أنّ التوراة نفسها محرقة، فسبحان الله: التوراة تكذب نفسها، حيث جاء فيها ما يلي: كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الربّ معنا حقا إنّه إلى الكذب حوله قلم الكتب الكاذب"[4]، يقول العلامة ابن القيّم في كتابه إغاثة اللهفان، حيث يذكر بطلان ادعاء اليهود بنسب الذّبح لإسحاق على النحو التالي:

---

[1]– تكوين الأصحاح: 19/21-9-11.

[2]– سفر التكوين: 9/25.

[3]– أنظر ابن تيمية/ منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة القدرية/ تحقيق د/ محمد رشاد سالم/ ج 5/ ص 353/ وانظر أيضا الدليل على التحريف في كتاب فتحي محمد الزغبي: تأثّر اليهودية بالأديان الوثنية/ نشر دار البشير بطنطا/ الطبعة الأولى/ 1994م (المدخل).

[4]– سفر أراميا: 8/8.

آ لإ: أن بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث، فالجمع بين كونه مأمورا بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.

تئيئ: أنّ الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لئلاّ تغير سارة، فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظا لقلبها ودفعا لأدى الغيرة فكيف يأمر سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وابقاء ابن السرية فهذا لا تقتضيه الحكمة.

ئكتئ: أنّ قصّة الذّبح كانت بمكة قطعا لهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيرا للأمّة بما كان من قصة أبيهم مع ولده.

ئغلعئ: أنّ الله سبحانه وتعالى بشّر سارة أمّ إسحاق به، ووراءه يعقوب فبشرها بهما جميعا، فكيف يأمر الله بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشّر أبويه بولد ولده.

ئذلزئ: أنّ الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح، وتسليمه نفسه لله تعالى واقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: وبشرناه بإسحاق نبيّا من الصالحين، فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له جعل من إثابته على ذلك: أن نجّى إسماعيل من الذّبح وزاده عليه إسحاق.

زئخزئ: أنّ إبراهيم –عليه السلام– سأل ربّه الولد فأجاب الله دعاءه وبشّره فلمّا بلغ معه السعي أمر بذبحه ودليل ذلك ما جاء في سورة الصافات.

زئلعئ: أنّ إبراهيم –عليه السلام– لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرّق بينه وبين أمّه وكيف يأمر الله تعالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحه لموضع ضرتها في بلدها ويدع ابن ضرتها.

تلمذ: أنّ الله تعالى لمّا اتخذ إبراهيم خليلا وهبه إسماعيل، فتعلّق به شعبة من فؤاده فأراد خليله سبحانه وتعالى أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق، فامتحنه بذبح ولده، فنسخ الآمر بالذّبح لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النّفس على الامتثال.

تزعم: أنّ إبراهيم –عليه السلام– إنّما رزق إسحاق –عليه السلام– على الكبر واسماعيل عليه السلام رزقه إياه في عنفوانه وقوته والعادة أنّ القلب يتعلّق بأوّل الأولاد وهو إليه أميل له وأحبّ بخلاف من يرزقه على الكبر.

عوسج آخر: والبشارة بإسحاق وقعت لسارة وكانت قد غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل، وأمر الله إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمّه إلى مكّة ثم لما جاء الضيف وهم الملائكة لإبراهيم وبشّروه بإسحاق، فكيف يؤمر بذبح إسحاق مع بقاء إسماعيل.

وهي لم تصبر على وجود إسماعيل وحده بل غارت أن يكون له ابن من غيرها، فكيف تصبر على ذبح ابنها وبقاء ابن ضرتها، وكيف يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه وأمّه مبشرة بذلك وبابن ابنه يعقوب[1].

وبعد هذه اللمحة في نصوص العهد القديم التي عرضت قصة الذبيح ومتعلقاتها فإننا نستطيع تأكيد ما يلي:

1- أنّ هناك تحريفا وقع في هذا النصّ المقدّس، بحذف اسم إسماعيل، وأنّ هناك دسّا فيه يتمثّل في وضع اسم إسحاق[2]، أمّا عن أسباب هذا الأمر فتكمن في عوامل عقيدية وتاريخية وموضوعية سنبحثها لاحقا.

[1]– انظر ابن القيم الجوزية /إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان /دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ 2004م.

[2]– انظر: قاموس الكتاب المقدس/ تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين/ هيئة التحرير/ د. بطرس عبد المالك/ د. جون الكساندر طمسن / أ. إبراهيم مطر/ من منشورات مكتبة المشعل في بيروت بإشراف رابطة كنائس الإنجيلية في الشّرق الأوسط/ الطبعة السادسة/ 1971م/ ص 187.

2- أن تبني إسماعيل باعتباره الذبيح يوافق تماما حقيقة الأمر كما بيّنا ذلك بالأدلّة الموضوعية والعقلية، وهو بيّن يقضي على الاعتراضات التي تقوم أمام اعتبار إسحاق معنيا بهذا الحدث، وهو أمر يستطيع التأكّد منه وتبنيه كل عقلية نقدية مهما كان انتماؤها بشرط عدم التحجر على التعليم التقليدي الكنيسي أو اليهودي، وسنوضّح هذا الكلام عند عرضنا للقصّة كما جاءت في القرآن الكريم وكما روتها الروايات الإسلامية الصادقة.

3- لم هك دلي جغى طق ذم هك قفيل؛

إنّ القرآن الكريم على عكس التوراة لا يحدّد هوية الذبيح بالنصّ على اسمه غير أنّنا نؤكّد أنه يستعيض عن ذلك بأسلوب مميّز وواضح، يفهم منه أنّ الذبيح هو إسماعيل –عليه السلام–، ويوجد كلّ ذلك في قصة الذبيح نفسها، وأيضا في محتوى معناها وفي إيراده لمتعلقاتها.

إنّ قصة الذبيح في القرآن الكريم قد وردت في موضع واحد منه مجموعة في سورة الصافات، إلاّ أن محيطها يوجد متفرقا في سور كثيرة منها البقرة، وابراهيم وغيرها...

⟸ انظر الدّليل في الفصل الأول مفصلا ومبرهنا على أنّ الذّبيح هو إسماعيل –عليه السلام– بالآيات القرآنية القاطعة.

وبعد دراستنا للنص القرآني، وبعض الأحاديث الدّالة على أنّ الذّبيح هو إسماعيل، نستطيع أن نستنتج ما يلي:

1- أنّ القرآن الكريم يجعل إسماعيل هو الذّبيح[1]، وذلك لأمور يفهمها البشر بيسر، ونستطيع التّعبير عنها بكلمة –بكورية إسماعيل– وقد أوضحنا عند الدّراسة أهمية هذه الصّفة لاكتمال امتحان الله لإبراهيم –عليه السلام–.

2- إن تبني المسلمين القدامى من السّلف الصالح رضوان الله عليهم والمحققين من علمائنا لفكرة كون الذّبيح هو إسحاق، يعود إلى عدم الانتباه إلى الأسلوب القرآني في سَوْقِ القصة، إضافة إلى عدم إدراكهم للأبعاد الحقيقة للارتباط الشّديد بين الدّعوة إلى التوحيد الخالص وبين إبراهيم –عليه السلام–. هذا من جهة، وهو يعود من جهة أخرى إلى تأثّرهم الكبير بالروايات الإسلامية الكتابية والضّعيف منها، وتصديقهم لما تطرحه دون اهتمام بالمناقشة ومثال ذلك ما يلي: "...فإذا كان ذلك، فمعلوم أنّ الذي ذكره تعالى... في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنّه بشره به، وهو لا شك أنه إسحاق إذ كان المفدى هو المبشر به"[2]، ونلاحظ الشّأن نفسه فيما يلي: "يقول الإمام بن كثير في تفسيره: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنّ الذبيح هو إسحاق[3]، وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة –رضي الله عنهم– أيضا"[4].

ومن القائلين بذلك سفيان الثوري، وهو رأي ابن عباس كما روى عنه ذلك عكرمة "وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد والشعبي، وعبيد بن عمير، وأبو ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن شقيق، والزهري، والقاسم بن أبي برزة، ومكحول وعثمان بن أبي

[1]– أنظر: شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري/ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي/ دار صادر/ بيروت/ ج1/ ص 279/ وأيضا: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ج1/ ص 490-491.

– وأنظر أيضا: أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني/ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية/ دار الكتب العلمية– بيروت/ ج1/ ص 17.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير/ دار سحنون للنشر والتوزيع– تونس/ 1997م/ ج22/ ص 148.

[3]– أنظر محمد جمال الدين القاسمي/ محاسن التأويل/ دار الفكر– بيروت/ الطبعة الثانية/ 1398 ه– 1978م/ ج 14/ ص 120.

4– تفسير ابن كثير: ج 4/ ص 19.

حاضر، والسدّي والحسن وقتادة وأبو الهذيل، وابن سابط..."[1]، وهذا رأي جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد صحّح الإمام ابن كثير الرواية التي نقلت عن عبد الله بن مسعود، كما حكى البغوي القول بأنه إسحاق عن عمرو علي وابن مسعود والعباس[2].

3- أنّ العهد القديم فيه من الثغرات النصية ما يكفي للشكّ في حقيقة ما يطرحه بصفة عامّة، وأنّ كون إسماعيل هو الذبيح في النصوص الموجودة بين أيدينا منه واضح تماما، ودليلا قاطعا وهو أمر يقبله كل عاقل ينظر فيه، خصوصا إذا كان ذا معرفة بالأصول العقيدية في الديانة اليهودية ذاتها.

4- ز ذ ة ح ني ـ ك ة ه ئ ك س خ ش ي ب ك د ي ج ه ع ظ ك ة ش ني ج ا ذ غ ى ط ق ن م ك ق ذ ل:

تحيلنا هذه الدّراسة الدينية المقارنة إلى الاستفسار عن محورين مهمّين في ثناياها ألا وهما:

1- ما السرّ في تحريف العهد القديم وادعاء أن الذبيح هو إسحاق؟

2- وما السرّ في عدم تصريح النص القرآني على اسم الذبيح؟

أمّا بالنسبة للنص اليهودي المحرف فإننا نرى علماء المسلمين يجمعون على أنّ الأمر مقصود، وقد حملهم عليه "حسد العرب فإنّ إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسحاق والد يعقوب، وهو إسرائيل الذين

1- المصدر نفسه : ج 4/ ص 19.

2- انظر الحسين بن مسعود الفراء البغوي/ معالم التنزيل/ الطبعة الأولى/ المجلد الرابع/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1993م/ ص 567/ وانظر أيضا: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الطبعة الأولى/ تحقيق: محمد أحمد (الأمد وعمر عبد السلام السلامي)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- 1999م/ الجزء 23/ ص 133.

ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجرّوا هذا الشّرف إليهم فحرّفوا كلام الله، وزادوا فيه، وهم قوم بهت، ولم يقروا بأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"[1].

نلاحظ أنّ العهد القديم حرف الموضوع الأصلي انطلاقا من النبوة وصولا إلى حادثة الذّبح، وموضوع التحريف عند اليهود يشكّل جانبا مهمّا في كثير من النصوص التي عرضت لقصة إسماعيل واسحاق، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على جرّ كاتب القصة التوراتية إلى متابعة تفاصيلها في كلّ النصوص الأخرى ليجعلها تتوافق مع ما أجراه من التغيرات على الأصل، وأبرز دليل على ذلك كما رأينا في نص سفر التكوين حيث وضع إسحاق مكان إسماعيل، وهذا الاكتفاء بذكر صفات إسماعيل وجعلها تتعلّق بإسحاق وبتفسيرها لإبعاد إبراهيم لبكره إسماعيل عنه فيه تحريف واضح وصريح[2].

إنّ القارئ لكتابات اليهودية يكتشف أنّ بعضا منها يصل صحيحا، ذلك لأنهم يلجأون إلى التحريف في النصوص إلاّ لتحقيق أغراض معينة، والقرآن الكريم ينص على أنّ اليهود:

1- يلبسون الحق بالباطل، والتلبيس هو تغيير النص بوضع كلمة فيه، أي وضع كلمة باطلة في داخل نص الحق، كما فعلوا بإدخال كلمة إسحاق داخل نص الذّبح.

2- يؤولون الكلمات والنصوص تأويلا يذهب بمعانيها، هذا إضافة إلى إخفاءهم على الناس ما بأيديهم من الكتاب...والدّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[3].

---

[1]– ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء/ ص 162.

[2]–أنظر: محمد حسين الذهبي/ الإسرائيليات في التفسير والحديث/ من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية/ 1407 ه– 1987م – وأيضا: محمد بن محمد أبو شهبة/ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف/ 1404 ه– 1984م/ ص 355-356/ وكتابه أيضا: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة /دراسة محررة جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث/ دار القلم– دمشق– بيروت/ 1409 ه– 1988م/ الجزء الأول/ ص 113-114.

[3]– سورة الأنعام، الآية 91

أمّا فيما يخص عدم التصريح باسم الذبيح في القرآن الكريم مع قناعتنا التامة بتميّز الأسلوب القرآني وقوة إيحاءه ودلالته فإننا نستنتج ما يلي:

1-أنّ النبي هو أنموذج للبشرية جمعاء، ولذلك فإنّ القرآن الكريم وسوره لا تخلو من النماذج أبدا، حيث يقابلها القارئ له في كل حين ويرى صورا من العقيدة الصحيحة والسلوك القويم في كل سورة من سوره وكل آية من آياته.

2- أنّ القرآن الكريم هو أكثر اتصالا بموضوع الدراسة الدينية المقارنة ويكمن إبراز تميّزه عن الكتابات المقدسة السابقة جميعا وبدون استثناء، لأنّ الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل من العهد الجديد والقديم تركز تركيزا شديدا على الجانب التاريخي العنصري، أو الذاتي للشخصيات والأمم والحوادث المميزة لها، ممّا يدلّ على انفصال الشخصية عن الهدف الديني، على غير القرآن الكريم الذي يتعرض للغرض التاريخي الخاص بقصصه بطريقة رائعة ومصنعة، والذي يتعلّق بحياة الأنبياء والأحداث العقيدية فيها، ونلاحظ أنّ توزع القصص في ثناياه يعبّر عن تداخل سير الأنبياء واتحاد أهدافهم وابراز المساواة والعدل فيما بينهم، ضف إلى ذلك الجانب الإعجازي الذي يبدو جليا لكلّ متأمّل متدبّر فيه.

وخلاصة القول تكمن في:

– إنّ عدم النص على اسم الذبيح في القرآن يعود إلى الأسلوب القرآني الخاص، إذ اختار المولى عزّ وجل طريقة رائعة في التعبير، أسمى ما تكون بلاغة، حيث تتشكّل الصورة كاملة عن حادث الذّبح، والذبيح جزءا بعد جزء، وذلك مع اكتمال قصة الخليل إبراهيم –عليه السلام– وقيمة دعوته بالنسبة للتوحيد وصور اختيار إسماعيل عليه السلام

للنبوة والرسالة والتفضيل، حيث يدلّ النصّ في سورة الصافات[1] على أنّ الذّبيح هو إسماعيل لا غير[2].

الفداء بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى:

إنّ القرآن الكريم لم يذكر نوعا معيّنا من الحيوان فداء لإسماعيل إلاّ أنه أشار إلى أنّه حيوان ولم يحدّد جنسه، وذلك مشتق من قوله "بذبح" وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُبِذِبْحٍعَظِيمٍ﴾[3]، أي جعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه، حيث يفدى الولد البار بذبح يقوم الخليل بذبحه عوضا عن ابنه، وبهذا يكرّم كل من الخليل واسماعيل –عليهما السلام– اللذين جمعا بين عز الإيمان وخضوع العبودية.

والمشهور عن الجمهور أنّ الفداء كبش عظيم، أبيض، أقرن، أعين، رآه إبراهيم عليه السلام بسمرة في ثبير[4]، قال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا[5].

ومن أشهر الأوصاف والروايات التي جاءت في هذا الفداء كما نقل عن سعيد بن جبير حيث قال: "كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير، وكان عليه عهن –أي صوف– أحمر، كما روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنّه هبط عليه من ثبير، وكان أعين أقرن له ثغاء، فذبحه، وهو عنده الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبّل منه، أمّا في الرواية التي يحكم

[1]– انظر سورة الصافات وتفسير آيات حادثة الذبح.

[2]– أنظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي/ القول الفصيح في تعيين الذبيح/ ضمن الجزء الثاني من كتاب الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد/ السلام العالمية للطّبع والنشر/ القاهرة.

[3]– سورة الصافات، الآية 107.

[4]– أخرجه ابن جرير وابن حاتم وابن مردودية في تفاسيرهم عن علي موقافا في الدار المنثور/ نقلا عن ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 161.

[5]– أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير/ وابن المنذر/ وابن أبي حاتم في تفاسيرهم نقلا عن ابن كثير/ قصص الأنبياء/ ص 161.

الإمام ابن كثير بأنها المشهورة عن الجمهور فإنّ الكبش أبيض أعين أقرن رآه إبراهيم عليه السلام مربوطا بسمرة في ثبير"[1].

فمن خلال هذه الأحاديث نثبت على أنّ الذّبح المفدى به كان كبشا أبيضا عند الجمهور وأحمرا عند سعيد بن جبير وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه.

يقول أحد الدارسين الفرنسيين في هذا السياق: "وتبعا لحديث إسلامي فإنّ الكبش الذي ضحّى به قابيل، هو نفسه الذي أرسله الله ليضحي به عوضا عن إسحاق"[2]، ويذهب الإمام ابن كثير إلى ضرورة التوقف عند الأصول الإسلامية حيث يقول: "وفي القرآن الكريم كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر، وأنّه فدي بذبح عظيم"[3].

هذا عن القرآن الكريم، أمّا بالنسبة للعهد القديم أو الكتب السماوية الأخرى، فإنّه يفصّل الحدث، حيث يجعل هذا الحيوان كبشا أقرن وجده إبراهيم –عليه السلام– عالقا بقرونه في إحدى الأشجار، يقول سفر التكوين: "قال: لا تمدّد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئا فإنّي الآن عرفت أنّك متق الله، فلم تدخر ابنك، وحيدك عني، فرفع إبراهيم طرفه ونظر فإذا بكبش وراءه معتقل بقرنيه في الجداد، فعمد إبراهيم إلى الكبش، وأخذه وأصعده محرقة بدل ابنه"[4].

وعليه يمكننا القول أنّ كلا من القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى– التوراة تتّفق في أنّ نوع الفداء هو حيوان ويكمن في الكبش العظيم، وهذا ما لا خلاف فيه.

[1]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 161.

[2] –René Girard ; la violence et le sacré : éditeur : Hachette pluriel Référence/ collection pluriel, N° 897/ Juillet 2011/ p 14.

[3]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 161.

[4]– سفر التكوين، 12/21،14/13

تحديد مكان الذبح أو الفداء في الروايتين:

لقد اختلف علماؤنا الأجلاء في تحديد مكان الذبح ومن بين هؤلاء العالم ابن جرير الطبري الذي بدا رأيه جليا عند مناقشته للروايات الإسلامية الواردة في النص على وجود قرينين معلقين في الكعبة الشريفة عند الفتح، إذ يفسّر ذلك بقوله: "وأمّا القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة، فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد كنعان"[1]، أمّا الإمام السهيلي فقد ردّ على ما قاله الإمام ابن جرير الطبري بما يلي: "إنّ إسماعيل كان بأرض مكة حال صغره، وكان إبراهيم بأرض كنعان، ولما كان الذبيح هو إسحاق، فقد وقع الذّبح هناك"[2]، والحقيقة أنّ كلا من الرأيين إضافة إلى ما تبناه ابن عباس رضي الله عنهما اعتمدا تماما على الرواية الإسرائيلية، لأنّ كلا منهما يشير إلى أنّ الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، وهذا خطأ، لهذا فلا غرابة من أنّ موطن الذّبح عندهم هو فلسطين.

هذا اتجاه بعض العلماء، أمّا المنحَى الآخر الذي خطاه علماء آخرين ومن ممثليه الإمام ابن كثير الدمشقي الذي اختار الكعبة بناء على آراء نسبت لبعض التابعين، أنّ أرض الذبح كانت مكة المكرمة قال: "والمشهور عند الجمهور أنه كبش...رآه مربوط بسمرة في ثبير، ورواية ابن جبير: انشق عنه جبل ثبير، وعن ابن عباس فيما روى ابن حاتم: هبط عليه من ثبير، وقال مجاهد فذبحه بمنى، وقال عبيد بن عمير: ذبحه بالمقام"[3]، وعلى هذا فإنّ مكة المكرمة إذن هي مكان الذّبح عند الجمهور، لأنّ الذبيح عندهم هو إسماعيل لا إسحاق.

---

[1]– أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم/ تحقيق سامي بن محمد السلامة/ دار طيبة للنشر/ 1420 ه– 1999م/ ج1/ ص21.

[2]– ابن كثير الدمشقي/ قصص الأنبياء/ ص 163.

[3]– المصدر نفسه، ص 160-161.

وعن عثمان بن طلحة حيث ذكر قصة دخول النبيّ صلى الله عليه وسلم الكعبة يوم الفتح دون أن يورد حديث القرنين[1]، أمّا الإمام مسلم حيث قال في سياق حديثه عن صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، من حديث يحيى بن يحيى التميمي عن ابن عمر، الذي ذكر دخوله صلى الله عليه وسلم إليها صحبة أسامة وبلال وعثمان بن طلحة دون أدنى إشارة إليهما[2]، وجاء على لسان سفيان الثوري ما يلي: لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق[3].

لكن الروايات التي تتّخذ من القرنين دليلا على أنّ الذّبح تمّ بمكة لم تنتبه إلى المدّة الزمنية الطويلة التي تفصل حادث الذّبح عن زمان النبي صلى الله عليه وسلم، فالحادث تمّ تقريبا سنة ألفين قبل الميلاد أو قبلها بعقود[4]، أمّا فتح مكة فقد تمّ في 630 بعد ميلاد المسيح، فهل يظلّ القرنان على ما هما مدّة 260 قرنا؟ وعليه يمكننا استنتاج ما يلي:

1. عدم تحديد المصادر الإسلامية الصحيحة نوع الحيوان الفداء، واكتفاء القرآن الكريم بإجمال صفته.

2. أنّ الروايات الإسلامية التي تجعل مكة المكرمة موطنا للذّبح ضعيفة من حيث السند، غريبة من حيث المتن مع عدم ورود نص النبي صلى الله عليه وسلم نصّا صريحا على ذلك.

---

[1]– الإمام أحمد بن حنبل/ المسند/ مؤسسة قرطبة/ القاهرة/ 1424 ه/ الجزء الثالث/ حديث رقم 15365/ص 521/ وانظر الجزء الخامس/ ص 333.

[2]– مسلم بن حجاج: صحيح مسلم/ تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة/ دار طيبة للنشر/ 1427 ه–2006م/ الطبعة الأولى/ الجزء التاسع/ ص82-83 / وتابعه أبو ربيع الزهراني، وقتيبة بن سعيد، وأبو كامل الجحدري عن ابن عمر (السابق ص 83-84)، وقد روى مسلم عن ابن عمر أنّ عثمان بن طلحة الذي روى عنه أحمد حديثه، لم يدخل الكعبة يوم ذاك (السابق ص 85).

[3]– مسند الإمام أحمد: الجزء الرابع، حديث رقم 16619، ص 96.

[4]– موريس بوكاي: التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث فرنسا/ 1977م/ ترجمة: علي الجوهري/ مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع/ ص 42.

وانظر أيضا: د. أحمد شلبي/ سلسلة مقارنة الأديان اليهودية/ مكتبة النهضة المصرية/ 1988م/ الطبعة الثامنة/ ص 43.

3. أنّ المصادر الكتابية تجعل المكان هو أرض الكنعانيين.

وعليه يمكننا استنتاج ما يلي:

1. أنّ فكرة إبعاد إسماعيل وهو صغير عن إبراهيم، فكرة لا تلزم إلاّ أصحابها اليهود- بل الحقيقة هي أنّه ظلّ ملازما لأبيه مدة طويلة من الزمان وهي الفترة التي سبقت حادثة الذّبح.

2. أنّ الرواية الإسرائيلية التي اعتمدها المسلمون باعتبارها وجهة نظر وكلّ ما حيك بعد ذلك من روايات اعتمادا عليها، ليس إلاّ مجرّد افتراء على الحقيقة.

3. ومن النتائج المهمّة التي نخلص إليها أيضا، أنّ هجرة إبراهيم إلى مكة المكرمة قبل حادثة الذّبح، حيث أنّ هذا الأمر تمّ بأرض أخرى غير موطن الهجرة، ونحن إذا استبعدنا مكة المكرمة، لا يبقى أمامنا سوى موطن إبراهيم -عليه السلام- حينذاك مكانا جرى فيه ووقع عليه هذا الامتحان العظيم وهو فلسطين، وهو القول نفسه المثبت في العهد القديم في تحديده لمكان الذبح.

خلاصة مقارنة قصة إسماعيل:

تتبلور النتائج المتوصل إليها من خلال البحث والمقارنة بين الأديان فيما يلي:

<u>أ ـ لا</u>:

التأكيد على التحريف الذي أجراه علماء التوراة على كتاباتهم بالزيادة والحذف والتأويل المغرض الذي كان يهدف إلى تبديل دلالات النصوص، والكلمات لتحقيق أغراض مختلفة، يعود بعضها إلى محاولة ربط النصوص بظروف تاريخية معينة مرّ بها المجتمع اليهودي، ويعود بعضها الآخر إلى تصورات خاطئة عن الدين في جملته، وتعود أغراض أخرى إلى غلبة الأهواء على الكتبة، هذا إضافة إلى ما يلاحظ من تناقض في رواية بعض الأحداث

التي يتورّع الكتبة أن ينقلوا فيها آراء أو رأيين مختلفين تمام الاختلاف، مع أنّ بعضها ورد في نصوص متقاربة جدا من حيث الترتيب، وقد بدا كل هذا جليا في معظم المباحث التي درسناها.

تهيئ:

يلاحظ عموما اكتفاء القرآن الكريم في تحقيق معانيه بنصوصه ذاتها، التي تكفي النظرة المتأملة فيها لاستخراجها، كما يلاحظ التقاؤه أحيانا في الكليات وفي بعض الجزئيات مع العهد القديم ولكنه يتجاوز هذا الكتاب تمام في ربطه لقصصه كلها بأغراض إيمانية وغيبية لا يشير إليها العهد القديم، هذا مع تميزه الواضح بالتناسق التام الذي يبدو في عدم نقص نتائج قصصه لمقدماتها العقيدية والتاريخية.

تلكئ:

ويلاحظ أيضا شيوع الكثير من الروايات الإسلامية التي توجد مثيلاتها في العهد القديم في بعض الأحيان، وتكون وضعا إسلاميا محضا في أحيان أخرى، وقد انتشرت هذه الروايات الباطلة في الثقافة الإسلامية عموما [1]، وفي هذا الخصوص لابدّ من التنبيه إلى الدّور الذي لعبته الإسرائيليات والأحاديث الإسلامية الموضوعة للتشويش على الرؤية القرآنية المحضة، كما ذكرنا سابقا، ويعود هذا إلى عدم النظر المستقل في النّصوص القرآنية ذاتها، واغفال وجوب التشبع بأسلوبها المتميّز قبل النّظر في الروايات التي كانوا يعطونها الفرصة لتشكيل تصوراتهم.

1-انظر: لخضر شايب / قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والاسلامية- دراسة دينية منهجية مقارنة -/مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان /الطبعة الاولى /1421 ه-2001م /ص191 .

فكم من الحقائق أثير غبار الباطل حولها، فيحتاج من حبّب إليه الصّدق إلى تدقيق النّظر والتّمييز بين الغث والسمين من المنقول، والرثّ والمتين من المعقول، وذلك ربّما يملّ المستمع ويلبس عليه الأمر، فأردنا أن ندلك في هذا الفصل على طريق لا تحتاج فيه إلى شقّ النّفس، وهو ما سميناه جوامع الأدلّة (من قرآن وحديث)، وعليه:

فإنّك ترى في التوراة والقرآن بعض الأمور البينة في غاية الوضوح، ومن لطائف القرآن أنّه يذكر من هذه القصة ما لا يوجد في التوراة، فإذا جمعت بينها تبيّن تلك الحقيقة بتمامها.

أمّا التوراة فنجد فيها أنّ الذبيح هو وحيد إبراهيم –عليه السلام–، وأنّه بنى مذبحا، واتّخذ مسكنا شرقي بيت إيل، وأنّه قرّب ابنه من مقام مقدس أراه الله إيّاه وهداه إليه، ولكن لا تجد فيها بيانا لمقامه، ولا لمقام هذا بيت إيل، ولا لحجّه واسكان بعض ذريته عنده للخدمة الدينية.

وأمّا القرآن فقد بيّن هذه الأمور بغاية الدقّة والإيضاح، ونرى في ذلك إسماعيل –عليه السلام– صاحبه وشريكه.

ثمّ إنّك لا تجد في القرآن ولا في التوراة أنّ إسحاق –عليه السلام– جاء من كنعان إلى هذا المعبد العظيم فضلا عن سكناه عنده.

فإذا تصوّرت ما جاء فيهما لم تشك أنّ الذّبيح هو إسماعيل –عليه السلام– الذي كان وحيدا لأبيه قبل ولادة إسحاق –عليه السلام– وهو الذي جُعِلَ نَذْرًا لخدمة البيت المحرم بمكة، وأمّا أخوه إسحاق –عليه السلام– فبقي بكنعان وباركه الله هناك، حتى انتقل بذريته من تلك الأرض إلى مصر وكان ما كان من أمرهم.

وهذا الذي ذكرناه لا يَبهَم على من له أدنى مُسكةٍ من صريح العقل، ويَقْرُب منه ذكرناه لما ذكرناه.

وهذا، وفيه كفاية لمن يفرق بين الصحيح والسقيم، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الثاني: مقارنة قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة

1- مقارنة القصتين القرآنية والتوراتية:

لقد ابتدأت القصة التوراتية بالحديث عن حلمين ليوسف روى الأوّل أمام إخوته قال: "اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت، فها نحن حازمون حزما في الحقل، واذا حزمتي قامت وانتصبت فاجتاحت حزمكم، فقال له إخوته: ألعلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطا..."[1]، أمّا الثاني فهو مطابق لرؤياه الواردة في القرآن الكريم، ويذكر هنا أنّه قصّ حلمه هذا على أبيه واخوته وكان ردّ الفعل كالآتي:

"...فانتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت، هل نأتي أنا وأمكّ واخوتك لنسجد لك إلى الأرض، فحسده إخوته، وأمّا أبوه فحفظ الأمر"[2]، الأمر الذي أدّى إلى تأجّج نار البغض والحقد الموجودة في قلوب الإخوة اتجاهه من ناحية، والى شبه امتعاض من جانب الأب لما يحمله حلمه الثاني من (سجود الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا) من استعلائية، بالرّغم من صغر سنه من ناحية أخرى، بيد أنّ هذا الشّعور الذي أوردته القصّة التوراتية المختص بيعقوب نحو ابنه غير موجود في القصّة القرآنية، وعلى العكس من ذلك، فالقصّة تلك تكشف عن خوف الأب على ابنه من كيد إخوته، وهو يستمع للرؤيا من يوسف، لدرجة أنّه طلب منه عدم روايتها لهم كوقاية له من مكائدهم، على أنّه بموجب هذا الاختلاف بصدد الأحداث الجارية حول ردّ فعل يعقوب نحو رؤيا يوسف، فقد اتخذت الأحداث، فيما بعد مسارا مختلفا بما يختصّ بأسلوب التخلّص من يوسف في كلتا القصّتين، وانطلاقا من مفهوم كشف النقاب عن حلمي يوسف أمام إخوته في التوراة، فقد أصبح أمر إيذائه شيئا محتوما ممّا يعني أنّ عنصر المفاجأة المتطلّب لإشارة التأمل غدا مفقودا هنا لأنّه مرتبط

[1]– سفر التكوين، الإصحاح السابع والثلاثون: 7-8-9.

[2]– سفر التكوين، الإصحاح السابع والثلاثون : 11-12.

بالسرية التامة والتكتّم، ممّا يفسّر ذهول القارئ وهو يتابع أخبار تدبير المكيدة ليوسف من قبل الإخوة في القصة القرآنية، حتى دون استماعهم للرؤيا أو علمهم بها، وبالطّبع يدلّ هذا على أنّ القصّة القرآنية أرجعت الفضل في عدم إقدام الإخوة على قتل يوسف لحكمة يعقوب –عليه السلام– الذي عمل كل ما في وسعه لمنع فقدان ابنه بيد أنه على العكس من ذلك، فالقصّة التوراتية وضعت ضمنيا اللوم على يعقوب في فقدان يوسف، إذ أنّه هو الذي أرسله للاستقصاء له عن أخبار أبنائه، عندما كانوا يرعون الماشية بينما كان يوسف قابعا في البيت... إنّ ذهابه هذا هو الذي أدّى إلى استفرادهم به ومن ثمّة القضاء عليه برميه في قاع بئر فارغة من الماء.

بالرّغم من اتفاق القصّتين القرآنية والتوراتية فيما بعد، بصدد أخذ القميص بدم كذب إلى والده لإخفاء معالم فعلتهم، إلاّ أنّ التّفسيرات تختلف تماما في كل منهما، فالقصّة التوراتية تكشف عن إخوة يوسف وهم يحملون قميص أخيهم وقد غمسوه بدم تيس من الماعز كانوا قد ذبحوه ثمّ أعطوه ليعقوب بالأسلوب الآتي: "وقالوا وجدنا هذا، حقق أقميص ابنك هو أم لا؟ فتحققه، وقال قميص ابني، وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراسا"[1]، عندها مزّق يعقوب ثياب يوسف وبكى كثيرا.

فالأمر هنا يبدو وكأنّه مصادقة، لكن بالنسبة للقصة القرآنية، فالأمر ليس كذلك لأنها ترمي في جوهرها لإبلاغ القارئ بأنّ ما حصل ليوسف كان ثمرة للتخطيط والتّآمر والتنفيذ لهذه المكيدة الغادرة بخطوات عديدة من قبل الإخوة[2]، وبهذا فقد نفت القصة القرآنية مسؤولية ضياع يوسف عن يعقوب، كما حفزت القارئ لانتظار ما يأتي من السماء في وقت ما لكشف الحقيقة، وعليه فإنّ القصّة التوراتية قدمت الأحداث في إطار دنيوي محدود، أمّا القصّة القرآنية فقد قدمتها في إطارها الأزلي والديني، فهي تحمل في طياتها أفكارا أزلية

[1]– سفر التكوين، الأصحاح السابع والثلاثون: 24/23.

[2]– انظر الفصل الثاني/ قصة سيدنا يوسف عليه السلام/ (سورة يوسف.ق.ك).

هادفة ودالّة على التخطيط والتنفيذ للكيد، وتهدف في جوهرها إلى تزويد الإنسان بالدّروس والعبر اللازمة له في معاملاته، وليعرف كيف يكافح الشرّ والمكائد[1].

ضف إلى ذلك الطّابع الدنيوي الذي ظهرت من خلاله الأحداث في القصة التوراتية، كقصة عادية مقابل الطابع الأزلي الذي تتّسم به القصة القرآنية والذي صنفها ضمن القصص العظيمة والهادفة.

نلاحظ أنّ كلتا القصّتين تبدأ بالحكاية بعد التمهيد لما جرى ليوسف من قبل إخوته، حيث ركزتا على شرائه من شخص مصري ثمّ تشيران إلى إكرامه له، إلاّ أنّ القصة القرآنية أعطت صورة أعمق وأدق عن هذا الإكرام وتحدّثت عن ميل منه لتبنيه والدّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾[2]، وهي بهذا تحضر صورة الأبوة والأمومة ليوسف إلى ذهن القارئ، لكن ما فعلته هذه المرأة من مراودة له تغليقها للأبواب عليه...يجعله يندهش لفعلتها[3].

إنّ هذا ما يجعله يدرك أنّ امرأة هذا الرّجل غير جديرة بالثقة في حين أنّ يوسف هو الأجدر بالثقة الذي امتنع عن الاستجابة بطلبها خوفا من الله تعالى لمبدأ أو عقيدة ينبثق منها اعترافه بالجميل نحو سيد البيت الذي أواه وحماه بعد تشرّده[4].

أمّا القصّة التوراتية فتتحدّث عن امرأة -رئيس شرطة-، وهي تطلب مرارا من يوسف مضاجعتها إلى أن انتهزت فرصة خلو القصر فأعدّت له الأجواء للاستجابة لطلبها: "فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي، فترك صوبه في يدها وهرب وخرج إلى الخارج، وكان لما رأت أنّه ترك صوبه في يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا،

---

[1]– أنظر: محمود المصري أبو عمار: يوسف الأحلام قصة يوسف –عليه السلام–/ مكتبة الصفا/ 1429 ه– 2008م/ الطبعة الأولى/ ص 49.

[2]– سورة يوسف، الآية 21.

[3]– أنظر: عزام حدبا/ يوسف أيها الصديق أفتنا/ قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة– دراسة مقارنة أدبية/ ص 26-27/ bookwww.waqufeya.com/

[4]– انظر سورة يوسف، الآيات 25...29.

قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا، دخل إليّ ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أنّي رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى خارج"[1].

والملاحظ أنّ أمر التبنّي بما يخفيه من أفكار في طياته، غير موجود هنا، وذكرت أمورا لا أخلاقية وفاحشة، وبهذا تكون القصة التوراتية قد أضاعت مفهوم القصة الديني الأساسي، وهو تحريم الفاحشة وهذا في إطار التحريف طبعا.

إنّ حديث القصة التوراتية عن إمساك امرأة رئيس الشرطة فوطيفار في مصر بثوب يوسف عندما رفض مضاجعتها، مع إبقاء الثوب معها، كدليل لقلب حقيقة الأمور رأسا على عقب أمام أهل القصر أولا، ثمّ أمام زوجها ثانيا، ففعلتها هته تمثّل حافزا للبعض للاحتذاء حذوها وخصوصا أنّ الزجّ بيوسف في السجن قد أتى نتيجة لما فعلته هته المرأة.

وعليه فإنّ الأمور في القصة التوراتية تبدو وكأنها تسير وفق أهواء بعض أبناء البشر دون وجود من يحاسبهم ويراقبهم.

وهنا بالذات يظهر اختلاف كبير بين القصة القرآنية والتوراتية لأنّ القصة القرآنية تركّز على العلم الإهي عن الكيد البشري السيئ، ومن ثمّ القدرة الإلهية على إبطاله بكلّ مراحله، إنّ حديث القرآن عن قدوم صاحب البيت غير المتوقع، ويوسف فار من زوجته، يشير إلى تدبير إلهي عن استحالة إخفاء الأمر الذي يأتي بالضّرر لإنسان مؤمن مهما اتخذ من تدابير بإغلاق الأبواب مثلا، فكيف إذا كان نبيّا ابن نبي كريم؟ ممّا أدّى إلى تبرئة يوسف بالدليل والبرهان وادانة الزوجة[2].

إنّ معرفة الحقيقة في القصة القرآنية ونشر أخبار امرأة العزيز في الأوساط المصرية...أدّى إلى إثارة غيظها وغضبها، ودفع بها إلى تدبير مكيدة أخرى لبعض نسوة المدينة، تمكّنت من خلالها إسكاتهنّ.

---

[1]– سفر التكوين: الإصحاح التاسع والثلاثون: 13-14-15-16.

[2]– أنظر كتاب: د. مأمون فريز جرار/ لمسات قدرية في سورة يوسف ودراسات قرآنية/ دار المأمون للنشر والتوزيع/ عمان– الأردن/ 1429 ه–2009م.

إنّ هذا الجانب المتعلق بامرأة العزيز وما تلاه من فعلتها بنسوة المدينة غير موجودة في القصّة التوراتية.

من جملة ما تتّفق عليه كلا من القصّتين القرآنية والتوراتية عن يوسف مسألة إدخاله إلى السّجن، لكن القصة التوراتية ترجع دخوله لكذبة ملفقة من قبيل زوجة رئيس الشرطة، تفيد مداعبته لها، منذ رفضه دعوتها له لمضاجعتها، أمّا القصة القرآنية لا ترجع الزجّ له في السّجن إلى ذلك بل تكشف عن حصوله في وقت لاحق، وبعد مرور أحداث كثيرة متسلسلة[1].

ففي الوقت الذي تتّفق فيه القصّتين بصدد لقاء يوسف مع صاحب السقاية، تتحدثان عن تأويله الصحيح لما رآه كل من صاحبي السّجن في منامه عن علم، فإنّ القصة التوراتية لا تظهر أيّ نشاط آخر ليوسف في السجن[2]، وبالمقابل كشفت القصّة القرآنية عن فترة تبليغ يوسف رسم فيها كل معالم الدين الجوهرية والمقومات الأساسية للعقيدة، وذلك بهدف الدينونة لله وحده والخضوع له واتباع أمره وحده، ويتجلّى النصّ التوراتي الدّال على هذا فيما يلي:

1- حلم شئ الكرمة:

"كنت في حلمي واذا كرمة أمامي، وفي الكرمة ثلاث قضبان، وهي إذا فرخت طلع زهرها وأنضجت عندها قيدها عنبا، وكانت كأس فرعون في يدي، فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون وأعطيت الكأس في يد فرعون"[3].

2- أمّا بالنسبة لحلم رئيس الخبازين فقد رواه أمام يوسف كالآتي:

[1]– انظر: مقال حول قصة يوسف ما بين القرآن والتوراة/ والأساطير المصرية: www.tabeene.com/page/featured/index.h e

[2]– موقع: www.Reshafilm.org.il/ad/egypt حكايات مصرية قديمة.

[3]– سفر التكوين: الإصحاح الأربعون: 10-11-12.

"...قال ليوسف كنت أنا أيضا في حلمي واذا ثلاث سلال حوارى على رأسي، وفي السلّ الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز، والطّيور تأكله من السل عن رأسي"[1].

إنّ أهمية تركيز القصة القرآنية على نشاط يوسف التبليغي بالسجن يرمي إلى التأكيد بأنه عند توليه لشؤون إدارة خزائن البلاد بعد خروجه من السجن فقد قام بمهمّته كنبيّ وملك وذلك لإبراز صفاته من عدل ورحمة بالضعفاء والمحتاجين في زمن القحط وما قبله، وبالمقابل نجد القصّة التوراتية ركّزت على ولايته كحاكم دنيوي، استبدّ بالشّعب وقت المجاعة.

وانطلاقا من هنا يمكننا تحديد الفوارق الأساسية المختصة بيوسف وسجنه:

أ- إنّ القصّة التوراتية ترجع خروجه من السّجن إلى الوقت الذي أتى به رسول فرعون إليه لتفسير رؤيا ذلك الحاكم وبهذا تبيّن خروجه قد تمّ في وقت سريع ووجيز.

"فأرسل فرعون ودعا يوسف فأسرعوا به من السجن، فحلّق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون، فقال فرعون ليوسف: حلمت حلما وليس من يعبره، وأنا سمعت عنك قولا إنّك تسمع أحلاما لتعبرها..."[2].

ومن هنا تظهر القصة التوراتية[3] فرعون وهو يروي حلمه ليوسف من ناحية، يوسف يفسّره له من ناحية أخرى، مؤكّدا له بأنّ مسألة الخصب والقحط في السنوات القادمة من تقدير الله عز وجل، إلى أن يقول: "...فالآن لينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر، يفعل فرعون فيوكل نظارا على الأرض ويأخذ خمس غلة أرض مصر في سبع سني الشبع، فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيّدة القادمة، ويخزنون قمحا تحت يد

[1]- سفر التكوين: الإصحاح الأربعون، 17-18.

[2]- سفر التكوين : الإصحاح الحادي والأربعون: 15-16.

[3]- أنظر القصة التوراتية:www.cb Rayaheen.net/ Showthread. Php.

فرعون طعاما في المدن ويحفظونه فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر فلا نقترض الأرض بالجوع"[1].

وبموجب القصة التوراتية، فقد لاقى كلام يوسف هذا قبولا حسنا من فرعون، فاختاره للمنصب المطلوب، وقام بمسؤولية التخزين وعمّت شهرته في مصر وما حولها في زمن القحط، على عكس القصة القرآنية التي لم تتحدّث عن الخروج الفوري ليوسف من السجن حين أتاه ساقي الملك هناك، وفي الوقت نفسه تبيّن القصة أنّ هذا الرسول نفسه هو الذي أبلغ يوسف عن رؤيا الملك طالبا منه تأويلها، ففعل، وبناء على ذلك طلب الملك الإتيان به، ولكن يوسف رفض طلبه في هذه المرحلة، لأنه رأى أنّ خروجه من السّجن يجب أن يكون مصطحبا بتبرئته من التهمة التي لفقت له زورا، فلبّى الملك طلبه وتبرّأ يوسف من الاتهام...حيث كشفت القصة القرآنية عن المزيد من أخلاقيات يوسف وطريقة تفكيره، مبرزة إياه كرجل قويّ له اعتباره الخاص كنبيّ ومكانته المميزة وعلمه وحكمته العظيمة[2].

أمّا القصة التوراتية فقد جاء حديثها عن خروج يوسف الفوري من السّجن استجابة لطلب رسول فرعون، نفى إلى حدّ كبير صفة القوة المعنوية، حيث وضعته في صورة استبدادية.

ق ص ة س ا ن ط ق ش ق م غ ى آ خ ئ ت ى ل أ خ ب ك ز ج م:

نلاحظ أنّ القصّتين تركّزان معا على وصول إخوة يوسف إلى مصر بقصد شراء الطّعام، وتشيران معا إلى معرفة يوسف لهم ولكن دون معرفتهم له، كما تتحدّث القصتين عن موضوع طلب يوسف من إخوته بإحضار أخ لهم من أبيهم بعد توفير الطّعام اللازم لهم، ولكن مع التهديد لضرورة تنفيذ أمره، وعدا عن ذلك فقد تلاقت القصتان بشأن موضوع وضع يوسف لثمن الطّعام في أمتعة الإخوة قبل مغادرتهم مصر إلى أرض كنعان، واكتشافهم لذلك

[1]– سفر التكوين: الإصحاح الحادي والأربعون: 34-35-36.

[2]– انظر سورة يوسف/ (الفصل الثاني: التحليل والتفسير).

لاحقا، كما تحدّثنا عن معارضة أبيهم يعقوب المبدئية إرسال أخيهم الصغير معهم، ثمّ رضوخه للأمر بعد أخذه تعهّدا منهم[1].

مع العلم أنّ القصة التوراتية أعطت دورا مهمّا لأخيهم يهودا في هذا الصّدد، وأشارت إلى توجيه طلب من يعقوب لأبنائه بأخذ هدية معهم للسيد صاحب الخزائن، ثمّ تتبعهم إلى وقت وصولهم إلى مصر واعادتهم للفضة المردودة في أمتعتهم إلى المسؤول، أمّا القصة القرآنية فلم تتحدّث عن هدية يوسف بل تحدّثت عن نصيحة الأب لهم برسم طريقة دخولهم إلى مصر لحاجة في نفسه.

ثمّ تشير كلا من القصّتين إلى عودة الإخوة إلى مصر وبنيامين معهم بموافقة والدهم، فالقصة القرآنية تركّز على ثبات يوسف وطمأنته لأخيه عند الكشف له عن هويته، أمّا القصة التوراتية فتتحدّث عن دخول يوسف للمخدع وبكائه لمجرّد رؤيته لأخيه، ثمّ خروجه من هناك وتجلّده.

"واستعجل يوسف لأنّ أحشاءه حنت إلى أخيه وطلب مكانا ليبكي، فدخل المخدع وبكى هناك ثمّ غسل وجهه وخرج وتجلّد وقال قدموا طعاما"[2].

كما تتفق القصتان بصدد وضع كأس الملك في متاع بنيامين ثمّ استخراجها من متاعه بعد التفتيش، ثمّ إصدار قرار بإبقاءه في مصر سجينا جزاء له، وقد قدمت القصة التوراتية حديث يهودا إلى يوسف في إطار عاطفي، تغلغل إلى وجدانه، فأفقده القدرة على مزيد من التكتّم فعرف إخوته بنفسه.

[1]– أنظر: (بتصرف) عبد الوهاب النجار/ قصص الأنبياء/ بيروت/ دار الجيل/ د.ت/ ص 30.

[2]– سفر التكوين: الأصحاح الثالث والأربعون: 32/31.

["فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ أخرجوا كل إنسان عني، فلم يقف أحد عنده حين عرّف يوسف إخوته بنفسه، فأطلق صوته بالبكاء، فسمع المصريون وسمع بيت فرعون، قال يوسف لإخوته أنا يوسف"[1]][2].

وقف يوسف لإخوته لا يعرفهم شيئا من هذا حتى أخرج: ذهب إلى أخيه وقبله وبكى معه ...

بموجب القصة التوراتية فقد أتى تعريف يوسف بنفسه لأخوته في إطار سريع نوعا ما، لكن في القصة القرآنية لم يأت كذلك ولا حتى بهذا الأسلوب لأنها كشفت عن رفض يوسف لمساعي الإخوة لاستبداله بالأخ الأصغر واحدا منهم على أساس أنّ القصاص لا يسري إلاّ على من وجد المتاع عنده، وننوه هنا إلى أن تخطي القصة القرآنية للقصة التوراتية بهذه المرحلة من ذهاب الإخوة إلى أرض كنعان، أمر في غاية الأهمية على نطاق روحي وأخلاقي، حيث دعا إخوة يوسف للقول له بعد أن عرفهم بنفسه: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[3].

أمّا بالنسبة للقصة التوراتية فلا تبيّن إقدام الإخوة على مثل هذا الاعتراف، عندما كشف لهم يوسف عن حقيقته، كما هو الحال في القصة القرآنية، ومع أنّ القصّة في التوراة تظهر أنّ إخوته تكلموا معه عندئذ بصدد "أمر ما" بعد مشهد عاطفي، فإنها لا تبيّن في الواقع محتوى ذلك الكلام، كما نرى في النصوص الآتية:

---

[1]– سفر التكوين، الأصحاح الخامس والأربعون: 3/2/1.

[2]– أنظر الشرح بالتفصيل/ د.زاهية الدجاني/ يوسف في القرآن الكريم والتوراة/ دراسة مقارنة للمشاهد والعبر/ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية/ بيروت– لبنان/ الطبعة الأولى: 1415 ه– 1994م/ ص 173.

[3]– سورة يوسف، الآيات 91-92.

"ثمّ وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى، وبكى بنيامين على عنقه وقبل جميع إخوته وبعد ذلك تكلّم إخوته معه وسمع الخبر في بيت فرعون وقيل جاء إخوة يوسف، فحسن في عيني فرعون وفي عيون عبيده"[1].

واضافة إلى ذلك، فإنّ القصة التوراتية لا تظهر صفاء النفوس والثقة الأكيدة من كلا الجانبين يوسف واخوته من أبيهم، بالرّغم من العواطف المبينة أعلاه، فمثلا عندما أرسل يوسف إخوته لإحضار أبيه، أوصاهم بعدم التغاضب على الطريق:

"وقال لهم لا تتغاضبوا في الطريق، فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم، وأخبروه قائلين يوسف حيّ بعد، وهو متسلط على كل أرض مصر، فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم"[2].

وبمقابل ذلك، فعدم ثقة الإخوة بيوسف تظهر من العبارات الآتية التي أدلوا بها بعد موت أبيهم:

"ولمّا رأى إخوة يوسف أنّ أباهم قد مات قالوا لعلى يوسف يضطهدنا ويردّ علينا جميع الشرّ الذي صنعنا به"[3].

ولخوفهم هذا من يوسف بعد طول أحداث، واذا بهم يخبرونه بوصية والدهم له، يحثّه فيها على الصّفح عنهم، بالرغم ممّا صنعوه به من شرّ[4].

[1]– سفر التكوين: الأصحاح الخامس والأربعون: 17/16/15.

[2]– التكوين: الأصحاح الخامس والأربعون: 27/26/25.

[3]– التكوين: الأصحاح الخمسون: 16.

[4]– أنظر: مقالة لحسين الهاشمي الحسيني بعنوان: الالتقاء والافتراق بين قصص القرآن والتوراة:

- HTTP.www. alhadeeth.com.
- HTTP//new.naseej.com /Detail.asp.

"فأوصلوا إلى يوسف قائلين أبوك أوصى قبل موته قائلا: هكذا تقولون ليوسف آه اصفح عن ذنب إخوتك وخطيتهم فإنّهم صنعوا بك شر، فالآن اصفح عن ذنب عبيد إله أبيك، فبكى يوسف حين كلموه"[1].

وتحت ستار هذه الوصية الصادرة عن يعقوب ليوسف بموجب القصة التوراتية، اعتذر الإخوة له، واعترفوا له بالتفوق عليهم من حيث المركز الدنيوي:

"وأتى إخوته أيضا ووقعوا أمامه وقالوا ها نحن عبيدك فقال لهم يوسف لا تخافوا..."[2].

فمن جملة ما توصلنا إليه من حقيقة بصدد القصّتين ما يلي: بينما تضافرت أكثرية أحداث القصة القرآنية لتسلّط الأضواء على مبدأ تحصين إخوة يوسف بالقوة المعنوية اللازمة للتقدّم والاعتراف في الوقت المناسب، بعدم صواب ما فعلوه به في الماضي، فقد جاء ذلك متأخّرا بالنسبة للقصة التوراتية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ذلك يعني من ناحية المبنى القصصي وجود "وحدة" عضوية متكاملة في القصة القرآنية، أمّا القصّة التوراتية فتتّصف بوجود بعض التضعضع في الوحدة تلك، وخاصة في الجزء الأخير منها.

فليس الاختلاف في التوراة اختلاف حبك وصياغة، إنّما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع، هذا إضافة إلى إحكام البناء وعفّة اللفظ وشرف المعاني[3]، وعليه فإنّ الذي روته التوراة لا يصلح ولن يصلح أن يكون أساسا الذي ذكره القرآن، وانّما أساس القرآن هو الوحي الصّادق الأمين، ذلك هو مصدر القرآن "الوضيء" وسيظلّ ذلك هو مصدره، تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين في كلّ عصر وزمن إلى يوم القيامة.

---

[1]– التكوين: الأصحاح الخمسون: 18/17.

[2]– التكوين: الأصحاح الخمسون: 20/19.

[3]– أنظر مقالة في الإنترنت بعنوان: من التشابه بين التوراة والقرآن/ قصّة يوسف (المنتدى الإسلامي) http//wwwAS7pcool.com.

ظف نفـك سئزظ لي مظق شقي م:

آخرئ ظق شد بظق نعي بـ	آخرئ ظق شد بظة وقي بـ
1- المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على تنفيذ يوسف لرغبتها	1- المراودة حدثت مرارا، ونصح يوسف لامرأة العزيز كان قبل المرة الأخيرة.
2- تشير إلى تغليق الأبواب، وأنّ يوسف همّ بالخروج فقدت ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما، فبادرت المرأة بالشكوى في الحال.	2- يخلو النصّ التوراتي من الإشارة إلى تغليق الأبواب، وتقول أنّ يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت المرأة قدوم زوجها فقصّت عليه القصة بعد أن علمت بها أهل بيتها.
3- يوسف كان موجودا حين قدّم العزيز وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرآة وقال: هي راودتني عن نفسي...	3- لم يكن يوسف موجودا حين دخل العزيز، ولم يدافع عن نفسه أمام العزيز.
4- تذكّر بالتفصيل شهادة الشاهد، كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها وتثبيت يوسف على العفة والطهارة.	4- تخلو من حديث الشاهد، وتقول أنّ العزيز حمى غضبه على يوسف بعد سماع رواية زوجته.
5- تشير إلى أنّ القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزيز وحاشيته.	5- تقول أنّ العزيز في الحال أمر بوضع يوسف في السجن، ولم يعرض الأمر على رجال حاشيته.
6- يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما تذكر موقف امرأة العزيز منهنّ ودعوتها لهنّ ملتمسة أعذارها لديهنّ ومصرّة على تنفيذ رغبتها.	6- تخلو من حديث النسوة اللاتي لمن امرأة العزيز على مراودتها لفتاها عن نفسه، وهو فجوة كبيرة في القص التوراتي.

هذه الفروق الستة إن دلّت على شيء إنما تدلّ على أنّ القرآن والتوراة لم يتفقا إلاّ في أصل الواقعة من حيث هي واقعة وكفى ويختلفان بعد في كل شيء، وأبرز ما في هذا الاختلاف هو أنّ القرآن الكريم دلّنا على عملين جليلي الشأن:

آلف ه لئ:

أنه أورد جديدا لم تعرفه التوراة ومن أبرزه:

أ- حديث النسوة وموقف المرأة منهنّ.

ب-شهادة الشاهد الذي هو من أهل امرأة العزيز.

تئي ه لئ:

تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

أ- لم يترك يوسف ثوبه لدى امرأة العزيز بل كان يرتديه ولكن قطع من الخلف.

ب-غياب يوسف عند حضور العزيز واسقاطها دفاعه عن نفسه.

ويقول الشيخ خليل سليمان في كتابه الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة (قصة يوسف) في هذا الصّدد ما يلي:

"تفترق أخبار القرآن وأخبار التوراة فلا تلتقيان...فلا ترى بعد شيئا متشابها بين السياقين، وذلك إلى آخر السورة القرآنية الكريمة والى آخر سفر التكوين...ولولا أن نخرج بالكتاب عن قصده من التزام تبيان الفروقات لتبعنا بك كل كلمات التوراة المفتراة، ولكن ما

كان قصدنا إلاّ تبيان الفروقات بين ما يظنّ من متشابهات من الخبر الواحد بين القرآن الحق والتوراة المفتراة"[1].

أمّا الدكتور لخضر شايب فيقول في هذا المجال ما يلي: "لقد اشترك القرآن مع سابقيه التوراة والإنجيل في إيراد عدد من الأحكام والقصص، وكان من بينها قصة الذبيح، فقد وردت القصة في صورة الصافات من القرآن الكريم وفي سفر التكوين من العهد القديم، إلاّ أنّ الاشتراك في إيراد القصة وبعض ملابساتها لا يعني التطابق بينهما، بل إنّ النّظر في ذلك ليبدي فروقا شاسعة بينهما وما يحيط بها من عقائد وتوجيهات لها من الأهمية في مجال العقيدة الشيء الكثير، هذا إضافة إلى الاختلاف البيّن في شكل إيرادها"[2].

متئؤ ث ق ئذ ه ب ف ش د ب ك م ا ي ه ز ـــ ع ي ن ك ز ا ل إ ل – ي م ط ق ذ ه م ط ك ة ه ف:

لقد تمّ التّركيز في هذا البحث الثاني على تعريف قصّة يوسف –عليه السلام– كما وردت في التوراة، مع إقامة مقارنة بين القصّتين القرآنية والتوراتية، على أنّه في مجال الخوض بهذه المقارنة، فقد تحدّثنا عن نقاط التّشابه في القصّتين مقابل فوارق أساسية، ومن هذه الفوارق: مسألة علاقة يوسف مع فرعون والناس عند توليه لمنصب رئيس الخزائن في مصر.

وفيما يتعلّق بالقصة القرآنية، فقد ذكرنا سابقا أنها لا تتحدّث عن كيفية استثمار يوسف –عليه السلام– لعلاقته مع صاحب السّلطة العليا، وكلّ ما تشير إليه، هو أنّه وضع مواهبه تحت تصرّف فرعون، ولكنه استثمرها في خدمة الضعفاء والمحتاجين من النّاس وفي التخفيف عنهم، وتوفير ما يحتاجون إليه من طعام على أساس التجارة.

---

[1]– خليل سليمان الشيخ / الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة (قصة يوسف –عليه السلام–)/ المكتب الإسلامي: الطبعة الأولى: 1420 ه/1994م بيروت/ دمشق/ عمان/ ص 172/171.

[2]– الأستاذ لخضر شايب/ قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية/ دراسة دينية منهجية مقارنة/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الأولى/ 1421 ه/ 2001م/ ص 203.

إنّ القصّة في التوراة انطلقت من العلاقات ومستوى جديد من مستويات ممارسة السلطة، وعليه يمكننا القول: أنّ شخصية يوسف التي تتبدّى الآن، في هذه المرحلة من حياته هي شخصية مختلفة تماما، حيث تحدّثت التوراة عن نوعين من العلاقات التي وجد فيها يوسف نفسه مشتبكا بها، فهنالك من ناحية علاقته بفرعون صاحب السلطة، وهنالك من ناحية ثانية، علاقته بالناس إبّان حاجتهم القصوى إلى المعونة التي تستطيع السّلطة أن تقدمها إليهم، وتبيّن لنا القصّة التوراتية في هذا السياق أنّ يوسف في السنة الأولى استطاع أن يجْمع "كلّ الفضّة الموجودة في أرض مصر وفي أرض كنعان"[1]، وذلك لتكون ثمنا للقمح الذي باعه إلى أهالي مصر وكنعان، فماذا فعل بهذه الفضّة؟

تقول التوراة أنّه جاء "بالفضّة إلى بيت فرعون"[2]، ومن هنا نلحظ أنّ يوسف وضع نفسه مكان فرعون وتمكّن من السلطة والثروة، واحتكاره للقوّة، فمن خلال هذه العملية الابتزازية المتكرّرة التي تبرزها نصوص التوراة نستنتج أنّه شتّان بين النبي يوسف –عليه السلام– في القصة القرآنية ويوسف في القصة التوراتية، فهو يوسف النبي الصادق الأمين الخادم لقومه، ورسولهم إلى عبادة الله الواحد القهار، السخيّ، الكريم،...والى غيرها من الصفات الجليلة التي تبرز شخصه وصدق نبوته.

فمن خلال مقارنتنا للقصّتين توصّلنا إلى تبيان الاختلاف بينهما والذي يختصّ في معظمه بجوهر العقيدة في الكتابين المقدسين، لأنّه يعود في بعض جوانبه إلى التحريف في التوراة، وهذه الاختلافات تشمل الوحدانية، صفات المولى عز وجل، صفات الأنبياء، الجبر والاختيار، الخير والشّر، الثواب والعقاب، المعرفة، الدين والأخلاق وغيرها.

[1]– التكوين: الأصحاح السابع والأربعون: 15.

[2]–التكوين: الأصحاح السابع والأربعون: 16.

نلاحظ أيضا أنّه بالرّغم من التّركيز التوراتي على وجوب طاعة الله وحده لا شريك له، فهنالك نصوص أخرى تسير في اتجاه معاكس، لأنها تحمل في طيّاتها تصدّعا أو تجزئة بالنسبة لمفهوم التّوحيد.

ولا تقف الفروق بين النظرة القرآنية والتوراتية للوحدانية، بل تتعدّى ذلك إلى جوانب أخرى، تبرز القصة القرآنية الله عزّ وجل جليّا أنّه هو ربّ جميع البشرية، وهذا ما لا نقاش فيه، أمّا التوراة فتُبرز الله كإله لشعب بني إسرائيل بوجه خاص.

نستنتج كذلك أنّ القصة القرآنية نفّرت القارئ من فاحشة الزّنا (فعلة امرأة العزيز مع يوسف)، وركّزت على عواقبها، أمّا القصة التوراتية فقد سلطت الأضواء على النفسية المريضة لامرأة العزيز آنذاك ووصفها للحادثة وصفا فاحشا وغير لائق على عكس القصة القرآنية التي روت لنا الحادثة بكلّ أدب ولباقة وايمان.

بناء على ما تقدّم، فإنّ دراستنا عن القصّة في القرآن الكريم، تزوّد القارئ بصورة صادقة عن الإسلام، فإضافة إلى عقلانيته، ونفيه للخرافات، فإنّ هذا الدين العظيم يَبرزُ كدين عمل وسعي، وليس كدين تواكل أو تخادع أو بدع، كما يحاول أن يصوّره بعض أعدائه، الذين اتهموه بالجبرية المطلقة وسيطرة الخرافات عليه بقصد نفي صلاحيته للعصر الحديث، إنّ القصص القرآنية قد قدمت عرضا حيّا لمشاكل اجتماعية وانسانية، وأعطت الحلول الصحيحة لكلّ تلك المشاكل بغية توفير السعادة للأفراد والمجتمعات ككلّ في شتّى الأمكنة والأزمنة.

المبحث الثالث: مقارنة قصة مريم العذراء بين القرآن والإنجيل

أولا: مقارنة نسب مريم ونشأتها وحياتها ووفاتها بين الإسلام والمسيحية.

1. نسب مريم ونشأتها:

لم يذكر اسم أبو مريم العذراء –عليها السلام– في الأناجيل الأربعة[1] المعتمدة عندهم، وذكر اسمه بألفاظ مختلفة هي: يوكايم، بوقاييم ويوناخير، ويوشيم في الأناجيل غير الرسمية، أمّا في القرآن الكريم فقد ورد في قوله تعالى:﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ﴾[2]، وعمران على الأرجح هو اسم أبيها، وذهب قسم آخر من المفسّرين إلى أنّه اسم أبي موسى وهارون ومريم ابنته لأنها من صلبه وهو جدّها الأعلى.

أمّا اسم أمها فلم يرد في القرآن الكريم، ولا في الأناجيل الأربعة وأمّا أنّ اسمها "حنة"، فهناك روايات يوردها المفسّرون وشراح الأناجيل تؤكّد ذلك.

ولم يرد لا في القرآن ولا في الأناجيل الأربعة أنّ لها إخوة، وورد في روايات الأناجيل غير المعتمدة[3] وجود أخت صغرى لها اسمها فرجة ويفهم من خلال عرض القرآن الكريم لقصة أمّ مريم عدم وجود إخوة لها، لتتذرهم حتى ولادة مريم على الأقل، بل إنّ سبب النذر كان شكرا لله على المولود الذي جاء بعد يأس والديه من الإنجاب، وحسب ما يورد أكثر المفسّرين أنّه لا يوجد لها إخوة، وبعضهم يذكر أنّ لها أخت اسمها أشباع كالمسعودي.

---

[1]– الأناجيل الأربعة وهي: متى ومرقس، ولوقا ويوحنا.

[2]– سورة التحريم، الآية 12.

[3]– الأناجيل غير المعتمدة مثل إنجيل يعقوب/ إنجيل متى المنحول/ إنجيل ولادة مريم/ إنجيل توما/ إنجيل الطفولة العربي/ صعود أشياء وتسمى الكتب المنحولة.

وقد ذكر الطبري نسبها عن محمد بن إسحاق أنّه قال: "قال: مريم –فيما بلغني عن نسبها– ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشأ بن حزفيا بن أحزيف بن يوثام بن عزريا بن أمصيا ابن ياوش بن أحازيهو بن يارم بن يهشا فاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان"[1].

ونرى أنّ المسعودي يخالف الطبري في نسب عمران فقال: "هو عمران بن ماتان بن يعاميم، أو عمران بن ماران بن يعاقيم"[2].

وقال البيضاوي: "هي مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن أبي يوذ بن يوزن ابن زربابل بن ساليان بن يوحنا...بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام"[3].

وينصّ العهد الجديد على أنها من نسل داود ولا خلاف عندهم في ذلك، وتذكّر الروايات غير الرسمية أنها من قبيلة هارون، أو أنّ أمها من قبيلة هارون، وتشير روايات إنجيل لوقا أنها من أقرباء الياصبات التي هي من بنات هاورن من سبط لاوى، "وكان اليهود في عادات زواجهم يتبعون قانونا ينصّ على أنّ كل بنت تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها، كما يذكر سفر العدد في العهد القديم، ولذلك تكون مريم كذلك من سبط لاوى من بنات هارون لما هي قريبتها الياصبات"[4].

أمّا القرآن الكريم فينسبها إلى هارون على لسان قومها، وهو أحد أقاربها الصالحين في أرجح الأقوال، ولا خلاف عند المفسّرين أنها من داود من نبي إسرائيل.

---

[1]– محمد بن جرير الطبري/ ت 310 ه/ تاريخ الأمم والملوك/ ط3، دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1991م/ ج1/ *ايضا محمد ابن إسحاق/ المبتدأ في قصص الأنبياء/ ط1/ (جمع وتوثيق محمد كريم الكواز)/ الانتصار العربي/ بيروت/ 2006م/ ص 339/ *و إسماعيل بن عمر ابن كثير/ ت774 ه،/ البداية والنهاية/ ط 4 (تحقيق أحمد أو ملحم وآخرون)/ دار الكتب العلمية بيروت/ 1998م، ج1/ ص 52.

[2]– علي بن الحسين بن علي المسعودي/ (ت 346 ه)،/ مروج الذهب ومعادن الجواهر تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية/ بيروت/ 1997م/ ص 62.

[3]– عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي/ ت 691 ه/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ط1/ دار الكتب العلمية/ بيروت، 1988م/ج1/ *وأحمد جاد/ قصص النساء في القرآن الكريم/ ط1/ دار الغد الجديد/ المنصورة/ 2005م/ ص 204.

[4]– علاء أبو بكر / المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح/ ط1/ مكتبة وهبة /القاهرة/ 1997م/ ص 168-169.

2- فشبح حمل الفيل:

لا ترد قصة الحمل بمريم وولادتها في نصوص الأناجيل الأربعة المعتمدة، إنّما جل ما ترويه المصادر المسيحية في هذا الموضوع يعود إلى الكتب غير الرسمية عندهم، وهذه الروايات تشابه ما يرويه المفسّرون المسلمون من أخبار بني إسرائيل، وقد وردت قصة النذر في إنجيل يعقوب بقول أم مريم التالي: "إذا ولدت ذكرا أن أنثى فإني سأقدمه عطاء للربّ إلهي وسيكون خادما له كل حياته"[1].

أمّا القرآن الكريم فقد أشار إلى حال أم مريم وهي تتوق نفسها لترزق مولودا، فنذرت حملها لله تعالى، فلمّا وضعت المولود واذ به أنثى، فحزنت لذلك لأنها أرادته ذكرا يقوم بخدمة بيت المقدس، فتوجّهت أمّ مريم إلى الله تعالى بالدعاء لأن يجعل ابنتها من عباده الطاهرين، السالمين من فتنة الشيطان هي وذريتها، فتقبّل الله تعالى دعائها.

3- مسلك الفيل:

لا تعرض الأناجيل الأربعة المعتمدة شيئا عن نشأتها في صغرها، وتتعرض لهذا الموضوع معظم روايات الكتب والأناجيل غير الرسمية، فتشير إلى أنّ مريم قد كرّست حياتها منذ الطفولة للعبادة، ويختلفون في سنها لما دخلت بيت المقدس ومنها ما يلي:

أ – "كرّست مريم لله منذ طفولتها، وأدخلت الهيكل في سن الثالثة وكان الملاك يأتيها بالطعام وهي هناك"[2].

[1]– كرمو – كوركيس/ قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد /(ترجمة مانويل بوجي)/ مؤسسة أورنيت/ الولايات المتحدة الأمريكية/ متشكن/ 1986م /ص398–400./*و ايضا خالد صناديقي/ قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى/ دراسة مقارنة/ ط1/ 1996م/ص399.

[2]– كرمو – كوركيس: قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض/ ص 35.

ب – وأورد إنجيل يعقوب ما يلي: "أنّ كهان الهيكل قد أحضروا أعوادا أو أقلاما وأعطوها لزكريا لكي يختار من بينهم من يكفل مريم"[1].

وتشير الآيات الكريمة في القرآن الكريم إلى تكريس مريم نفسها للعبادة منذ صغرها كما يلي: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ ﴾[2].

إنّ مريم ببركة دعاء أمها قد حفظها الله عز وجل من الشيطان الرجيم وانّ التربية التي تربت عليها كانت في حسنها ونقائها محلّ رضا الله سبحانه وتعالى وثنائه.

أمّا بالنسبة لعلاقتها بزكريا –عليه السلام–، فيشير العهد الجديد إلى أنّ زكريا الذي هو من آل داود زوج الياصبات قريبة مريم من قبيلة هارون، أمّا مسألة كفالته لها فلا يعرضها أيّ من الأناجيل الرسمية ويشير إليها إنجيل يعقوب وانجيل لوقا الذي يتشابه به في عرضه للقرآن الكريم لقصة زكريا ومن بعدها مريم، حيث أنّ القرآن الكريم قبل أن يبدأ بعرض قصة مريم تعرض لقصة زكريا، حيث ورد في القرآن الكريم أنّ الذي كفلها هو زكريا عليه السلام: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾[3]، وذكر المفسّرون أنّه زوج خالتها أو زوج أختها.

4- عرض إنجيل متى ولوقا حول مريم:

أورد انجيلي متى ولوقا روايات متناقضة بينهما يصعب من خلالها تحديد طبيعة العلاقة التي تربط يوسف بمريم، فتارة تشير هذه النّصوص إلى أنّ يوسف كان مجرّد خطيب لمريم، ولم يكن يعش معها حياة زوجية[4]، وأنّ ولادة المسيح لم تكن بسببه، وتارة تصفه نصوص الإنجيلين

[1]– المصدر نفسه، ص 36/ وانظر خالد صناديقي، ص 400.

[2]– سورة آل عمران، الآية 37.

[3]– سورة آل عمران، الآية 37.

[4]– إنجيل متى: 19/1.

على أنه زوجها وأب المسيح ونسب المسيح ليوسف[1]، أمّا آراء المسيحية المختلفة في هذه المسألة فيتّجه فهم غالبية الطوائف المسيحية وفي مقدمتها الكاثوليك* والأرثودكس** إلى أنّ يوسف كان كافلا لمريم وراعيا لها وليس زوجا، وخالفهم في ذلك البروتستانت***.

وتذكر بعض النصوص بأنّ يوسف كان زوجا لمريم كما يقول كل من إنجيلي لوقا ومتى في النصان الآتيان:

1- "...ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح"[2].

2- "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظنّ ابن يوسف ابن هالي..."[3].

ومن النصوص التي تعتبر أنّ مريم كانت زوجة ليوسف بعد ولادة المسيح ما يلي: "وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[4].

"وكان أبواه يذهبان كلّ سنة إلى أورشليم في عيد الفصح"[5]، أمّا إنجيل متى فيضيف أيضا ما يلي:

"أمّا ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"[6].

---

[1]– إنجيل متى: 16/1.

[*]– الكاثوليك: هم أتباع الكنائس الغربية، أتباع بابا الفاتيكان تعني: الجامع أو العالمي.

[**]– الأرثودكس: هم أتباع الكنائس الشرقية اليونانية ومعناها: صحيح العقيدة أو مذهب الحق.

[***]– البروتستانت: هم المنشقون عن الكاثوليك ومعناها: المحتجون.

[2]– إنجيل متى 16/1.

[3]– إنجيل لوقا: 23/3-38.

[4]– إنجيل متى 24/1-25.

[5]– إنجيل متى: 41/2.

[6]– إنجيل متى: 18/1.

فالملاحظ على هذه النصوص أنها ذات صنع ظنية وليست قطعية ولا جازمة، أمّا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فلا يشيران إلى علاقتها بيوسف، وذكر بعض المفسّرين أنّه ابن عمّ لها يرعاها وتعيش معه، عرف بطاعته لله وعبادته وزهده.

5- موت مريم:

لا يوجد نص في الأناجيل المعتمدة يذكر قصة وفاتها، وانما مجمل الروايات تتعلّق بهذا الموضوع من روايات الكتب غير الرسمية، ويقول الكاثوليك بصعودها إلى السماء قبل موتها، ويقول الأرثودكس بصعودها بعد موتها، ويذكر ذلك البروتستانت، ففي رواية أنّه جاءها الملاك بعد اثنين وعشرين سنة من صعود المسيح، وفي أخرى بعد أربع عشرة سنة، وأخبرها بأنّ أيامها على الأرض قد انتهت فطلبت من الرسل الاجتماع حولها ليشهدوا موتها ثمّ انتقالها إلى السماء، وتذكر روايات أخرى أنّ عمرها تجاوز الستين سنة.

نجد أنّ التّعليم الكاثوليكي يقول أنّ "مريم صعدت بالجسد إلى السماء لأنها قد تميّزت عن سائر البشر بكونها خارج الخطيئة الأصلية، فلا يمكن أن تموت لذلك صعدت إلى السماء بجسدها"[1]، فالكاثوليك يربطون بين عقيدة حبل بلادنس وفكرة انتقال مريم بجسدها، حيث أنها قد تميّزت عندهم عن سائر البشر بأنها ولدت مبرأة من الخطيئة الأصلية، فلا ينبغي أن يفسد جسدها ويبقى في القبر، فيذكرون أنها قامت من القبر وصعدت إلى السماء بنفسها وجسدها[2].

أمّا البروتستانت فلا يلتزمون بما قررته الكنيسة الكاثوليكية فيما يخصّ انتقال العذراء للسماء، وفي ذلك يعلّق مارتن لوثر على فكرة صعود مريم بقوله: "لا نستطيع أن نستنتج من الإنجيل وجود العذراء في السماء، وليس من الضروري أن نعرف مصير القديسين في

[1]– مجموعة من المؤلفين: الرؤية الأرثودكسية لوالدة الإله / مطبعة النور/ بيروت/ 1983/ ص161.

[2]– كرم البستاني/ سلطانة العذارى/ المطبعة الكاثوليكية/ بيروت/ 1959م/ ص 66.

السماء"[1].وفيما يخصّ المكان الذي دفنت فيه مريم تشير الروايات الكنيسية إلى مكانين الأول: في مدينة إفسيس[2]، والثاني في مدينة القدس، ويرجع هذا إلى اختلاف الروايات حوله، ومن الصعب تحديد مكان وفاتها ودفنها، لكن أقرب الروايات للحق والصواب أنها دفنت في مدينة القدس حيث أنها المدينة المقدسة التي نشأت فيها مريم والتي ترتبط بها برابط الإيمان والقرابة[3].وأمّا بخصوص عمر مريم ففيه اختلاف، لأنّ بعض الأناجيل تشير إلى أنها عاشت ثمان وخمسين 58 سنة، وبعضها الأخرى يشير إلى إحدى وستين 61 سنة، وذكر البستاني أنّ المجمع عليها أنها تجاوزت الثالثة والستين 63 سنة[4].

ولم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة ما يعطي إشارة إلى تاريخ وفاة السيدة مريم أو إلى كيفية وفاتها، وردت بعض الروايات في كتب أمثال: تاريخ الأمم والملوك للطبري وكتاب الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء للقضاعي، والبستان الجامع لجميع تاريخ أهل الزمان لعماد الدين الأصفهاني، روايات تنقل عن أهل الكتاب قولهم، أنّ مريم عاشت بعد رفع المسيح ست سنين، وأمّا الرواية التي رواها صاحب البستان فتسير إلى أنّ وفاتها كانت بعد عشرين سنة من رفع عيسى –عليه السلام–.

[1]– ماكس توريان/ مريم أمّ الرب ورمز الكنيسة/ ط2/ ترجمة خليل رستم/ دار المشرق/ بيروت/ 1992م/ ص 99/ وانظر الرؤية الأرثودكسية لوالدة الإلاه/ ص 33.

[2]– دوبره لاتور أوغسطس/ خلاصة اللاهوت المريمي مريم وكهنوتها/ ط2/ ترجمة يوسف قوشا قجي/ دار المشرق/ 1992م/ ص 94/ وانظر فرح جبرائيل/ مريم أم المسيح/ ط2/ منشورات المكتبة البوليسية/ بيروت/ 1970/ ص 292.

[3]– ورجح أنها دفنت في القدس كل من فرح جبرائيل ودوبر لاتور أغسطس/ مريم أم المسيح/ ص 292-293/ وانظر مجموعة من المؤلفين/ الرؤية الأرثودكسية/ ص 33.

[4]– كرمو/ قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد/ ص 36/ وانظر صناديقي: قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى/ ص 40/ والبستاني: سلطنة العذارى/ ص 67.

ثانيا: مقارنة موضوع حمل السيدة مريم بالمسيح وولادته بين المصادر الإسلامية والمسيحية.

1- **استئناس لزيجة يوحنا:**

تعتبر مسألة البشارة لمريم بمولد المسيح محطة هامّة عند أتباع الكنائس، كما أنّ إنجيل لوقا من بيت الكتب الأربعة الوحيد الذي يشير إلى الحوار الذي جرى بين مريم والملاك، حيث أنّ هذا الأخير بشّر مريم بأنها سوف تكون أمّا للمسيح[1]، وأنّ مريم استغربت من هذا الأمر لكن الملاك ذكرها بما حصل للياصبات وأنّ الله قادر على فعل ذلك[2].

ومن خلال استقراء النصوص الواردة في أناجيل لوقا ومتى، نستطيع أن نلخص ما ورد في موضوع حمل مريم وولادتها فيما يلي:

1- ما ورد في متى من أنّ "مريم قد حبلت بواسطة الروح القدس"[3].

2- ما ورد في متى أنّ "المكان الذي ولدت به هو بيت لحم، والتاريخ أيام هيرودوس الملك"[4].

3- ما ورد في لوقا أنّ "المسيح ختن وسمي بعد ثمانية أيام من ولادته"[5].

4- ما ورد في لوقا أنها: "ولدت ابنها البكر وفطمته وأضجعته في المذود إذا لم يكن لهما موضع في المنزل"[6].

---

[1]– لوقا 1: 26-33.

[2]– لوقا 1: 34-38.

[3]– متى: 1 : 18-21.

[4]– متى: 2 : 1 .

[5]– لوقا: 2 : 21.

[6]– لوقا: 2 : 7.

أمّا بالنسبة للقرآن الكريم فبعد أن بلغت مريم العذراء عليه السلام مبلغ النساء جاءتها الملائكة بالبشرى والبشارة: هي الخبر السّار[1]، وقد جاءت هذه البشارة بعد إبلاغ الملائكة لمريم باصطفاء الله لها، فكان هذا الاصطفاء هو إعداد وتأسيس لهذه البشارة، واختيار لفظ البشارة بالذات لتبليغ الخبر فيه طمأنينة للسّامع، وراحة لقلبه وبعد له عن الخوف والريبة ودليل البشارة في القرآن الكريم يكمن فيما يلي:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[2]. وقوله سبحانه وتعالى أيضا: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

تعرض سورة مريم مقدمات قصة بشارة مريم بالمسيح عليه السلام ويبدأ القرآن الكريم بوصفه لحال مريم وقد ابتعدت عن أهلها إلى الشّرق[4]، وفي فتح القدير لأنها تنحت وتباعدت، وقال ابن قتيبة: اعتزلت وقبل انفردت والمعاني متقاربة[5].

---

[1]– انظر لسان العرب لابن منظور/ ج 4/ ص 60-61.

[2]– سورة آل عمران، الآية 45.

[3]– سورة مريم، الآيات 16-21.

[4]– محمد فخر الدين بن ضياء بن عمر الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ م 11/ ط1 دار الفكر/ بيروت /1981/ ج21/ص 196-197/ *وانظر محمود بن عمر الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ ط1/ ج2 / دار الفكر/ بيروت/ 1977 /ص 505.

[5]– محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير/ ط1/ تحقيق عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ 1999م/ج3/ ص 400.

وذكر الفخر الرازي أنّ المفسّرين اختلفوا في معنى هذا الانتباذ على وجوه محتملة وهذه الوجوه هي:

- آلإ:

أنها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنتظر الطّهر فتغتسل وتعود فلمّا طهرت جاءها جبريل عليه السلام ويمكن ترجيح هذا القول على غيره من الأقوال لما رواه الحاكم عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن مرة عن عبد الله قالا: "خرجت مريم إلى جانب المحراب بحيض أصابها، ولما طهرت إذ هي برجل معها وهو قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[1]، وهو جبريل عليه السلام ففزعت منه وقالت: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[2].

فخرجت وعليها جلبابها، فأخذ بكمها ونفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت..."[3].

- ثانيا:

"أنها طلبت الخلوة لئّلا تنشغل عن العبادة"[4].

---

[1]– سورة مريم، الآية 17.

[2]– سورة مريم، الآيات 18-19.

[3]– الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت 405 ه)/ المستدرك على الصحيحين/ تحقيق محمود مطرجي/ دار الفكر/ بيروت/ 2002م/ ج3 /ص 196/ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التخليص.

[4]– وقد حسن القرطبي هذا الوجه وقال: "وهذا حسن وذلك أنّ مريم –عليها السلام– كانت وقفا على سدانة بيت المقدس وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك"/ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ د.ت/ م 6/ ج11/ ص 61.

- **طفلة:**

أنها قعدت في مشرقة[1] الاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها.

- **طفولة:**

أنها كانت لها في منزل زوج أختها زكريا محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليه، فتمنت على الله أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفرج السقف لها فخرجت إلى المفازة، فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك.

- **طفولة:**

"أنها عطشت فخرجت إلى المفازة لتسقي"[2]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، فسّر على أنه المكان الذي يقع شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾[4]، قال الشوكاني: "أي اتخذت من دون أهلها حجابا يسترها عنهم لئلاّ يراها الرجال حال العبادة أو حال التطهير من الحيض، والحجاب الستر والحاجز"[5].

---

[1]– المشرقة: موضوع القعود في الشمس بالشتاء/ يحيى بن زياد الفراء/ معاني القرآن/ ط3/ عالم الكتب/ بيروت/ 1983م/ ج2/ ص 163.

[2]– محمد فخر الدين بن ضياء بن عمر الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ م11/ ج21/ ص 196-197/ وانظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير/ ت774م/ تفسير القرآن الكريم/ ط. تحقيق (محمد إبراهيم البنا)/ مؤسسة علوم القرآن/ بيروت/ 1988م/ ج5/ ص 2212/ وقد رجح محمد بن جرير الطبري القول الخامس في تاريخ الأمم والملوك: ط3/ دار الكتب العالمية/ بيروت/ 1991م/ ج1/ ص 349.

[3]– محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لإحكام القرآن/ م6/ ص 61-62/* وانظر عبد الحق بن غالب الأندلسي ابن عطية/(ت 546 ه) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ط1/ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1993م/ ج4/ ص 9.

[4]– سورة مريم، الآية 17.

[5]– الشوكاني/ فتح القدير/ ج3/ ص 400.

والذي يبدو جليا من خلال الآية الكريمة وأقوال المفسّرين أنّ مريم العذراء في البداية ابتعدت إلى جهة المشرق من مكان سكنها ببيت المقدس، وبعد ابتعادها حجبت نفسها عن أنظار الناس، وفي هذه الأثناء أرسل الله سبحانه وتعالى إليها جبريل –عليه السلام– مبشّرا إياها يحمل عيسى –عليه السلام–.

أمّا تفسير قوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾، فقد فسرت بالمعاني التالية:

1- أنه قول الله له كن فكان.

2- إنها بشارة الملائكة لمريم بعيسى –عليه السلام–.

3- أنّ الكلمة اسم لعيسى –عليه السلام– وسمي الكلمة لأنه كان عن الكلمة "كن"[1].

4- وفسّر وصف الله تعالى له بالكلمة على أساس أنه يهتدى به كما أنّ الكلمة تهدي للخير[2].

5- وذكر الألوسي أنه وصف بالكلمة لأنّ الله بشّر به في الكتب السابقة[3].

والأرجح أنّ معنى قوله تعالى أي "بأمر منه" بمعنى أنّ عيسى خلق بأمر من الله عز وجل بدون واسطة الأب، يقول البقاعي في هذا المعنى: "الكلمة: أي مبتدئة منه من غير واسطة أب، هو من تسمية المسبب باسم السبب والتعبير بها، أوفق مقصود السورة، وأنفى

[1]– جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597 ه)/ زاد المسيّر في علم التفسير/ ط3/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ 1984م/ ج1/ ص 389/* وانظر أحمد بن أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجية (ت 1224 ه)/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ط2/ تحقيق عمر أحمد الراوي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 2005م/ ج1/ ص 319.

[2]– ابن الجوزي/ زاد المسيّر في علم التفسير / ج1، ص 212.

[3]– محمود بن عبد الله الحسني الألوسي (ت 1270 ه)/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ ط1/ تحقيق أحمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ 1999م/ ج23/ ص 212.

لما يدّعيه المجادلون في أمره ثمّ بيّن أنه ليس المراد بالكلمة حقيقتها بل ما يكون عنها، ويكون فعلا بها"[1].

وفي معنى اسم النبي عيسى عليه السلام ذكر أنها "كلمة يونانية معناها مخلّص ويرادفها يسوع إلاّ أنها عبرانية كما في تأويل أسماء التوراة والإنجيل"[2].

أمّا بالنسبة لمدة الحمل فرغم أنّ الأناجيل الأربعة لم تصرح بمدة الحمل لكنه يفهم من خلال نصوص الأناجيل أنّ مدة الحمل كانت مدة طبيعية مثل سائر بني البشر، ومن هذه النصوص ما ورد في إنجيل لوقا: "ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى، وبينما هما هناك تمّت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وفطمته وأضجعته في المذوذ إذ لم يكن لها موضع في المنزل"[3].

ولم يرد نص صريح لا في القرآن ولا في السنة النبوية الشريفة يبيّن مدة حمل مريم بالمسيح، وقد ذكرت بعض الإشارات التي تتعلّق بالحمل، كما ذكرنا من قبل وقد اختلف المفسّرون في بيان مدة الحمل بناء على تفسير النص القرآني –مريم الآيات22-23– فمنهم من جعلها مدة قصيرة محتجا بأن الفاء الواردة في الآية الكريمة تفيد التعقيب، فكما أنّ أصل الحمل معجزة فإنّ مدته كانت معجزة أيضا وليست كسائر بني البشر، ورجّح قسم من العلماء كون مدّة الحمل مدة طبيعية مثل سائر النساء[4]، وقالوا بأنّ التعقيب في الآية الكريمة لا يفيد الفور[5]، وقد ورد في أحاديث الصحيحين أنّ بين كل صفتين أربعين يوما، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "حدّثنا رسول الله صلى اله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق:

[1]– إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 ه)/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ ط1، مكتبة ابن تيمية/ القاهرة/ 1993م/ ج4/ ص 397.

[2]– محمد جمال الدين القاسمي (ت 1322 ه)/ محاسن التأويل/ ط1/ مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت/ 1994م/ ج2/ ص63.

[3]– لوقا، 2/5-7.

[4]– ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ط1/ ج5/ ص 2214.

[5]– ابن الجوزية/ زاد المسير/ ج5/ ص 218-219/* وانظر الزمخشري الكشاف/ ج2/ ص 506/ *والرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ م11/ ج 21/ ص 203.

إنّ أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثمّ ينفخ فيه الروح، فإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخل الجنة، وانّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار"[1].

وتذكر الأناجيل أنّ مريم قامت بزيارة الياصبات التي فرحت بمجيئها، وأنّ الجنين تحرّك في بطنها فرحا به[2]، ولم ترد هذه القصة في القرآن الكريم.

ويقول أبو حيان منتقدا الأقوال التي ذكرت بأنّ مدة حمل مريم كانت بضع لحظات أو بضع ساعات: "وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحا إلاّ أنّ المفسّرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق"[3].

وقال ابن الجوزي: "اختلف العلماء في مقدار سن مريم يوم ولادتها لابنها على ثلاث أقوال: أحدها: أنها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهب بن منبه، والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة قاله يزيد بن سالم، والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل"[4]، وهناك قول رابع أنها حملت به وقد بلغت سبع عشرة سنة[5].

---

[1]– رواه محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي/ (ت 256 ه)/ صحيح البخاري الجامع الصحيح المسند المختصر من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ ط1/ المجلد أ/ دار الجبل/ بيروت/ 2005م/ كتاب القدر/ باب يبعث الله ملكا فيأمر بأربع/ حديث رقم 6594/ ورواه في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته/ حديث رقم 3332.

[2]– لوقا، 1/40-45.

[3]– محمد بن يوسف الأندلسي أبو حيان (ت 745 ه)/ تفسير البحر المحيط/ ط1/ تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون/ دار الكتب العلمية/ بيروت، 1993/ ج6/ ص 171.

[4]– ابن الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير / ج5/ ص 225.

[5]– المسعودي/ مروج الذهب ومعادن الجوهر/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية/ بيروت/ ج1/ ص 63/* وانظر أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي/ تاريخ اليعقوبي/ ط1/ تحقيق عبد الأمير مهنا/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ 1993م/ ج1/ ص 97.

وهناك قول خامس: أنه عشرين سنة[1]، وقول سادس أنه كان عمرها عشر

سنين[2] لكن لا يمكننا الترجيح بين هذه الأقوال المختلفة لعدم وجود دليل يرجح واحد منهم.

2ضيع بـ ح ك لفيل لك لزيج:

يمكن فهم طبيعة الحمل بالمسيح من خلال نصوص القرآن الكريم على أنها معجزة إلهية، حيث إنه حمل أمّ بدون أب، وربّما تقتصر عقول البعض عن فهم هذه المسألة، فيكون المثال المشابه أوضح طريقا إلى عقولهم، وفي هذا الموضوع استخدم القرآن العظيم الأسلوب نفسه لمن يستغرب من خلق عيسى عليه السلام، حيث ضرب لهم الأمثال لتبيان وتوضيح هذه المسألة:

نجد أنّ الواحدي قد ذكر أسباب نزول هذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، في كتابه أسباب نزول القرآن الكريم بالتفصيل[4].

لذلك يصوّر القرآن الكريم الحمل بعيسى –عليه السلام– على أنّه الحمل بإنسان بدون أب عن طريق المعجزة الإلهية، ليست صعبة على من خلق مثلها أوّل مرة، فكما خلق آدم

[1]– علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير (ت 630 ه)/ الكامل في التاريخ/ ط1/ تحقيق عبد القاضي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1987م/ ج1/ ص 236.

[2]– عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710)/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ ط1، تحقيق يوسف علي بديوي/ دار ابن كثير/ بيروت/ 1998، ج2، ص 29/ وانظر عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ط2/دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1988م/الجزء 2/ ص 29.

[3]– سورة آل عمران، الآية 33.

[4]– علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)/ أسباب نزول القرآن الكريم/ تحقيق كمال بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ص 106-108.

من غير أب خلق عيسى كذلك، وقد عبّر القرآن الكريم عن كيفية الحمل بإشارات بليغة وموجزة، وقال أنّه كلمة الله التي ألقاها لمريم[1].

ولذلك فإنّ حمل مريم –عليها السلام– هو آية للنّاس أجمعين ودليل على قدرة الله عز وجلّ، حيث أنّ مريم استغربت من كلام جبريل –عليه السلام– عندما أخبرها بطبيعة ميلاد المسيح، أجابها الملاك بأنّ الحكمة من هذا أن يكون معجزة وآية دالة على قدرته سبحانه:﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2][3].

- نلاحظ أنّ هذه الآية وغيرها الدّالة على مل مريم تأكيد على وقوع معجزة الحمل بعيسى، بقدرة الله سبحانه وتعالى، وردّا على الذين اتهموا السيّدة مريم في عفّتها، شهد لها القرآن الكريم بالعفة والطّهر، وبيّن أنّ الحمل بالمسيح كالحمل بسائر البشر[4].

وقد حاول بعض المفسّرين أن يصفوا كيفية النّفخ بأوصاف مباشرة يمكن الاستغناء عنها إذا ما استحضرنا قدرة الله عز وجل في تحقيق هذه المعجزة، والقرآن الكريم لم يصرّح بكيفية هذا النفخ، ولم تستند الآراء التي ذكرت كيفية النفخ على أدلّة صحيحة ومقنعة[5].

[1]– انظر سورة آل عمران ، الآية 45.

[2]– سورة الأنبياء، الآية 91.

[3]– أنظر: القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ ص 61-62.

[4]– الزمخشري، الكشاف/ ج2/ ص 505-506/ وانظر أبو حيان/ البحر المحيط/ ج6، ص 171.

[5]– انظر الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ م11/ ج21/ ص 201-202./ *محمود شلبي/ حياة مريم/ ط1/ بيروت/ دار الجيل/ ص 182./ *وابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ج5/ ص 2214./ *والبغوي في معالم التنزيل/ ج 4/ ص 10./ *وابن كثير/ البداية والنهاية/ ط4/ تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1988م/ ج1/ ص 59-60.

ومن أجل نفي الذي أورده الرازي في "إسناد النفخ لله سبحانه وتعالى تارة في قوله: فَنَفَخْنَا﴿ فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[1]، ولجبريل تارة أخرى في قوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا﴾[2]"[3]، قال الشنقيطي: "ولا ينافى ذلك إسناد الله جلّ وعلا النفخ المذكور لنفسه في قوله تعالى: "فنفخنا" لأنّ جبريل إنما أوقع بإذنه وأمره ومشيئته، وهو تعالى الذي خلق الحمل من ذلك النفخ، فجبريل لا قدرة له على أن يخلق الحمل من ذلك النّفخ"[4].

أمّا بالنسبة لما جاء في هذا الشّأن في الأناجيل الأربعة فقد صرّح إنجيل متى أنّ حمل مريم بالمسيح كان بواسطة الروح القدس، وهذا يعطي إشارة إلى أنّ حملها لم يكن طبيعيا بل كان معجزة إلهية، كما أنّه ينفي أن يكون هذا الحمل من خطيبها أو كفيلها، إذ يقول: "وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"[5].

وفي تفسير موضع حمل مريم –عليها السلام– بالمسيح تظهر إشكالية في اللاهوت المسيحي وهي أنّهم يعتبرون أنّ المسيح هو الله، فكيف له أن يصير جنينا في بطن أمّ...؟؟؟ وفي محاولة إيجاد حلّ هذه الإشكالية فسروا هذه الفكرة بما يسمّى التجسيد الإلهي، وتمّ إعلان عقيدة التجسيد في المجتمع المسكوني الأوّل في نيقية، فجاء في إعلان هذا المجمّع في كلامه عن المسيح ما يلي: "نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس وصُلب"[6].

---

[1]– سورة التحريم، الآية 12.

[2]– سورة مريم، الآية 19.

[3]– الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ م11/ ج21/ ص 201-202.

[4]– محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي/ (ت 1939م)/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ ط1/ دار عالم الفوائد/ مكة المكرمة/ 2005م/ ج4/ص 304.

[5]– إنجيل متى: 24/1-25.

[6]– حنّا الخضري /المسيح إله أم إنسان/ قراءة في فكر كارل بارت/ ط1/ دار الثقافة/ القاهرة/ 1994م/ ص 30.

كذلك يتناول كثير من الدارسين في علم اللاهوت عبارة "في البدء كان كلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"[1]، وأيضا قولهما: "والكلمة صار جسدا"[2]، الواردة في بداية إنجيل يوحنا.

والتجسد Incarnation عقيدة يؤمن أصحابها بظهور الله تعالى أو ظهور أحد الآلهة عند الذين يعتقدون بوجود آلهة متعدّدة بشكل مادي جسدي وبخاصة بشري[3].

- فما علاقة عقيدة التجسد بموضوع حمل مريم بالمسيح في المسيحية؟

الجواب هو: إنّ هذه العقيدة ترتبط بشكل مباشر بتفسير طبيعة حمل مريم بالمسيح عند الطوائف المسيحية، لأنّ فكرة التجسد عندهم هي محاولة للإجابة على التساؤل الذي واجهته المسيحية في قرونها الأولى، وهو كيف حملت مريم بالمسيح وبدون أب؟ وكيف لإله أن يكون جنينا في رحم امرأة؟ فقالوا: بأنّ المسيح الإله تجسّد في صورة بشر حملت به العذراء[4].

ويعرّف بارت التجسّد أو عبارة "والكلمة صار جسدا"[5] التي وردت في بداية إنجيل يوحنا، على أنها حضور الله كإنسان، ويقول بأنّ الله والإنسان قد اجتمعا في المسيح[6].

وتمّ إعلان عقيدة التجسد في المجتمع المسكوني الأوّل في نيقية، فجاء في الإعلان هذا المجمّع في كلامه عن المسيح: "نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس وصُلب"، أمّا آريوس الذي عقد هذا المجمّع ردّا عليه، فقد أعلن أنّ كلمة الله

---

[1]– إنجيل يوحنا: 1: 1-3 .

[2]– إنجيل يوحنا، 1: 14.

[3]– دانيال باسوك / أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية/ ترجمة وتعليق سعد رستم/ 1993م/ http:// www. Ebnmaryam.com/Asateer. asateer.HTM

[4]– نهاد خياطة/ الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام/ ط1/ دار الأوائل/ دمشق/ 2002/ ص102.

[5]– إنجيل يوحنا: 14/1.

[6]– كارل بارت (1886-1968م)/ لاهوتي بروتستانتي/ سويسري من أصل ألماني/ انظر روني إيلي ألفا/ مجموعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب/ ط1/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1992م/ ج1/ ص 179.

ليست أزلية بل مخلوقة في الزّمن وبذلك يكون المسيح مخلوق من مخلوقات الله، وقد تمّ تفصيل قرارات هذا المجمّع في كتاب: مجموعة الشرع الكنسي لكساب حنانيا[1].

ثالثا: مقارنة الوصف الديني للسيدة مريم ومكانتها الدينية بين المسيحية والإسلام.

آ- ك ه شد ك خ مي ك لفيل غي ك لزي ج ب:

ارتبط وصف مريم العذراء في المسيحية بالتطورات التاريخية والعقيدية التي نتجت عن اختلاف أو اتفاق الطوائف الكنيسية حول القضايا العقدية الأساسية في الدين المسيحي.

ا- آ ه شئغ ئ ه ذ ل م ر ئ غي ك ع ه خ ي م ط ق خ ل ك ج خ:

يرى الباحثون في اللاهوت المريمي المسيحي الذي يتّجهون لقراءة نصوص العهد القديم قراءة مسيحية، بمعنى أنّهم يؤولون نصوص العهد القديم ويفسّرونها على أنها إشارات ترمي لمريم والمسيح، فيرون أنّ هذه النصوص في روايتها لقصة آدم وحواء لا تتعلّق بآدم وحواء اللذين انبثق منهما الجنس البشري فحسب، بل ترمز إلى آدم جديد وهو المسيح وحواء الجديدة مريم، وقد أقام بولس مقارنة بين آدم والمسيح، وأقام آباء الكنيسة الأوائل مقارنة بين حواء ومريم في نصوص العهد القديم[2]، حيث جاء في سفر التكوين وصف آخر لمريم حيث يقول: "فقال الرّب الإله لحية ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تَسْعَيْنَ، وترابا تأكلين كلّ أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها هو يَسْحَقُ رأسك وأنت تسحقين عَقِبَهُ"[3]، وهذا يدلّ على أنّه يخرج من نسل مريم من يسحق رأس الحية ويقصد بذلك المسيح الذي يستخلص الناس من الخطيئة.

---

[1]- كساب حنانيا/ مجموعة الشرع الكنسي/ ط1/ دار النور/ بيروت/ 1975م/ ص 40-41./* انظر نهى النجار/ الديانة المسيحية ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995م، ص 152.

[2]- دوبره لاتور/ أغسطس خلاصة اللاهوت المريمي، مريم وكهنوتها/ ص 23-38./* وانظر جميل السقلاوي /(1989م) في خدمة البشارة مريم من أنت/ بيروت/ 1989م/ ج8/ ص 41-36.

[3]- التكوين: 15/14/3، ص 24-25.

ومن خلال استقراء نصوص الأناجيل نجدها تصف مريم بالأوصاف التالية: "أم المسيح[1]، أم يسوع[2]، أمّ ربّي[3]، ممتلئة نعمة[4]، مباركة في النساء[5]، أم النساء[6]، أمّة الربّ[7]، العذراء[8]".

ظلّت مريم العذراء في الفترة الأولى من عهد الحواريين والمسيحيين أم المسيح وتدعى أمّ الإله إلى غاية انقضاء قرن على الأقلّ على انتقال المسيح ورفعه[9].

ويتّجه كل من الكاثوليك والأرثودكس إلى رفع مكانة السيدة مريم فوق جميع البشر بما فيهم الأنبياء، والملائكة، ويدعونها أمّ الإله، وينعتونها بصفات التعظيم مثل الملكة، والشفيعة والكلية القداسة والمجيدة، لقد عبّر المجمّع الفاتيكاني الثاني[10] عن نظرتهم العقيدية لمريم التي تدعو أتباعها لتكريم مريم العذراء تكريما خاصا وعبادة خاصة، فجاء في أعمال هذا المجمّع فصل خاص عنونوه ب"طبيعة التعبّد للعذراء القدسية وأسبابه" وجاء فيه ما يلي: "إنّ مريم قد رفعت بنعمة الله، وانّما دون ابنها، فوق جميع الملائكة وجميع الشركاء بكونها والدة الإله الكلية القداسة، الحاضرة في أسرار المسيح، لذلك تكرمها الكنيسة بحق بشعائر خاصة"[11].

---

[1]– متى: 1/16-17.

[2]– متى: 1/21.

[3]– لوقا: 1/43.

[4]– لوقا: 1/26-30.

[5]– لوقا: 1/28-42.

[6]– لوقا: 1/26-27.

[7]– لوقا: 1/38.

[8]– يوحنا: 2/4 / يوحنا: 19-26.

[9]– سعد رستم/ التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين/ بولوس ويوحنا/ ط1/ دار الأوائل/ دمشق/ 2004/ ص 21-22.

[10]– المجمع الفاتيكان الثاني/ (1962-1965م)/ هو المجمّع المسكوني الحادي والعشرون/ انظر أعمال المجمع الفاتيكان الثاني المسكوني – ترجمة: المسرة/ بيروت/ المطبعة البولسية/ 1966/ ص 1.– 10.

[11]– كيرلس بسترس/ اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر/ مريم العذراء/ ط1/ بيروت/ المكتبة البولسية/ ص101/102.

وجاءت فيه أيضا: "وهذا التعبّد على النحو الذي وجد عليه دائما في الكنيسة يتّصف بطابع فريد على الإطلاق، غير أنّه يختلف اختلافا جوهريا عن العبادة التي يعبد بها الكلمة المتجسّد مع الأب والروح القدس"[1].

وعليه يمكننا القول أنّ الكاثوليكيين يؤمنون بأنّ عبادة مريم هي أفضل وسيلة لحفظ البر والقداسة، ويؤمنون كذلك بجواز وهب مريم فضائل الأعمال من عبادات وأعمال خير[2].

يقول أحد الكتاب في كلامه عن عبادة مريم ما يلي: "احتفظنا بكلمة تعبد لأنها شائعة في الأوساط الشعبية، أمّا في الواقع فإنّ التعبّد أو العبادة فلله وحده، وأمّا للقدسيين فالتكريم، وللعذراء التكريم الفائق"[3].

وجاء في كلام أحد ممثلي المسيحيين على الأرض في معرض كلامه عن التنشئة الروحية لطلاب الكهنوت ما يلي: "ستفعم الكنيسة ولا شك فرحا إذا ما أضاف هؤلاء الطّلاب على سرّ تعبّدهم لسرّ القربان المقدّس تعبّدا خاصا للعذراء مريم"[4].

ويذكر دي ليكوري في كتابه كتاب أمجاد مريم البتول: "أنّ النعم كلها تتوزّع بواسطة مريم وحدها، وبأنّ الذين يفوزون بالخلاص الأبدي جميعا فيحصلون على ذلك بواسطة الأمّ الإلهية، وبالتالي يمكن القول ضرورة أنّه بإذاعة عبادتها وبانتشار مدائحها والاتّكال الوطيد على مفعول شفاعتها يتعلّق خلاص الجميع"[5].

---

[1]– كيرلس بسترس/ اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر/ مريم العذراء/ ط1/ بيروت/ المكتبة البولسية/ ص102/101.

[2]– http://ST-Takla.ORg/COPTIC.CHURCH-1-HTM1 موقع الكنيسة الأرثودكسية القبطية المصرية.
- http://www.geocities.com/ derelmalakgabrie 1/ jessusbothers.HTM.

[3]– جميل السقلاوي/ في خدمة البشارة/ مريم من أنت/ 1989/ بيروت/ ج8/ ص 31-35.

[4]– نوبرت المريمي /(1985) مريم وكهنوتها/ ترجمة جرجس المارديني/ منشورات الرابطة الكهنوتية/ د.ت/ ص 7-9.

[5]– ألفونس دي ليكوري / كتاب أمجاد مريم البتول/ ط3/ ترجمة مكسيموس مظلوم/ مطبعة مجمع انتشار الإيمان المقدس/ روما/ 1985م/ ج1/ ص 17.

أمّا البروتستانت وأصحاب نزعة التجديد والإصلاح فيرون أنّ هذه العبادة الجديدة لمريم هي دعوة لعبادات وثنية قديمة[1]، حيث يذكر القس مقار أنّ التحمس الزائد نحو توجيه العبادات لمريم هي محاولة للتعويض عن الغبن اللاحق تاريخيا بالمرأة في الكنيسة الكاثوليكية، وعليه يقول: "في القرون الوسطى عبدها الناس عبادة صريحة...من واجبنا أن نشجب كل عبادة للعذراء مهما كان تقديرنا لمركزها العظيم الذي أعطاه الله لها"[2].

فهم يرفضون زيادة أوصاف التعظيم لكنهم يقرون بوصف "أمّ الإله"، ويتّفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطّهارة تجاه السيدة مريم، لكنه يختلف معها عن طبيعة هذا التكريم ودرجته، فإنّ مساحة تكريم مريم العذراء في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتحليلات العلماء ظلّت في حدود بشريتها[3]، فوصفتها بالصديقة والمصطفاة والمطهّرة وأفضل نساء العالمين، كما اتجه بعض العلماء أمثال ابن حزم والقرطبي إلى اعتبار أنها نبية من الأنبياء.

ث- غصؤك لخيل آه شئغهئ لم طيق نغ م طك زمب:

1- غصؤكهئ آه شئغهئ غي طيق نغ م:

قبل أن نذكر أوصاف مريم وفضائلها لابدّ أن نشير إلى أنّ القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأة قط مصرحًا به إلاّ مريم -عليها السلام- مع أنّه تحدّث عن كثير من النساء ابتداء من حواء أمّ البشرية ثمّ امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة إبراهيم وامرأة عمران، وامرأة العزيز وامرأة فرعون وملكة سبأ وغيرهنّ من النساء، فالقرآن الكريم يذكر اسم العذراء الخاص بمريم دائما

[1]- أنظر: محمد المالكاوي/ تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى/ الرياض/ مركز البحوث العلمية/ د.ت/ ص 50.

[2]- الياس مقار ، (1988م)/ نساء الكتاب المقدّس/ ط3، القاهرة/ دار الثقافة/ ص 199.

[3]- أنظر: محمود عبد الحليم/ في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل/ ط 2/ دار المعارف/ د.ت/ ص 75.

حتى بلغ ذلك أربعة وثلاثين مرة منثورة في سور: البقرة، وآل عمران، النساء، المائدة، الأنبياء، المؤمنون، والتحريم، بل إنّ باسمها سورة خاصة هي سورة مريم[1].

يقول جار الله الخطيب: والسّبب في عدم ذكر أسمائهنّ أنّه لا طائل من ذكر الأسماء هنا، لأنّ الهدف يكمن خلف الأحداث وليس خلف الشخصيات، أمّا بالنسبة لمريم فالأمر مختلف، فقد كرّر القرآن اسمها، والهدف من ذكره تأكيد أنّ عيسى ليس ابنا لله كما قالت النصارى، وليثبت أيضا أنّه ولد بلا أب كما خلق آدم بلا أمّ ولا أب، فتكرير اسم مريم مصرحا به ينطوي تحته حكم كثيرة وعبر جمّة وآيات عظيمة، وهذه الأمور تتطلّب بروز الاسم فبرز مصرحا به"[2].

وبنص القرآن الكريم جعل الله سبحانه وتعالى مريم مع أختها آسية امرأة فرعون نموذجا أمثل لكلّ المؤمنين، وذلك لما اتصفتا به من صفات العفّة والطّهارة والكمال، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢ ﴾[3].

ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم، تظهر فضائل السيدة مريم في قبولها من الله عز وجل عابدة له مستجيبا لدعاء أمها، ووصف تربيتها بالتربية الإيمانية الطيّبة، يقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[4]، وهي التي كان يأتيها رزقها من

[1]– جار الله بن سليمان الخطيب/ قصص القرآن/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض/ 1992م/ ص12-13.

[2]– جار الله بن سليمان الخطيب/ قصص القرآن/ص 12-13/*وأيضا انظر: محمد الحجار/ من قصص التنزيل/ط1/دار البشائر الاسلامية/ بيروت/د.ت/ ص 505-506.

[3]– سورة التحريم، الآيات11-12.

[4]– سورة آل عمران، الآية 37.

الله عز وجل مصداقا لقوله تعالى: ﴿دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾[1]، وهي التي خاطبتها الملائكة لتخبرها بمكانتها عند الله تعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2].

وهي المصطفاة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]، وهي التي واساها الله تعالى عند ولادتها بالمعجزات: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[4].

وفي بيان صدقها وردّ الاتهام عنها عند سؤال قومها يقول تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[5]]، وجاء فيه أيضا وصفها بالمطهّرة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[7]، وهي القانتة في قوله عز وجلّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾[8]، وهي أيضا الساجدة الراكعة في قوله تعالى:

---

[1]– سورة ال عمران الاية نفسها.

[2]– سورة آل عمران، الآية 42.

[3]– سورة آل عمران، الآية 42.

[4]– سورة مريم، الآيات24-25.

[5]– سورة مريم، الآيات29-30.

[6]– أنظر: محمد ابن إسحاق: المبتدأ في قصص الأنبياء/ ط1/ جمع وتوثيق محمد كريم الكواز/ الانتشار العربي/ بيروت/ 2006م.

[7]– سورة آل عمران، الآية 42.

[8]– سورة التحريم، الآية 12.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وهي المحصنة في قوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾[2]، وهي الأمّ الصديقة[3] في قوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾[4].

2- غصوكه آه شغه غيك زمبطماي ب:

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأحاديث التي تدور حول موضوع الثناء على السيدة مريم ووصفها بالأوصاف اللائقة، ومن هذه الأحاديث ما دلّ على أنها سيدة العالمين وسيدة نساء أهل الجنة مع آسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله ﷺ[5].

روى الترمذي عن هاشم بن هاشم، أنّ عبد الله بن وهب أخبره أنّ أمّ سلمة أخبرته أنّ "رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثمّ حدثها فضحكت، قالت: فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها، قالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه يموت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي سيدة نساء أهل الجنة ومريم بنت عمران فضحكت"[6].

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 43.

[2]- سورة التحريم، الآية 12.

[3]- أنظر: عماد زهير حافظ/ القصص القرآني بين الآباء والأبناء/ دمشق/ دار القلم/ د.ت/ ص 103.

[4]- سورة المائدة، الآية 75.

[5]- إسماعيل بن عمر ابن كثير/ قصص الأنبياء/ تحقيق زياد السروجي/ دار صادر/ بيروت/ ص 419-423.

[6]- محمد بن عيسى الترمذي (279هـ)/ سنن الترمذي/ ط2/ دار الفكر/ بيروت/ 1983م/ أبواب المناقب/ في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم/ حديث رقم 3985.

وروى أيضا عن قتادة عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسيا امرأة فرعون"، قال الترمذي: هذا حديث صحيح[1].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد".[2]

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يصف به مريم وآسية وامرأة فرعون وعائشة رضي الله عنهنّ بأنّهنّ اتصفن بصفات الفضل والكمال من النساء

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[3].

- لزلآ ب ع شدلب لفيل:

يؤمن الكاثوليك بفكرة الحبل بلا دنس، ومفادها: أنّ مريم القدسية مبرّأة من الخطيئة (خطيئة آدم)، وهي في أحشاء أمها بإنعام خاص عليها وذلك لأنّ رحمها كان مستودع المسيح، ويحتفل الكاثوليك في الثامن من ديسمبر من كلّ سنة بهذه المناسبة.

[1]– الترمذي/ سنن الترمذي/ أبواب المناقب في فضل أزواج النبي (ص) حديث رقم 3981.

[2]– رواه البخاري/ كتاب أحاديث الأنبياء/ باب: واذا قالت الملائكة يا مريم" إلى قوله.."لديهم إذ يختصمون" سورة آل عمران، 42-44/ حديث رقم 3432/ رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم/ باب فضائل خديجة أم المؤمنين/ حديث رقم 2430/ ورواه أحمد في المسند/ كتاب فضائل الأنبياء/حديث رقم 1640/ ورواه الترمذي في السنن/ أبواب المناقب/ حديث رقم 3980.

[3]– رواه البخاري/ كتاب فضائل الصحابة/ باب فضل عائشة رضي الله عنها/ حديث رقم 3769 ورواه في كتاب الأطعمة/ باب الثريد حديث رقم 5418/ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل خديجة أمّ المؤمنين/ حديث رقم 2431.

أمّا الأرثودكس فلا يؤمنون بهذا الاعتقاد لأنهم أصلا لا يؤمنون بفكرة الخطيئة الأصلية بالنسبة لمريم، ويرون أنها لم ترتكب الخطيئة بسبب قداستها[1].

أمّا بالنسبة للقرآن الكريم فقد تعرّض لهذا الموضوع عندما استعاذت أمّ مريم بالله سبحانه وتعالى أن يحفظ مريم وتربيتها من الشيطان الرجيم، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا يؤكّد مسألة حفظ مريم من سرّ الشيطان الرجيم[2].

[1]– أنظر علي بن أبي بكر الهيثمي/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ د.ت/ ج5/ ص 172.

[2]– عمر سليمان الأشقر/ الرسل والرسالات/ عمان/ دار النفائس/ ص 87-89.

خلاصة مقارنة قصة مريم القرآنية والمسيحية

عبرت الآيات الكريمة التي تناولت جوانب من حياة السيدة مريم عن المكانة الهامة والرفيعة التي تمثلها مريم العذراء في الإسلام، كما أنّ مريم –عليها السلام– بكونها أمّا للمسيح فقد مثلت موقفا دينيا هامّا في العقيدة المسيحية.

وبالنسبة للنصوص المقدّسة التي تروي جوانب من حياة مريم العذراء في الجانب المسيحي، فتخلو الأناجيل الأربعة الرسمية من ذكر تفصيلات تتعلّق بحياتها، وانما تعرض هذه الأخيرة بإجمال قصة بشارتها بالمسيح والحمل بت، وولادته، وتذكر بعض المواقف الجانبية لها بعد نبوّته، أمّا الأخبار التفصيلية التي تروي عنها، فهي من روايات الأناجيل غير الرسمية الأبوكريفيا.

أمّا الوصف الديني لمريم ومكانتها في المسيحية، فقد تتطوّر تبعا للتطورات العقيدية للمسيحية التي أفرزتها العوامل السياسية، والاختلافات اللاهوتية في تفسير طبيعة المسيح عليه السلام، وقد لعبت المجامع المسكونية السبعة المعترف بها لدى الكنائس الدّور الأكبر في تحديد صورة العقيدة الدينية للمسيحية ككلّ، ولصورة الاعتقاد بمريم العذراء لمختلف الطوائف المسيحية.

وتعرض نصوص القرآن الكريم أهمّ المراحل التي عاشتها السيدة مريم، بل إنّ سورة كاملة سميّت باسمها ولم يصرّح القرآن الكريم باسم امرأة سواها، فيعرض قصة نذر أمها لها وهي لا تزال جنينا في بطنها، ويصف التربية الحسنة التي نشأت في كنفها، ويذكر كفالة زكريا لها....

ويتّفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة تجاه السيدة مريم، ولكنه يختلف عن المسيحية في طبيعة هذا التّكريم ودرجته، وعليه يمكننا تلخيص أهمّ النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدّراسة بالنقاط التالية:

1-لم يذكر اسم أبي مريم العذراء في الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم، وذكر اسمه بألفاظ مختلفة هي: يوكايم، يوقايم، يوناخير، ويوشيم في الأناجيل غير الرسمية، أمّا في القرآن الكريم فقد ورد في قوله تعالى: "ومريم ابنة عمران"، وعمران على الأرجح هو اسم أبيها، وذهب قسم آخر من المفسّرين على أنّه اسم أبي موسى وهارون، ومريم ابنته لأنها من صلبه وهو جدّها الأعلى.

2-لا ترد قصة الحمل بمريم وولادتها في نصوص الأناجيل المعتمدة، إنّما جلّ ما ترويه المصادر المسيحية في هذا الموضوع يعود إلى الكتب غير الرسمية عندهم، وهذه الروايات تشابه ما يرويه المفسرون المسلمون من أخبار بني إسرائيل إلى حدّ ما، أمّا القرآن الكريم فقد أشار إلى حال أمّ مريم وهي تتوق نفسها لترى مولودا لها، ناذرة هذا المولود للمولى عز وجل.

3-لا تعرض الأناجيل الأربعة المعتمدة شيئا عن نشأة مريم في صغرها وتتعرض لهذا الموضوع معظم روايات الكتب والأناجيل غير الرسمية، فتشير إلى أنّ مريم قد كرّست حياتها منذ طفولتها للعبادة، ويختلفون في سنها عند دخولها الهيكل، وتشير الآيات القرآنية الكريمة إلى نشأة مريم الخيرة منذ صغرها في سورة آل عمران، الآية 37.

4-تذكر الأناجيل المعتمدة وبالأخصّ لوقا ومتى أنّ يوسف كان قريبا لمريم من نسل داوود، وكذلك أنّ ّ ه كان خطيبا لمريم، ولا يشير القرآن الكريم إلى هذه العلاقة.

5-لا يوجد نص في الأناجيل المعتمدة يشير إلى قصّة وفاتها، وانّما مجمل الروايات التي تتعلّق بهذا الموضوع هي من روايات الكتب أو الأناجيل غير الرسمية، ويقول الكاثوليك بصعودها إلى السماء قبل موتها، وأمّا الأرثودكس فيرى أنّ صعودها كان بعد موتها، وينكر البروتستانت ذلك، ولم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة ما يعطي إشارة إلى تاريخ وفاة مريم العذراء أو كيفية وفاتها.

6-تعتبر مسألة البشارة لمريم بمولد المسيح محطة هامّة عند أتباع الكنائس، كما أنّ إنجيل لوقا من بين الكتب الأربعة المعتمدة الوحيد الذي يشير إلى الحوار الذي جرى بين مريم والملاك، حيث أنّ هذا الأخير بشّر مريم بأنها سوف تكون أمّا للمسيح، وذكرت بشارة الملائكة لمريم بميلاد المسيح في القرآن الكريم في أكثر من موضع.

7-يصرّح إنجيل لوقا بأنّ المكان الذي ولد به المسيح هو بيت لحم، والتاريخ أيام هيرودوس الملك، ولا تعرض نصوص الأناجيل الأخرى أوصافا لمريم قبيل ولادتها، لما عرضها القرآن الكريم، حيث لم يذكر القرآن الكريم اسم المكان الذي ولدت فيه المسيح، ولكنه تعرّض لبعض صفاته.

8-يصرّح إنجيل متى أنّ حمل مريم بالمسيح كان بواسطة روح القدس، وهذا يعطي إشارة إلى أنّ حملها لم يكن حملا طبيعيا بل كان معجزة إلاهية، ويفسّرون عملية الحمل هاته بفكرة التجسّد الإلهي، أمّا الجانب الإسلامي فيصوّر القرآن الكريم الحمل بعيسى على أنّه الحمل بإنسان بدون أب عن طريق المعجزة الإلهية، مثله كمثل آدم من قبله.

9-تتّفق معظم الطوائف المسيحية على أنّ مريم كانت عذراء قبل ولادتها للمسيح، وتشكّل فكرة دوام بتولية مريم قضية خلافية بين الكاثوليك والأرثودكس الذين يقرون بدوام بتوليتها من جهة، وبين البروتستانت الذين يرفضون ذلك، ويرون أنّها تزوجت من يوسف، وقد ذكر القرآن الكريم عذرية مريم قبل ولادتها للمسيح على لسان مريم نفسها "لم يمسسني بشر"، وقد مدح القرآن عفّتها في سورة التحريم، الآية 12، أمّا مسألة زواجها فلم يتعرّض لها القرآن الكريم.

10-يتّجه كل من الكاثوليك والأرثودكس إلى رفع مكانة مريم فوق جميع البشر بما فيهم الأنبياء والملائكة، ويدعونها ب"أم الإله" وينعتونها بصفات التعظيم مثل الملكة والشفيعة والكلية القداسة والمجيدة، أمّا البروتستانت فيرفضون زيادة أوصاف التّعظيم لكنهم يقرّون

بوصف "أمّ الإله"، ويتّفق الإسلام مع المسيحية في نظرة التكريم والطهارة والعفة تجاه السيدة مريم، ولكنه يختلف معها في طبيعة هذا التكريم ودرجته، إذ نجد أنّ مسألة تكريم مريم العذراء في نصوص القرآن الكريم والسنة وتحليلات العلماء ظلّت في حدود بشريتها.

11-يؤمن الكاثوليك بفكرة الحبل بلادنس، مفادها أنّ أم مريم حملت بها وهي بريئة من خطيئة آدم وحواء الوراثية، ولا يؤمن الأرثودكس بهذا الاعتقاد لأنهم أصلا لا يؤمنون بفكرة الخطيئة الأصلية ويرون أنّ مريم لم تحمل الخطيئة بسبب قداستها.

12-تطلب كل من الكنائس الكاثوليكية والأرثودكسية من أتباعها توجيه الصلوات لمريم وطلب الشفاعة منها، ويظهر هذا في الطّقوس والألفاظ التي تعتمدها هذه الكنائس في عبادتها، أمّا البروتستانت فيرفضون ذلك، أمّا القرآن الكريم فقد رفض كل عبادة موجّهة إلى غير الله سبحانه وتعالى.

13-تهتمّ كل من الكنائس الأرثودكسية والكاثوليكية بالأيقونات المقدّسة، وبالمقابل يتّجه البروتستانت بشكل عام إلى محاربة الأيقونات واهمالها، أمّا الإسلام فقد حرّم تقديس الصور والتماثيل والتوجه إليها بالعبادة.

وهكذا نكون قد انتهينا من مقارنة قصة مريم العذراء القرآنية والمسيحية.

خاتمة البحث

يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، وذلك أنّ القرآن الكريم لم يتناول القصّة لأنها عمل فنّي مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنّه لم يأت بالقصة من أجل التحدّث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها كما يفعل المؤرخون، وانّما كان عرض القصّة القرآنية مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها القرآن لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء من أجلها، بل يمكننا القول أنّ القصّة هي من أهمّ هذه الأساليب.

وبعد كلّ النتائج الجزئية التي أثبتناها في ثنايا فصول هذا البحث نخلص إلى إبراز النتائج الكلية التي أدّت إليها أو دلّت عليها دراسة قصص الأنبياء الشعبية و في الروايات الإسلامية وغير الإسلامية: التوراة والإنجيل –دراسة مقارنة–، وتتبلور فيما يلي:

1- إنّ الموازنة بين القصص القرآنية والشعبية ثمّ القرآنية والتوراتية أو الإنجيلية جعلتنا نستخرج الأحداث الحقيقية وغير الحقيقية –المفتراة– أي المضافة إلى الأحداث الأصلية في القصة، ثمّ الكشف عن اللّب والجوهر الثابت الذي تكتنزه كلا من القصّتين، ومدى صدق الأولى عن الثانية وكان هدفنا الأسمى هو إبراز دور القصّة الشعبية الجاد، والهادف والمستوحاة طبعا من القرآن الكريم.

2- تناقض الروايات في بعض الأحداث التي يتورّع فيها كتاب –التوراة– الإنجيل– والتي ينقلون فيها رأيين مختلفين تمام الاختلاف ،مع أنّ بعضها ورد في نصوص متقاربة جدا من حيث الترتيب ،أما القصة الشعبية فتتفق مع القصة الدينية في بعض الأحداث وتختلف مع المتن القرآني في مواطن عدة.

3- اكتفاء القرآن الكريم في تحقيق معانيه بنصوصه ذاتها، التي تكفي النظرة المتأملة فيها لاستخراجها، كما يلاحظ التقاءه أحيانا في الكليات وفي بعض الجزئيات مع الكتب السماوية الأخرى في القصص التي تعرضنا لدراستها، لكنه يتجاوزهم تماما في ربطه لقصصه كلها بأغراض إيمانية وغيبية لا تشير إليها التوراة ولا الإنجيل، هذا تميّز واضح يدلّ على عدم نقص نتائج قصصه لمقدماته العقيدية والتاريخية.

4- استيقاء القاص الشعبي لمادة قصته من القرآن و عدم ارتكازه على التفاسير الأصـــليـــة و نسجه لجل أحداثها من وحي خياله، مما يجعلها قابلة للتأويل والتغيير والتحوير ،مغيرا مجرى القصة وغرضها وهدفها المنشود،وهذا ما يعاب عليه.

إن القصص القرآني هو قصص حقا وليس من جنس الأساطير والروايات المؤلفة التي يفتريها الناس، لأنّ المفتريات لا تحدث اعتبارا للناس، وأنّه لا يعتبر إلاّ بالحق وفي هذا الاستنباط فرقان مبين، وفيه تصديق لما كان قبله من الكتب المنزلة التي لم تحرّف، وتبقى هي الأصل والموعظة والعبرة، وما دونها فهو نسج لأحداث خيالية مستخدما صاحبها البساطة في اللغة، ومعتمدا على الخرافة والأسطورة (دون نسيان الأحداث الحقيقية المستقاة من القرآن)، وعليه تبقى كلا من القصة الشعبية، والقصص الإنجيلية والتوراتية معرضا للتغيير والتحوير ممّا يؤدّي إلى تغيير مجرى أحداثها وغرضها المراد منها.

وأخيرا نخلص إلى أنّ القرآن الكريم يبقى كلام الله الذي لا تبلغه الغايات، ولا تحيط به الإحاطات، ولا تدركه الإدراكات، وتموت دون بلوغ عزته الخيالات.

وأخيرا نقول أنّ دراستنا هاته هي أقلّ بكثير من المستوى المطلوب، فهي تجربة كغيرها من التجارب تقف صاغرة أمام ما قدّمه السّلف، وعليه فإن كنّا قد وفقنا لبعض ما نصبوا إليه، فذلك ما كنّا نبغ، وان كنّا جانبنا الصواب فيما سطرناه، فنعتذر عن ذلك.

والله نرجو أن تكون هذه الدراسة عونا لمن احتاج إليها ونطلب منه التوفيق وسداد الخطى، وفي الأخير أشكر كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1 إبراهيم بن السري الزجاج/ معاني القرآن الكريم واعرابه/ تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي/الجزء الأول /الطبعة الأولى/ عالم الكتب/ بيروت/ 1988م.

2 إبراهيم بن عمر البقاعي/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ الجزء الرابع/الطبعة 1/مكتبة ابن تيمية/ القاهرة/ 1993م.

3 أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي/ تاريخ اليعقوبي/ ط1/ تحقيق عبد الأمير مهنا/ الجزء 1/الطبعة 1/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ 1993م.

4 أحمد بن أحمد بن المهدي ابن عجيبة/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/تحقيق عمر أحمد الراوي/ الجزء الأول/ الطبعة 2/ دار الكتب العلمية/ بيروت/2005م.

5 أحمد بن حنبل/ المسند/ الجزء الثالث والرابع/مؤسسة قرطبة/ القاهرة/ 1424هـ.

6 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية/مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية/ الجزء الرابع/ جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وابنه محمد بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين/مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / 1425هـ /2004م

7 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية/منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض/ 1406هـ-1986م.

8 أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني/ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية/الجزء الأول/ دار الكتب العلمية- بيروت/ د.ت.

9 أحمد جاد/ قصص النساء في القرآن الكريم/ الطبعة1/ دار الغد الجديد/ المنصورة/ 2005م.

10 أحمد شلبي/سلسلة مقارنة الأديان: اليهودية/ الطبعة الثامنة/ مكتبة النهضة- مصر/ 1988م.

11 أحمد عبد الوهاب/ الإسلام والأديان الأخرى: نقاط الاتفاق والاختلاف/ مكتبة التراث الإسلامي/ دار الجيل للطباعة والنشر- الفجالة- مصر/ 1992م.

12 أحمد عبد الوهاب/ فلسطين بين الحقائق والأباطيل/ الطبعة الأولى / مكتبة وهبة بالقاهرة / 1392 ه- 1972م.

13 أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام/مكتبة وهبة- مصر/ 1400هـ- 1979م.

14 أحمد ماهر البقري/ يوسف في القرآن/ دار النهضة العربية للصّناعة والنشر/ بيروت.

15 آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة: محمد الهادي أبو ريدة/ الجزء الأول/الدار التونسية للنشر والتوزيع- تونس / المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر/ 1986م.

16 آلان هوايت/ الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء/ترجمة فرج الله إسحاق/ نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر/ بيروت/ 1981م.

17 أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري/ تبيين الصحيح في تعيين الذبيح/ تحقيق: بدر العمراني الطنجي/ الطبعة الأولى / دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت- لبنان / 1428 ه- 2007م.

18 ألفونس دي ليكوري / كتاب أمجاد مريم البتول/ترجمة مكسيموس مظلوم/الجزء الأول/الطبعة 3/ مطبعة مجمع انتشار الإيمان المقدس/ روما/ 1985م.

19 المالكاوي/ تألية مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى/مركز البحوث العلمية/ الرياض/ د.ت.

20 الياس مقار/ نساء الكتاب المقدّس/ الطبعة 3/دار الثقافة/القاهرة/د.ت.

21 آملي جوادي/ التوحيد في القرآن/ الطبعة الأولى/ دار الصفوة/ بيروت/1994م,

22 التلّي بن الشيخ/ دراسات في الأدب العربي/ الجزائر/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ 1983

23 ت. ماير/الآباء والأنبياء/تحقيق محمد أحمد عبد العزيز/ الطبعة الرابعة / دار الكتب العلمية/ بيروت / 1408 ه- 1988م.

24 ت. ماير/حياة إبراهيم/ترجمة القمص مرقس داود/نشر مكتبة المحبّة/القاهرة/ 1980

25 جار الله بن سليمان الخطيب/ قصص القرآن/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض/1992م.

26 جميل السقلاوي/في خدمة البشارة مريم من أنت/الجزء 8/بيروت/ 1989م

27 جيب/علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات/ الطبعة الثانية / بيروت/ باريس / 1989م.

28 الحسين بن مسعود الفراء البغوي/ معالم التنزيل/ الطبعة الأولى/ المجلد الرابع/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1993م.

29 الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري/ المستدرك على الصحيحين/ وبهامشه كتاب تلخيص المستدرك للإمام أبي عبد الله النهبي/ تحقيق محمود مطرجي/ دار الفكر بيروت/ 2002م

30 حنّا الخضري /المسيح إله أم إنسان/ قراءة في فكر كارل بارت/ الطبعة1/ دار الثقافة/ القاهرة/ 1994م.

31 خالد صناديقي/ قصص القرآن والقصص في الديانات الأخرى/ دراسة مقارنة/ الطبعة 1/ 1996م.

32 خليل سليمان الشيخ/الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة (قصة يوسف –عليه السلام–)/الطبعة الأولى/المكتب الإسلامي:1420 ه/1994م.

33 دوبره لاتور أوغسطس/ خلاصة اللاهوت المريمي مريم وكهنوتها/ ترجمة يوسف قوشاقجي/الطبعة 2/دار المشرق/ 1992م.

34 رجاء جارودي/ الأساطير المؤسسة للسياسية الاسرائيلية/ ترجمة: حافظ الجمالي وصباح الجهيم/ الطبعة الثانية/ دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت/ 1996م.

35 روزلين ليلى قريش/ القصّة الشعبية ذات الأصل العربي/ ديوان المطبوعات الجامعية/ الجزائر/ 1980م.

36 روني إيلي ألفا/ مجموعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب/ الجزء الأول/الطبعة 1/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1992م.

37 زاهية الدجاني/يوسف في القرآن الكريم والتوراة/ دراسة مقارنة للمشاهد والعبر/ الطبعة الأولى/دار التقريب بين المذاهب الإسلامية/بيروت– لبنان/1415هـ– 1994م.

38 سعد رستم/ التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين/ بولوس ويوحنا/ الطبعة 1/ دار الأوائل/ دمشق/2004.

39 سيد قطب/ في ظلال القرآن/ المجلّد الخامس/ الطبعة 15/دار الشروق/ 1408هـ–1988م.

40 سيد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن/ دار الشروق/ بيروت/ 1988.

41 شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري/ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي/الجزء الأول/ دار صادر/ بيروت/د.ت.

42 شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري/ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض/ دار الكتاب العربي/ بيروت/د.ت.

43 شوقي ضيف/ في النقد الأدبي/ دار المعارف/ القاهرة/ 1931م

44 صلاح عبد الفتاح الخالدي/ نظرية التصوير عند سيد قطب/ شركة الشّهاب/ الجزائر/ 1988م.

45 عباس محمود العقاد/ إبراهيم أبو الأنبياء/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا– بيروت/ د.ت.

46 عبد الحافظ عبد ربه/ بحوث في قصص القرآن/ دار الشباب اللبناني/ بيروت/ 1994.

47 عبد الحق بن غالب الأندلسي ابن عطية/المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ الطبعة الأولى/دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1993م.

48 عبد الحميد بورايو/ القصص الشعبي في منطقة بسكرة/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر/ 1986م.

49 عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ الدر المنثور في التفسير المأثور/الطبعة الأولى/المجلد الرابع/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1990م.

50 عبد الرحمن جلال الدين السيوطي/ القول الفصيح في تعيين الذبيح/ ضمن الجزء الثاني من كتاب الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد/ السلام العالمية للطّبع والنشر/ القاهرة.

51 عبد الرحمن بن ناصر السعدي/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / قدمه: عبد الله بن عبد العزيز– محمد صالح العثمين/ حققه وقابله: عبد الرحمن بن معلى اللويحق/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى/ 1423هـ–2002م

52 عبد العزيز غنيم/ لحظات مع الذّبيح وأبيه –عليهما السلام–/ إشراف محمد توفيق عريضة/ العدد 129/ السنة الحادية عشرة/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية/ القاهرة، 15 ذي الحجة 1391هـ، 31 يناير 1972م.

53 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري/ لطائف الإشارات/تعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن/الجزء الأول/الطبعة الأولى/دار الكتب العلمية/ بيروت/ 2000م.

54 عبد الله بخيت محمد/ دراسات في الأدب السواحلي (القصص الشعبي)/ مطبعة الفجر الجديد/ القاهرة/ 1977.

55 عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل/تحقيق يوسف علي بديوي/ الجزء 1و 2/الطبعة الأولى/دار ابن كثير/ بيروت/ 1998م.

56 عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ الجزء الأول والثاني/ الطبعة 1 و2/ دار الكتب العلمية/ بيروت، 1988م.

57 عبد المالك مرتاض/ ألف ليلة وليلة/ تحليل سيميائي تفكيكي/ ديوان المطبوعات الجامعية/ 1993م.

58 عبد الوافي/الأسفار المقدّسة في الأديان السابقة للإسلام/ مكتبة النهضة– مصر/ 1414هـ– 1994م.

59 عبد الوهاب النجار/ قصص الأنبياء/ دار الجيل / بيروت / د.ت.

60 عثمان حشلاف/ التراث والتّجديد في شعر السياب – مقوماتها وطاقتها الإبداعية/ الطّبعة الأولى والثانية/دار المعارف/ 1983م.

61 عدنان محمد وزان/ مطالعات في الأدب المقارن/ دار السعودية للنّشر والتوزيع/ سنة 1983م.

62 عزام حدبا/ يوسف أيها الصديق أفتنا/ قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة– دراسة مقارنة أدبية / المكتبة الوقفية.

63 علاء أبو بكر/ المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح/ الطبعة1/مكتبة وهبة /القاهرة/ 1997م.

64 علي الشيخ (تفسير الميزان 17/ 313 نقلا عن)لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام/ دراسة مقارنة/ سلسلة الرحلة إلى الثقلين/ 29، مركز الأبحاث العقائدية/ قسم المقدسة –صفائية– ممتاز رقم 34.

65 علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ تحقيق عبد القاضي/ الطبعة 1/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1987م.

66 علي بن أبي بكر الهيثمي/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة/ الجزء 5/دار الكتب العلمية/ بيروت/ د.ت.

67 علي بن أحمد الجرجاني/ كتاب التعاريف / مكتبة لبنان– بيروت/ 1985م

68 علي بن أحمد الواحدي/أسباب نزول القرآن الكريم/ تحقيق كمال بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ بيروت/د.ت.

69 علي بن الحسين بن علي المسعودي/ مروج الذهب ومعادن الجوهر/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ الجزء الأول/بيروت/ 1997.

70 علي بن محمد بن حبيب الماوردي/ النكت والعيون/تحقيق بن عبد المقصود/الجزء الأول/ الطبعة الأولى/دار الفكر العلمية/ بيروت/ 1992م.

71 عماد زهير حافظ/ القصص القرآني بين الآباء والأبناء/ دار القلم / دمشق / د.ت.

72 عمر سليمان الأشقر/ الرسل والرسالات/ دار النفائس/عمان/د.ت.

73 فتحي محمد الزغبي/تأثّر اليهودية بالأديان الوثنية/الطبعة الأولى/نشر دار البشير طنطا مصر/1994م.

74 أبو الفداء إسماعيل عمر ابن كثير الدمشقي/ تفسير القرآن العظيم/ تحقيق محمد إبراهيم/ الجزء الخامس/مؤسسة علوم القرآن بيروت/ 1998م.

75 أبو الفداء اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي / قصص الأنبياء/ حققه وأخرج أحاديثه لجنة التحقيق والنشر/ قدمه عبد القادر أرناؤوط/الطبعة الأولى/دار الفيحاء للطباعة والنشر/ دمشق/ سوريا/ 1421 ه/2001م.

76 أبو الفداء اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي/ البداية والنهاية/ تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون/ الجزء الأول / دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1988م.

77 أبو الفداء اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي/ تفسير القرآن العظيم/ تحقيق سامي بن محمد السلامة/ الجزء 1-5 / دار طيبة للنشر/ 1420هـ- 1999م.

78 أبو الفداء اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي/قصص الأنبياء من القرآن والأثر/ تحقيق: صدقي جميل العطار/ دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع/ بيروت- لبنان/1429 هـ، 2008م.

79 فرح جبرائيل/ مريم أم المسيح/ الطبعة 2/ منشورات المكتبة البوليسية/ بيروت/ 1970.

80 فضل حسن عباس/ القصص القرآني/ إيحاؤه ونفحاته/ الجزائر/ شركة الشّهاب/ 1989.

81 فلادمير بروب، مورفولوجية الخرافة/ ترجمة إبراهيم الخطيب/ الشركة المغربية للناشرين المتحدين/ الطبعة الأولى/ المغرب 1986م.

82 قاموس الكتاب المقدس/ تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين/ هيئة التحرير/ د. بطرس عبد المالك/ د. جون الكساندر طمسن / أ. إبراهيم مطر/ من منشورات مكتبة المشعل في بيروت بإشراف رابطة كنائس الإنجيلية في الشّرق الأوسط/ الطبعة السادسة/

1971م.

83 الكتاب المقدس: الإنجيل .

84 الكتاب المقدس: التوراة

85 كرم البستاني/ سلطانة العذارى/ المطبعة الكاثوليكية/ بيروت/ 1959م.

86 كرمو كوركيس/ قصة مريم العذراء وسيرة ربنا على الأرض حسب التقليد /ترجمة: مانويل بوجي/ مؤسسة أورنيت/ الولايات المتحدة الأمريكية/ متشكن/ و.م.أ1986 م.

87 كساب حنايا/ مجموعة الشرع الكنسي/ الطبعة 1/ دار النور/ بيروت/ 1975م.

89 كيرلس بسترس/اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر–مريم العذراء/الطبعة 1/ المكتبة البولسية/بيروت/د.ت.

90 لجنة من اللاهوتيين بموافقة الخور أسقف بولس باسم/ مدخل إلى العهد الجديد/ القدس/ الطبعة السادسة عشر/دار المشرق/بيروت/ 1989.

91 لخضر شايب/ قصة الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية/ دراسة دينية منهجية مقارنة/الطبعة الأولى/مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر/ بيروت/ لبنان/1421هـ- 2001م.

92 ماكس توريان/ مريم أمّ الرب ورمز الكنيسة/ ترجمة خليل رستم/ الطبعة 2/ دار المشرق/ بيروت/ 1992م.

93 مأمون فريز جرار/ لمسات قدرية في سورة يوسف ودراسات قرآنية/ دار المأمون للنشر والتوزيع/ عمان- الأردن/ 1429 ه-2009م.

94 مجموعة من اللاهوتيين/السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم/ الجزء الأول/صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى/ بيروت/ 1973م.

95 مجموعة من المؤلفين/أعمال المجمع الفاتيكان الثاني المسكوني – ترجمة: المسرة/ المطبعة البولسية/ بيروت / 1966.

96 مجموعة من المؤلفين: الرؤية الأرثودكسية لوالدة الإله/مطبعة النور/بيروت/ 1983.

97 محمد ابن إسحاق/ المبتدأ في قصص الأنبياء/جمع وتوثيق محمد كريم الكواز/الطبعة الأولى/الانتصار العربي/ بيروت/ 2006م.

98 محمد أبو زهرة/ محاضرات في النصرانية/الطبعة الثانية/دار الفكر العربي/ القاهرة/1381هـ- 1966م.

99 محمد أبو زهرة/ مقارنات الأديان: الديانات القديمة/ دار الفكر العربي/ القاهرة/1385 ه- 1965م.

100 محمد أحمد العمادي أبو السعود/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ دار إحياء/ الجزء 2/التراث العربي/ بيروت/ 1970م.

101 محمد أخلف خلف الله، الفنّ القصصي في القرآن الكريم / الطّبعة الرابعة /مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة، /1972م.

102 محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ الجزء الرابع/الطبعة الأولى/ عالم الفوائد/ مكة المكرمة/ 2004م.

103 محمد الحجار/من قصص التنزيل/الطبعة 1/دار البشائر الإسلامية/ بيروت/د.ت.

104 محمد الزحيلي/ د. يوسف العش: تاريخ الأديان/ الطبعة الأولى/جامعة دمشق/ 1998م.

105 محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير/ الجزء 22/دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس/1997م.

106 محمد باقر المجلسي/بحار الأنوار/ الجزء 14/الطبعة 3/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ 1983م

107 محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي أحمد الشهرستاني: الملل والنحل/ الجزء الأوّل/ مكتبة السلام العالمية- القاهرة/د.ت.

108 محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم/ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان /دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ 2004م.

109 محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم/ زاد المسير في علم التفسير/الجزء

الأول/الطبعة الثالثة/المكتب الإسلامي/ بيروت/1984م.

110 محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم/ زاد الميعاد في هدي خير العباد/ تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط/الجزء الأول/ الطبعة 15/نشر مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت/ توزيع دار الريان للتراث/ 1407 ه– 1987م.

111 محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ الجزء 11/المجلد السادس/ دار الكتب العلمية/ بيروت/د.ت.

112 محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي/صحيح البخاري الجامع الصحيح المسند المختصر من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ الطبعة 1/ المجلد أ/ دار الجبل/ بيروت/ 2005م.

113 محمد بن جرير الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الأول/ الطبعة 3/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1991م.

114 محمد بن جرير الطبري/ تفسير الطبري –جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ حققه وخرج أحاديثه: محمود محمد شاكر / المجلد12/ دار المعارف – مصر/ 664م–310هـ.

115 محمد ابن جرير الطبري/ جامع البيان في تفسير القرآن/ الجزء 12/ المطبعة اليمنية بمصر.

116 محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير/تحقيق عبد الرزاق المهدي/ الطبعة 1/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ 1999م.

117 محمد بن عيسى الترمذي/سنن الترمذي/ الطبعة 2/ دار الفكر/ بيروت/1983م.

118 محمد بن محمد بن أبي شهبة/ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف/ 1404 ه– 1984م.

119 محمد بن محمد بن أبي شهبة/ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة /دراسة محررة جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث/ دار القلم– دمشق– بيروت/ 1409 ه– 1988م.

120 محمد بن يوسف الأندلسي أبو حيان/ تفسير البحر المحيط/تحقيق:عادل عبد الموجود وآخرون/الجزء

2و 6/ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية /بيروت/1993م.

121 محمد جمال الدين القاسمي/ محاسن التأويل/ الجزء 14// الطبعة الثانية/دار الفكر– بيروت 1398 ه– 1978م.

122 محمد جمال الدين القاسمي/ محاسن التأويل/تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ الطبعة الأولى/ مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت/ 1994م.

123 محمد حسين الذهبي/ الإسرائيليات في التفسير والحديث/سلسلة مجمع البحوث الإسلامية/ 1407 ه– 1987م.

124 محمد حسين نجيب/ حياة السيد المسيح في القرآن الكريم/ الطبعة الأولى/ دار الهادي/ بيروت/2002م,

125 محمد خليفة حسن أحمد/علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية)– دار الثقافة للنشر والتوزيع– مصر/ 1988م.

126 محمد خليفة حسن أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة/ دار الثقافة للنشر والتوزيع– مصر/ 1985م.

127 محمد طول/ البنية السردية في القصص القرآني/ديوان المطبوعات الجامعية/ الجزائر/11/1997

128 محمد عبد الله ابن العربي/ أحكام القرآن/تحقيق عبد الرزاق المهدي/الطبعة الأولى/المجلد الرابع/دار الكتاب العربي/ بيروت 2000م.

129 محمد عبد الله الشرقاوي/ في مقارنة الأديان (بحوث ودراسات)/ الطبعة الثانية /دار الجيل/ بيروت/ 1410هـ–1990م.

130 أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني/ النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات / تحقيق عبد الفتاح الحلو – محمد الأمين بوخبرة / الطبعة الأولى/ دار الغرب الإسلامي/ 1999م

131 محمد عبده/ الأعمال الكاملة /تحقيق: محمد عمارة/الجزء 5/ دار الشروق/ القاهرة/ د.ت.

132 محمد عزت الطهطاوي/محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن/ مكتبة النور – مصر الجديدة/ 1986م.

133 محمد علي الصابوني/ النبوة والأنبياء/ دار الهدى للطّباعة والنشر والتوزيع/ الجزائر.

134 محمد علي الصابوني/ صفوة التفاسير/ المجلد الثالث/دار القرآن الكريم/بيروت/الطبعة الثانية/1401 ه/1981م.

135 محمد علي الصابوني/ مختصر تفسير ابن كثير/ المجلد الأول/ الطبعة السابعة/ دار القرآن الكريم/ بيروت/ 1402 ه/ 1981م.

136 محمد فخر الدين بن ضياء بن عمر الرازي/ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/الجزء 8 و21 /المجلد 11 و16 /الطبعة الأولى/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت/ 1981م,

137 محمد كامل حسن المحامي/ إبراهيم الخليل/ منشورات المكتب العالمي/ بيروت للطباعة والنشر.

138 محمد متولي الشعراوي/ مريم والمسيح/ إعداد عبد القادر أحمد عطا/ دار الشهاب للطّباعة والنشر/ باتنة/ الجزائر/ 1987م.

139 محمد متولي الشعراوي/ مريم والمسيح/ تحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة / مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة/د.ت.

140 محمد ناصر/ الشعر الجزائري الحديث/ اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) / الطبعة الأولى / دار الغرب الإسلامي/ بيروت– لبنان / 1985م.

141 محمود المصري أبو عمار/ يوسف الأحلام قصة يوسف –عليه السلام–/ الطبعة الأولى / مكتبة الصفا/ 1429 ه– 2008م.

142 محمود بن عبد الله الحسين الألوسي/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثماني/تحقيق:محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي/ الجزء 23/الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ 1999م.

143 محمود بن عمر الزمخشري/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/الجزء 2/ الطبعة 1/دار الفكر بيروت/1977.

144 محمود تيمور/ فنّ القصص/ مطبعة دار الهلال/ مصر 1948م

145 محمود شلبي/ حياة مريم/ الطبعة 1/دار الجيل/بيروت/د.ت.

146 محمود عبد الحليم/ في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل/ الطبعة 2/ دار المعارف/ د.ت.

147 مسلم بن حجاج/ صحيح مسلم/ تحقيق: نظر بن محمد الفاربابي أبو قتيبة/ الجزء التاسع/الطبعة الأولى/ دار طيبة للنشر/ 1427 ه-2006م.

148 مصطفى حلمي/الإسلام والأديان -دراسة مقارنة/الطبعة الأولى/دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع/الإسكندرية- مصر/1411هـ- 1990م.

149 موريس بوكاي/التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث فرنسا/ 1977م/ ترجمة: علي الجوهري/ مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع/1977.

150 المعجم الوسيط/مجموعة من المؤلفين/ تحقيق مجمع اللغة العربية.

151 المنجد في اللغة والأعلام/ الطبعة 28/ دار المشرق/ بيروت.

152 موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم / الترجمة للعربية دار المعارف بمصر/ 1987م.

153 ابن منظور المصري/ لسان العرب المحيط / إعادة بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة: يوسف خياط/ المجلّد الثالث/ دار لسان العرب/ عين رمانة/ لبنان.

154 ابن منظور المصري/ لسان العرب/ الجزء السابع/ دار بيروت للطّباعة والنّشر/ 1388 ه/ 1968م

155 ابن منظور المصري/ لسان العرب/المجلّد 14/الطلعة 2/ دار صادر/ بيروت/ 1960م.

156 نبيلة إبراهيم/ أشكال التّعبير الشعبي/ دار النهضة، مصر/ القاهرة/ د.ت.

157 نهاد خياطة/ الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام/ الطبعة1/ دار الأوائل/ دمشق/ 2002.

158 نهى النجار/ الديانة المسيحية/ الطبعة 1/دار الفكر اللبناني/بيروت/1995م.

159 يحيى بن زياد الفراء/ معاني القرآن/ الجزء 2/الطبعة 3/ عالم الكتب/ بيروت/ 1983م.

ك ذ ز ئ ك ك ج ئ ل ع ب

1. أحمد طالب/ بناء الشخصية والزمان والمكان في القصّة الجزائرية القصيرة/ رسالة دكتوراه / 1999/1998.
2. عبد القادر خليفي/ القصص الشعبي في منطقة عين الصفراء/ رسالة ماجستير/ 1991/1990.
3. فتيحة بلحاجي /قصة النبي اسماعيل –عليه السلام– بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي–دراسة موازنة–/رسالة ماجستير /2003–2004م.

1. عبد القادر قروش/ الأدب شعبيا –إشكالية اصطلاح– مجلة الثقافة الشعبية/ العدد الأول/ السداسي الأوّل/ 1994.
2. عبد الرزاق السيد عيد/ وقفات القصة في كتاب الله/ يوسف عليه السلام في بيت العزيز/ مجلة التوحيد / العدد الأول/ السنة السابعة والعشرون.

1. البابا شنودة الثالث/ ألقاب العذراء/ كنيسة القديس مرقس/ 06 تشرين الأول/ 2010.
2. مقال في الإنترنت بعنوان: مفهوم مقارنة الأديان: www.moqatil.com
3. بشير كردوسي: مدخل إلى علم مقارنة الأديان: جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة/ الجزائر. www.Anfasse.org
4. بنيامين فريدمان/يهود اليوم ليسوا يهودا/ترجمة:زهدي الفاتح. www.diwane olarab.com.
5. مقال حول قصة يوسف ما بين القرآن والتوراة/ والأساطير المصرية: www.tabeene.com
6. مقالة/حسين الهاشمي الحسيني/الالتقاء والافتراق بين قصص القرآن والتوراة/ HTTP.www. alhadeeth.com.
7. مقالة في الإنترنت/من التشابه بين التوراة والقرآن/ قصّة يوسف عليه السلام/المنتدى الإسلامي/ .http//wwwAS7pcool.com.
8. نوبرت المريمي /(1985) مريم وكهنوتها/ ترجمة جرجس المارديني/ منشورات الرابطة الكهنوتية/ د.ت.

لائحة المصادر والمراجع

1. www.RUOWAA.com
2. www.diwanolarab.com

مقال للبنيامين فريدمان/يهود اليوم ليسوا يهودا

3. www.moqatil.com

مقال في الإنترنت بعنوان: مفهوم مقارنة الأديان

4. www.Anfasse.org

مقالة من الإنترنت: د. بشير كردوسي: مدخل إلى علم مقارنة الأديان

5. www.neelwafurat.com/ intenqoge…books
6. www.quran 4 V.net.youcef.aspx.Egypt\

قصة يوسف عليه السلام

7. www. waqufeya.com/book

عزام حدبا/ يوسف أيها الصديق أفتنا/ قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة– دراسة مقارنة أدبية.

8. www.tabeene.com/page/featured/index.h e

مقال حول قصة يوسف ما بين القرآن والتوراة/ والأساطير المصرية:

9. www.Reshafilm.org.il/ad/egypt

حكايات مصرية قديمة.

10. www.cb.Rayaheen.net/Showthread.Php

القصة التوراتية

11. www. alhadeeth.com

مقالة لحسين الهاشمي الحسيني بعنوان: الالتقاء والافتراق بين قصص القرآن والتوراة

12. http//new.naseej.com /Detail.asp
13. http//wwwAS7pcool.com

مقالة في الإنترنت بعنوان: من التشابه بين التوراة والقرآن/ قصّة يوسف (المنتدى الإسلامي)

14. http:// www. Ebnmaryam.com/Asateer. asateer.HTM

دانيال باسوك / أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها على المسيحية/ ترجمة وتعليق سعد رستم/ 1993م

15. http://ST-Takla.ORg/COPTIC.CHURCH-1-HTM1

http://www.geocities.com/ derelmalakgabrie 1/ jessusbothers.HTM

موقع الكنيسة الأثودكسية القبطية المصرية.

16. WWW.aqaed.com/book/546/lohot-07 htm

محمد حسين نجيب/ حياة السيد المسيح في القرآن الكريم

علي الشيخ لاهوت/ المسيح في المسيحية والإسلام.

قائمة المصادر والمراجع:

1 A. Lalande, le vocabulaire technique et critique de la philosophie P.U.F. Paris, 1968

2 Alfred Loisy : leçon d'ouverture du cours d'histoire des religions au collège de France, Emile nourry, Paris

3 Sous la direction de François Boespflug et Françoise Dumand, le comparatisme en histoire des religions, les éditions des cerfs, Paris, 1979.

4 Guy Monnot, Islam et religions, Editions Maisonneuve et Larose, Paris 1986.

5 Hansch Weiser : Le grand atlas des religions, éditions du cerfs, Paris, 1997

6 Louis Frey : Analyse ordinale des évangiles synoptiques éditions Gautier villaren, éditions Mouton et cie, France , 1972.

7 Sous la direction de Maurice Brillant et René Aigrain, Histoire de religions, Tome 01/Bloudet gay/ France.

8 Paul Poupard, les religions, collections que sais-je, editions .P.U.F. Paris, 1979.

9 René Girard ; La violence et le sacré : éditeur : Hachette pluriel Référence/ collection pluriel, N° 897/ Juillet 2011.

10 Sous la direction de René Latourelle et Rino Fisichella, Dictionnaire de théologie fondamentale/Edition Française dirigée par René Latourelle, éditions Bellarmine (Montréal) édition du cerf, Paris.

11 Tzvetan Todorov : poétique de la prose. Nouvelles recherches sur le récit. Editions du seuil: 1971-1978.

الملاحق

ط ك ك خ 1:

ف ش ب ط ك م ا ى ؤ ز ل ئ ع ك - ع ى ن ط ك ز ا إ ل - ط ك س ع ي ء

نستغفر قبل ما نقول	*	ـنظم في نهار و ليل
على ـمديرة الرسول	*	إبراهيم الخليل
ـأتاه ملاك ـفي لمنام	*	قللوا ابنك ضحيه
سبقت عليه السلام	*	و طار للنوم عليه
ـثلث ليالي بالكمال	*	و هو ـيوقف عليه
ضحي ابنك الغزال	*	الله طلب عليه
بالرؤيا صدق الرسول	*	ـقال ـلطاعة ـليه
دمعوا سايل لا ـيزول	*	على اللي عزيز عليه
الصباح كيف زيق الفجر	*	عيط لإسماعيل
ابنو فر من الحجر	*	ـمتاع أمّو لحنين
خرج الرسول للفضا	*	ـتم ارفد عينيه
ـقال الصبر للقضا	*	رغما ـننضحيه
نشف دموع الشقا	*	و ارجع لاسماعيل
لقا ـلزوجة معنقا	*	وليدها ـلحنين
رمى يذّو على الغلام	*	واعطى روحو ـليه
قال ـللزوجة ـبالبسام	*	ـنروح نحوس ـبيه
قالت اصبر ـيا رسول	*	ـنروح ـللنقيه
نبدلوا دوك ـللدلول	*	وللتّوب للّي ـيولتيه
أمّو ـماهيش عالما	*	ـفأين رايح ـبيه
فرحانة بيه سالمة	*	ـلتهلالي ـفيه

اخرج و سار من الخيام * و لّمو تبّع ـفيه
تبعتّوا وـتزيد في السلام * ـلوليدهاـلفريد
إبرلهيم زليدـفي الخلا * و لبنوـيتبعـفيه
يسمع للطّيرـفي العلا * ـقال راحـيضحيه
إسماعيل خافـمن البلا * ـقللوـيا رسول
اسمع للطيرـفي العلا * آش راه ـيقول؟
قللّواـيا بني لعزيز * رانيـنسمع فيه
ـهداك ـلبليس النحيس * لعن الله عليه
لمّا وصلّوا للجبل * عليه السلام
قلبوا بالحرقة ـفشل * عيطـيا رحمان
سلّم عليهـمن الجبين * دمعوا فضح بيه
قللوا يا ـلبوياـلحنين * ماـبكاك حزين؟
ـقللوا يا كبدي الغلام * الله اطلب عليك
أتانيـملاكـفي المنام * واطلبـنضحيك
قللّوا الطاعة يا رسول * لّمي اعلمها
لاش ياـبوياـما تقول * ـنشبعـمنها
عنّق ابنوـبالغزر * ملني عـلمها
الله يلتينا ـللصبر * هوـيعلمها
اركعـباسوـمن الجبين * رفدواـقبّلـبيه
ارميـيدو على السكين * رليح يضحيه
قللوا ارفد الكموم * و طم أجـلالك
ـلتطرشـبالدموم * لّمي تفطنـبيك
لمّا جا ـيجري عليه * ملاك ـلنزلـقفاه

قال اعتق ما بين يدّيك * احكم آش وراك

قال يا إبراهيم الخليل * اعتق اسماعيل

ما كان مثلك قليل * من الصادقين

الله يرزقنا الصبر * لينا أجمعين

كما رزق شامخ للقدر * أب للمرسلين

على ابنو لحنين

آخر ما نطق به: عاش قليل ومشى.

طلق لكحق 2:

طلق شدبطك سعيلي بلكي هز ـــ –عكي نطك زغلال–

معطل عاخطك لكحق

أصلاة على محمد شارق لنوار عداد ما فكون دنيا و سكانها

والرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة و ولادها

بسم الله ندا فلقول يا خضار خذو هاذ لقصة نعيد خبارها

الحديث موجود في كتاب لجبار في سورة سيدنا يوسف يا ناس قريتها

نبدا بيعقوب هجر على خوه من الدار و مشا لفلسطين عند خالتو زارها

رحبت بيه خالتو لبدون غيار حتى كبر وتزوج برحيل بنتها

للرحيل زيدت بيوسف يا حضار يعقوب غايب فالشام يتاجر فسواقها

مهاجر على بيتو ما عندوش خبار ما علم فداك ليوم نهار نفاسها

حتى نزل سيدنا جبريل بإذن لقهار قللو زوجتك بصبي الله عناها

سمّاه لله يوسف جيتك بشّار وللزين السماوات ليه و هبها

سيدنا يعقوب حمد وشكر مولانا لجبار ورجع فرحان لزوجتو هنالها

متمتع بزين يوسف ليل ونهار دعا الله يمنعو ملمحان وشقلها

عام من بعد زاد بنمامين خوه يا حضار فرحت بيه الراحيل و فرح زوجها

يوسف بلغ ست سين في لعمار توفاة الراحيل يماه ونتهات يامها

حزن سيدنا يعقوب ودموعو تسيل كلمطار و دعا الله في دار النعيم يسكنها

يعقوب ماقدر يقوم بليتلمى حار صاب مرا من أرض كنعان وخذلها

قالها نتهلايلي فهاذا ليتلمى صغار حشمها بالله وبيهم كلفها

سيدنا يوسف بلغ طناش لعام كبر و شطار شاف حداش لكوكب الشمس و قمارها

فلمنام ليه ساجدين و راكعين للمسرار قصد باباه عن ديك الرؤيا عادها

قالو يا وليدي بالاك تبوح بالأسرار عداد مافكون الدنيا وسكانها

والرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة و ولادها

سمعو خاوتو بلمنام وخذاو عليه قرار عزمو يفنو هكذا لأمر ينتها

صابوا حرفة لبابلهم وقللو بتنكار يوسف ندوه ونعلموه صياد وحكامها

قلهم خايف ياكلو ديب لغابة ألمشرار و ترجعو بلا بيه كيتو ما ننسلها

قالولو يا بابانا ما تخلفش ملخطار لازم عليه أمر صيادا يقرلها

يا بابا حشمناك بالله مولانا لقهار نضمنوه و حيلتو ملبلا نحموها

قالهم خذوه وعليه خلو مليح لبصار خايف من غدر ديك صيادا وخطارها

ركبو على لخيول ومعاهم يوسف لمسرار فطريق تافقو عليه باش أمرو ينتها

منين وصلو للغابة و بعدو عن للدار سوادت قلوب خاوتو وقوات حماقها

قالولو ـنزل نفنوك و نرموك للقطار ترتاح قلوبنا ـمن لغيرة ومحانها

ربطوه ويعذبو فيه و يضربوه بلحجار رماوه في بير و قلو لموت تم تلقاها

ولاو خاوتو ليعقوب باكيين بلجهار وقالولويابابانا خبار يوسف كيف نعيدوها

كلاه ديب لغلبة وهرب بين لسجار خلا غيل قمجتو ليك جبنلها

باش تكون ليك دليل ليه ـماذا صار سهينا على يوسف ووصايتك نسيناها

تغاشا يعقوب وبدا ينوح ودموعو غزار غرق خيالو و حياتو للحزن فنلها

لقوت من فراق وليدو يوسف رجعلو مرار و عيونو ـمن لبكا الظلام كسلها

يوسف قعد فلبير تلت ليللي و نهار وفي رابع جازت لقافلة بخيولها

شافو لبير و ـقللو نرتاحو ملسفار هادي أرض الله نشربو من ـملها

رماو الدلو يطلعو ألما ـبلا غيار طلعو الدلو يوسف معلق فيها

سبحان الله ـللذي لا تخفاه سرار نجا يوسف من لموت وحياتو حملها

أصلاة على محمد شارق ـلنوار عداد ـما فكون الدّنيا و سكانها

والرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة وولادها

دهشو حين ظهر يوسف لمسرار قالولو حنا سلكناك من لبير وغماقها

نديوك للماصر ونبيعوك بالدينار والاّ بشدرهم إذا كونت تسولها

وصلو للماصر و فالسوق برحو بلجهار شراه لعزيز و القفلة سرت ـفي حالها

بثمن رخيص خلصوه وداه للدار رايس لوزارة في ماصر وحكامها

قال لزوجتو لغلام شريتو هاذ نهار أمريه وشروطك لازم عليه يلبيها

فرحت زوليخة زوجة لعزيز يا حضار زين وجمال يوسف في دهشة خلاها

قعد يوسف خديم ليهم بدون شعار حتى بلغ خمسة وعشرين عام بتمامها

زين يوسف قوا و يسلب جميع الأنظار سلب مرت لعزيز و نساها في شغالها

جالسة قدامو وتراقب فيه طول نهار تكلمو بلمعاني وتعبرلو بشواقها

حتى وصلت وين غولها بليس لغدار بلفحش و لمنكر على يوسف أمرها

سيدنا يوسف لعن بليس لمشرار تبت زوليخة على فعالها ونهلها

من لحشمة وجه يوسف أدبال وصفار خايف من الله ولفضيحة و خلاصها

حب يخرج ملنع و فلتح باب للدار شدتو من لخلف و قماجتو قطعتها

حين خرج من لباب وهارب من لعار يوسف صاب قدامو لوزير زوجها

قالت زوليخة هاد للراجل غدار راد يلعب بشرافي و حيلتي حطمها

قال يوسف نقسم بالله مولانا لقهار أنا برئ من زوجتك و خطيانها

لوزير توسوس وركبو الشكّ و حار قال نشوف لحكيم على زوجتك وقضاها

قال جيبو لي يوسف فلحين كان حضار لقمجة مقطعة من لخلف لحكيم شافها

قال لحكيم للوزير خوذ هاد لخبار هادا دليل لقضية وقرارها

يوسف كان هارب من للبلاد من للدار و زوجتك مسكاتو من لقمجة قطعتها

أصلاة على محمد شارق لنوار عداد ما فكون الدنيا و سكانها

والرضا على بوبكر والسيّد عمار عثمان وعلي و فاطمة و ولادها

راه برئ من عمالو ما عمل حتى عار زوجتك هي الظالمة وبليس سبابها

داك للزوج راح لعند يوسف هدار كتم سر زوليخة بالاك تفضحها

و راح لزوجتو قالها ادعي بستغفار ونبها على ذاك الذنب وخطيانها

انكشف داك السرّ و شاعت لخبار نفضحت زوليخة بين أهلها وناسها

لخديمة خبرت زوليخة وقالت ماذا صار الناس رلهي كثرت عليك حديثها

النسوان قالوا عليك هادا عيب وعار كيف مرت لوزير تعشق في خديمها

قللت زوليخا للنسا آه يا حبّار الليلة يلزم تجي لبتي و نشوفها

ونعيدلها سبتي في عشق لخمار ومحبتي ليوسف ما لقيتش حدودها

حضرو ليها نسوان شلبات وصغار قالوا نحشمو زوليخة و نكسفوها

رحبت بنسا بلكرامة و لعتبار ولحقد ملك قلب زوليخة فنلها

ومن بعد ما كرمتهم بالطعام و لأثمار قالت خذو التفاح ريحتو يا محلاها

قالت النسا كيف ناكلو التفاح بلا تقشار عطات زوليخة لمواس قاطعين لضيافها

آمرت يوسف وقالت ادخل يا مسرار دخول يوسف باهي بلبسة يا محلاها

دهشو حين شافوا داك للزين السحّار قطعو يديهم وديك الفاكية نساوها

قللت زوليخة آه يا عذرات لحبار انظروا ماجرا بيديكم للدم كسلها

عليه قطعتو لحمكم وما جبتو خبار ونتوم لمتو زوليخة كبليس غواها

قللوا سبحان الله على دا الزين السحار هادا ملاك جا من لجنة ورياضها

النسوان قللوا لزوليخة آميا ستار أنت ما عليك لوم واحنا قلوبنا سباها

نطقوا النسوان ليوسف وقالوا بلجهارو ين تعدّي حيلتك حنليا معلها

نهجرو معاك يا لو فلبر ولبحار نفدو ليك حياتنا وأنت مولاها

أصلاة على محمد شارق لنوار عداد ما فكون الدنيا وسكانها

والرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي و فاطمة و ولادها

قالت زوليخة ليوسف آه يا مسرار تدخول السجن و إلّا النسا تعيش معاها

قال يوسف السجن هو لنختار ياك الأنبيا محال تعصي مولاها

قللت زوليخة للعزيز خوذ قرار آسجن يوسف و لعضرات تبرا منهوالها

حتى ننساوه لكول وتزول لضرار ويكف علينا لملام و يزول حديثها

سجنو سيدنا يوسف و داروه في حصار زين يوسف نوّر السّجن من ظلامها

صبحت زوليخة تخمم عليه ليل ونهار ما ذوق قوت ولا شراب نفقد نومها

باكية عليه ودموعها تسيل كلمطار لونها دبال و صفار طالت حزانها

فالسجن يوسف حمد مولانا الستار كنجا من دوك النسا و عمالها

يوسف يدعي فلمسجونين بستغفار ويقول ديرو التقة فالله لا تنساوها

صبحت عندو معجزة من عند مولانا لجبار في تفسير لمنلمات ومعانيها

في ذاك السجن دخلو ليه زوج رجال كبار خدامين السلطان في ماكلتو و شرابها

واحد منهم خبازـنام فوق راسو لطيار ياكلوـفلخبز وتغذي فنفسها

والثاني الساقي شاف لخمر فيدو عصار جا ليه السلطان بداتو بشره بسقاها

لتنين حتو يوسف بلي جرا وصار قالوـلو فسرنا الرؤيا آش حسابها

قال يا صحلبي خذوا التفسير و لخيار ـهادي لُمور لله لازم ترضاوها

قال لساقي ربّي يرزقكـبا خمار تنجا و ترجعلك السلطة و حكامها

و قال للخباز لُأنت راد عليك القهّار مكتوب عليك تموت ـهادا هو حسابها

يوسفـقال للساقي نرسلك بشار * ولعند لإمام وعند الملك دي لخبار وعيدها

قولو راه موجود واحد باري من لعار متهوم ومنسي فالسجن و ظلامها

قللو إذا نجيت وطللتـلي لعمار غير نوصل لسلطان حكايتك نعيدها

شارعو دوك زوج وخذوا عليهمـقرار سرحو الساقي و قتلو لخباز بحكامها

والساقي ولى للسلطان و نسى لخبار تركو فالسجن وحياة يوسف خلاها

قاعد منسي وحداني حد ما جبلو لخبار ست سنين بلعدادـفالسجن عدها

حتى انزل سيدنا جبريل و عليه كانلو بشار قالوعنقريب تخرج من السّجن وحصارها

السلطان ماصر شاف الرؤيا عقلو حار واد النيل لكول ناشفـمن ـمحانها

خرجو من داك لواد الناشف سبع بقار مالكين من لقوة والصحة بكمالها

وخرجو من داك لواد الناشف سبع بقار لكول ضعاف منلجوع و ضعاف منجسادها

دوك لضعاف من لجوع ياكلو فلكبار تقطع في لحمهم و تشرب من دمها

والسلطان في منامو فازع بلي جرا وصار * دهشان كيف ضعاف تاكل فسمان و لحومها

ونبت في داك النيل سبع سنابل خضار و سبع سنابل يابسة جات و كلاتها

استيقظ المليك من داك للنوم حار و يقول آش حكاية الرؤيا وحكامها

لم جميع المفسرين كبار و صغار ولم جميع لعلما ولفقها

دار ليهم حضرا و قالهم خوذو هاد لخبار عاد ليهم لمنام و قالهم فسروها

حاروا في داك المنام دوك لحضار حد ما عرف يفسّر آش معناها

أصلاة على محمد شارق لنوار عداد ما فكون الدنيا وسكانها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة وولادها

أساقي جا فبالو يوسف تنكار قال للسلطان كاين من يعرفلها

وصاني عليك ونسيتو ما نلت فكار باري من عمالو مرمي فالسجن وهوالها

غير هو من ينجم يكون ليك عبار ناديه وتشوف كيف منامك يفسرها

أسّلطان قالو حتى منامي غاب طار نسيت كل ماريتو كيف يعيدها

لكن روح سال عليه وشوفو هاد نهار وقضايتو ليوم يلزم يتم حسابها

داك الساقي زار يوسف واطلب عذار قالو اسمع لي وصايتك مدة نسيتها

حتى ليوم جيت في بالي وجبتني فلفكار لأنّ الملك وحد للرؤيا نامها

حد ما نجم في داك لمنام يأتيه بخبار وراهي غابت من عقلو لكول نساها

فكرو سيدنا يوسف في ماذا نام دهش وحار وراح يجري للسلطان ودالو خبارها

ـتعجب ـلسلطان ـبدوك لخبار حكم جميع ـلوزرا ـليه رسلها

راحو باش يجيبوه في لقصر يكون حضار دخلو ليه ما بغى يوسف يخرج منها

قال ليهم روحو للسلطان ودولو هاد لخبار أنا ـبريء ويلزم نظهّر حقها

حين ظهّر برءتو للناس الحضار وقدام النسوان ـمن قطعت يدها

قللت زوليخة ـأنا سبابو ـفي دلغدار لأن ظهر ـلحق ـأنا ـما حملتها

خرج من السجن وصحابو باكيين جهار ودعا الله الغللي ـيعتق ـقلوبها

عطاوه ثياب لبسو و زهالهم لبصار قالو هادا من السلطان ليك ـهدلها

مشات وبين يديه دوك ـلوزارة كبار حتى لحق للقصر ودخل بيبانها

ستقبل بيه السلطان دهش في زينو حار وقال ما عليهم لومدوك نسوان من قطعت يدها

منين جيت نتايا الزين ـيا بلهي لنظار قالو من أرض فلسطين لباهية بجمالها

أنا بن يعقوب واسحاق و لخليل الله لقهار السلطان قالو آش رايك في منامي نسيتها

قالو ريت واد النيل ـناشف وسبع بقار ضعاف ياكلو فسمان تشرب من دمها

وريت سبع سنابل لكحول خضار وسبع سنابل يابسة جات وكلاتها

دهش السلطان وقالو كيف جاك هاد لخبار كيف علمت بالرؤيا قللو وين شفتها

قالو سيدنا يوسف هادا وحي نزل منعند لقهار سيدنا جبريل فالسجن ـلي عادها

السلطان تقدم ليه وجهو دبال وصفار وقالو آش رايك في منامي وحديثها

قالو خوذ ـهاد التفسير و خوذ لعبار لأنّ لله الغللي ـنبهك لا تنسلها

أصـلاة على محمد شارق ـلنوار عداد ـما فكون الدنيا وسكانها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة وولادها

بعض ـيام يجوك سبع سنين غير بشار لخير يملا ـبلادك و يكفي ناسها

من بعد يجوك سبع سنين لكول شرار لجفاف يضيّع ناسك ويحطّم سكانها

لوما دير حسابك ـمليح داك نهار تموت أنت وناسك و جيوشك بكمالها

انخلع السلطان وقال ليوسف كون لي دبار آش حل لقضية كيف سلاكها

قالو ـلم جميع للناس كبار وصغار من ليوم يبداو يحرتو فلأرض وقطارها

يلزم تجعل عساس ويراقب فيهم ليل ونهار على خير لبلاد وخزينة مالها

قللوا السلطان بالله عليك ـيا بشار طيع أمري بغيت نجعلك مسؤولها

طاع لأمر سيدنا يوسف لحين خذا قرار لم رجال و تبعتهم حتى نسوانها

ـيحرتو ـفديك لأرض ليالي ونهار ما ظهر عليهم تعب ماحسّو بشقاها

حين كلمو ألكول بناو مخازين كبار السلطان ستعجب فيعمال يوسف كشافها

ستدعاه و اقلوا راني خديت عليك ـقرار عوضتك بمكان لعزيز تاخذها

لأنّ ـلعزيز صبح شيخ ـبلا خيار في مكانو تسيّر لبلاد و حكامها

يوسف حمد وشكار ـمولانا ـلجبار كصبح رايس لوزارة و مخازنها

تلث شهور بعد ـمات لعزيز ـيا حضار راد الله يفارق زوليخة و جمالها

ـبداو يدخلو عوام الخير ـبلا تخبار حصدو زرع وفي مخازن كبار خباوها

سبع سنين بالتمام جازو ـبلا ضرار للناس متمتعا و فارحا بحياتها

لحقو سنين الشّ ـر خرجو ألكول من ديار كبار و صغار هايمة مللقاتش قوتها

يوسف حل بيبان دوك لمخازن لكبار خرّج دوك لخيرات و ـيوزّع فيها

حتى حد ما ضاع من دوك لمدون و لدشار الناس لكئول فرحت ليوسف و عمالها

سيدنا يوسف شاف زوليخة معمية ملبصار لغلام صغير شاد يدها و يمشي فيها

أصلاة على محمد شارق ـلنوار عداد ما فكون الدنيا و سكلنها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة و ولادها

ـيوسف راح و حيلها بسلام لجبار ردت السلام عليه و ـبدا يحدثها

آش جرا ليك ـلونك دبال وصفار قالت أنت سباب هولي وشقلها

غير إذا صبحت زوجة لعندك فللدار باش يكفو حزلني و كيت ضرارها

كيف تصبحي زوجتي و نت سبقتني للعار تهمتني ورميتيني فبواب سجانها

وين جمللك ـيا زوليخة غاب وطار صبحت عجوزة و عميا قوليكيف حلها

أنزل جبريل سيدنا يوسف وقالوا ـيا صبار ربّ الغللي راه أمرك ـبزواجها

سيدنا يوسف ـتزوج بها وبرات ملبصار وزالو عليها ألمحان وعدات لجمالها

خاوت سيدنا يوسف عشرا للماصر جاو زيار طالبين من حكام ديك لبلاد قوتها

شافهم سيدنا يوسف عرفهم ـبدون تنكار وهم ناسيينو غاب لكول من بالها

نادى يوسف وقال لخاوتو ـيا حرار آش جابكم لماصر واش تحتاجو منها

ـقللو لو بالله عليك يا ـللزين لخمار طامعين تعطونا لقوت لبلادنا ندوها

جينا منـبلاد فلسطين أهلـلحرار في حداش خاوا قاصدين ماصر ووطانها

قالهم ـماني شوف إلاّ عشرا بلبصارقالو لو كنا طناش وانهلك واحد فيها

ولاخر عند بابلنا حارص عليه ـما لأخطار خايف من الديب ياكلو وحيلتو يفنيها

كما وقع لخوه يوسف وحنيا صغار كلاه الديب وبقات قمجتو بالدم عليها

قالهم رلكم تقولو كما خومـيا كبار ونتوم آش يجيبكم ـهادا يتمامها

قالو حنا في عشرا من أمّ واحدا بلا غيار ـهو ويوسف أمهم الراحيل اسمها

ـهادي حكايتنا بالله منعنا ـمن لأشرار لأن حتى ـبلادنا لجفاف دخلها

قالـباش نتأكّد ونصدق ـهاد لهدرا جيبو خوكم و نكملو الطعام وكيلها

مشاوا لبلباهم وقالوـلوـيادا لخبار وحد الزين فبلاد ماصر يسيّرها

وقال يلزم خونا يكون عندو حضارـباش يفدينا طعام ويتمم حسابها

قالهم تعاهدونيـيا ولاديـبرب لقدار تروحو و تولو بيه بعد زيارها

وننصحكمـيا أولادي بالكم ـمن لعار ما تدخلوشـباب وحدا لا تنسوها

في حداش رجعوا لعند يوسف لمسرار لقاوه قاعد فزرابة أسعد من شافها

ـيأمرـفي خدّلموـبدونـتكرار السمع والطاعة قائمين بتنفادها

قالولو رلنا جبنا لك بنيامين ـمن الدار ـهادي أمورك قمنـابتنفادها

أصـلاة على محمد شارقـلنوار عداد ـما فكون الدنيا وسكانها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان و علي وفاطمة و ولادها

ـقال يوسف و فيتو بلعهد يا حرار خوذو طعام لباقي كلمتو وفلها

رحّب سيدنا يوسف بخوه بنيامين ياحضار وقالو حدثني على فلسطين كيف حوالها

بدا يحكي بنيامين على اللي جرا و جار قصة يعقوب ويوسف و خاوتو حكاها

قال بنيامين على يوسف ليالي صبار من فراقو عيون بلبا لبكا عملها

بكا يوسف وـقال لبنيامين كون بشار أنا خوك ويلزم هاد لمحان ينسلها

تعانقو لتنين باكيين وحامدين القهار وارتاحت قلوبهم من لفرحة زالت هوالها

قال يوسف باش تبقى عندي يلزم تدبار نتهمك بالسرقة و نشوف حسابها

أصلاة على محمد شارقـلنوار عداد ما فكون الدنيا وسكانها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة و ولادها

الساقية من الذهب خيرها واختار و دارها فشكارت بنيامين وخباها

قال يوسف للحراس قبل مايسيرو هاد لحرار فتشوهم ساقية الذهب انسرقت داوها

نطقوا لخاوا وقللو هادا عيب و عار كيف بعد كرام أهل ماصرنسرقو حكامها

قال يوسف آش جزا السارق و لغدار في فلسطين السرقة آش هو عقابها

قالوا السرقة في فلسطين حرمها لقهار والسارق يخدم لمسروق سنة بكمالها

قال يوسف فتشوهم هادا هو للقرار و السارق يقعد عندي سنة بتمامها

فتشوهم والساقية مالقاولهاش أثر إلاّ بنيامين لي نجا من تفتاشها

قالو لخاوا هادا عيب ـما فيناش تنكار حنا فتشتونا و بنيامين سلك من هوالها

بلاشك بغيتو توجهونا لعيب ولعار حنا متأكدين بلى هوـلي دلها

سرق كما خوه يوسف وحنليا صغار وفضحنا في أرض فلسطين و ناسها

أغضب سيدنا يوسف حين سمع دوك لخبار قال فتشوه باش يكفو من لقول وحديثها

فتشو بنيامين والساقية بلنت جهار فرحو خاوتو و لفضيحة ليه تمناوها

قال يوسف هادا هو لحكم و وراتت لقدار تقعد عندي خديم سنة بكاملها

قالو محال نتركو بنيامين يا لمسرار لو يسمع بابانا كيتو كيتصدا لها

واحد من خاوتو قال نخدموك طول لعمار أترك بنيامين وخاوتي تسير في حالها

قال يوسف أنا ما نخالفش وعد الجبار بنيامين يقعد خديمـلي سنة بكمالها

حين وصلو ليعقوب حكاولو ماذا صار كيف بنيامين سرق و قعد خديمها

بكا يعقوب على وليدو و دموعو غزار واطلب الله يكف عليه لمحان ويزولها

قالـلولادو خذو ـهاد لكتابـيا حرار ارجعو بيه لماصر وشوفو حكيمها

إذا كان لحلكم يلمن و يعبدـلقهار يسمح لبنيامين والحرية يشوفها

حين وصلو للماصر عند يوسف لمسرار حروف هاد لكتاب بابانا ليك ـهداها

أقرا الكتاب قال سبحان لا تخفاه سرار سبحان من يعلم ما فالدنيا وغيوبها

بكا ودموعو تهطل وتسيل كلمطار قال لخاوتو أنا يوسف زاد دهاشها

لنالـلي تفاقتو علي و حنيا صغار رميتوني في بير وظنيتو الموت لقيتها

لا كن الله كان معليا سبحانو هو الجبّار رغم لمحان عبادتي لله محال نسيتها

بكاو خاوتو وقالو يا يوسف كون لنا غفار وهاد الأفعال حنايا محال نعاودوها

سأل على بلباه وقللو لو تعما ملأبصار أدولو قمجتي يديرها على عينيه ويلمها

نطق لكبير وقال لأنا نديهايا بشار كما ديتهالو ككان للدم كاسيها

خذا خوهم لقمجة و قبل ما يوصل للدار يعقوب شم روايح الجنةيا محلاها

وعلم بحياة يوسف قلبو كان خبار ولبشارة بنجاة يوسف كان يستنلها

حين وصل وليدو قال يابلبا خوذ لخبار يوسف وليدك حي وقمجتو ليك جبناها

مسح بها عيانك تعود تشوف من لأبصار تعود ليك الصّحة وتشوف الدنيا يا مبهاها

مسح يعقوب بقمجة يوسفيا حضار فلحين الصحة و النظر بأمر الله لقلها

حمد يعقوب وركع لمولانا الغفار طلب لغفران لولادو يوم لمحان ينساها

قال يعقوب تسير معلياإذن الله لقهار للماصر عند يوسف صيفتو نشوفها

يعقوب رجع لماصر يشوف لمسرار أنحرم عليه عوام في محان عدّلها

ويوسف متشوق يشوف بابامـيا حضار دارلو استقبال بشرى يا معظم منها

عسكر بخيول وجيش ولوزارة كبار رجال والنسوان لكول خرجت من دارها

حين وصل يعقوب لماصر قلبو زاد فيه نار كشاف سيدنا يوسف دمعتو فرات يا مغزرها

يا عباد آش من قلب يكون صبار على لوالدين تبكي لعينيا مقولها

من بعد العيش لجحيم ولأعتصار من بعدفراق لقلوب بلفرحة لقلها

ـمن بعدـيامـلبلا ويام الأضرار عيون يعقوب ملعما داولها

بسم اللهـلجليلـلقدير بغفار تمت لقصة وفلكتاب موجود معنلها

عبد المالك طالب ـمن الله لعفار يخفّف علينا الضر الدنيا و ـهواها

منين صعلبت لي هاد لأبيات و لأشعار و منين غابتـلي لقافية وميزانها

ساعدني صديقي الشاعر أحمدـبرار فيـنظم ـهاد لقصة و نسيجها

ثلاثة وعشرين في رمضان تميت لخبار آلف وربعمية و خمسة تميت حديثها

استغفروا يا إخوان خوذو ـهاد لعبار سبحان من فارق لعظام و يلمها

سبحان من يرزق لخير من بعد لعتصار * سبحان من يحيي لأرواح من بعد موتها

سبحان من داوى يعقوب وشفاه من لأبصارسبحان من سيرة يوسف وحياتو نجاها

أصلاة على محمد شارقـلنوار عداد ما فكون الدنيا وسكلنها

وللرضا على بوبكر والسيد عمار عثمان وعلي وفاطمة وولادها

آخر ما خطر ذا الك سعلى: عاش الك العق

3 :

سبحان للدليم بالدوام من لايسهى و لاينام

سبحانه محيي العظام بعد اللّي كانوا راشيين

صلّوا على النبيّ كاملين

سبحان للواحد الوحيد يفعل في ملكو ما يريد

ما ليه شريك و لا وليد يحكم فيها دنيار و دين

صلّو على النبي كاملين

يا مسعدنا بالمصطفى بحر الجود و بحر للوفى

مول الكعبة المشرفة كثّر في صلاتو يا حزين

صلّوا على النبي كاملين

كثّر في صلاتو ما تخيب تبشر باللجنة و النصيب

تشرب كسان من الحليب تسكن لقصور العاليين

صلّوا على النبيّ كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جد الحسين

يا لجواد اللّي حاضرين صلوّا على النبي كاملين

نبدا بالصلاة على الرسول وللرّضا على أصحابو الفضول

أبو بكر وعمر وزيد قول وعلي هزام للكافرين

صلّوا على النبيّ كاملين

عثمان وساعد و السعيد طلحة و الزوبير للوكيد

عبد الرحمن لأبو عبيد هادوا العشرة للمبشرين

صلّوا على النبيّ كاملين

أصحاب المختار الشفيع بشرهم باللجنّة أجميع

أو فاطمة زهر الربيع ولبنيها لحسن والحسين

صلّوا على النبيّ كاملين

نطلب ربّي جمل العقول يشرح صدري لمّا نقول

نروي قصّة لأهل العقول تسري في قلوب العاشقين

صلّوا على النبيّ كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّوا على جدّ الحسين

يا لجواد للّي حاضرين صلّو على النبي كاملين

هادي القصة و احديثها في كتاب كبير لقريتها

عن ابن عباس ارويتها ولبنو سهام على يمين

صلّوا على النبيّ كاملين

قصة عابد في خلوتو يعبد ـفي للّلهـبنيتو

جاه الشيطـان يفلتو صـلبو متوحد باليقين

صلّوا على النبيّ كاملين

جاب عظم راشي مقبر لاحو في حجرو بالغزر

قالوا تحيىـلـي ذا البشر ـكان أنتيا ـمن الواصلين

صلّوا على النبيّ كاملين

قالوا اذهب يا جنس الحرام ـأنت شيطـانـبلا ـكلام

ربّي ـهو محـي العظـام بعد اللّي كلنوا راشيين

صلّوا على النبيّ كاملين

الله يهديكمـيا سلام صلّوا علـى جدّ الحسين

يا لجواد للّلي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

راح الشيطان أمشا وغاب خلاّلو ذا العظم ـيا حباب

احفر حفرة بالصواب دفنوا فيهاـيا سامعين

صلّوا على النبيّ كاملين

من ذا الحفرة وترابها طلعت شجرة بثمارها

ـفتحت ماصر بيبانها و صلبت شجرة بثمار زين

صلّوا على النبيّ كاملين

حارت في خلقها لعباد ما كان مثلها في للبلاد

ولاّت زيارتها عناد في نوم الجمعة والتنين

صلّوا على النبيّ كاملين

داروها نزهة للحياة صلبو فيها سعد البنات

كلّ أخرى نالت مانوات صبحت بشرى للزايرين

صلّوا على النبيّ كاملين

لله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

ذاك العابد يا من تسال عندو طفلة مثل الهلال

تعبد مولاها بالكمال راد عليها يا سامعين

صلّوا على النبيّ كاملين

خرجت اتزور يوم الخميس ديك الشجرة خضرا سليس

قالوا ليها نوضي اتقيس كيما قسنا أحنا كاملين

صلّوا على النبيّ كاملين

ناضت الطفلة بالمهل شدّت في الغصن اللّي اثقل

مال الغصن عليها لنزل كبّ عليها بحليب زين

صلّوا على النبيّ كاملين

ذاقت منّو جلها عجيب أحلى من السكّر والزبيب

كلّ النسوة ذاقوا نصيب قالوا باسل وحليب شين

صلّوا على النبيّ كاملين

لله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

لمّا ذاقت ذاك اللّبا فات عليها حال الصّبا

زادت رغبتها حلبّة تلكل ثمرو جاها بنين

صلّوا على النبيّ كاملين

قلعت ثمرة ولكلاتها ثمة بلغت لأرحامها يا ناس

حملت منّو في حينها وكان لها سابق في الجبين

صلّوا على النبيّ كاملين

ثلث شهور ظهر حملها واصماط الريق في فمها

في الحين لتبدّل حالها وصبحت من المتوحمين

صلّوا على النبيّ كاملين

ما قدرت تخفي ما ظهر بان على حللوا في الجهر

ويزيد شهر على شهر يكبر قدّام للناظرين

صلّوا على النبيّ كاملين

لله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

بالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

قللت يمّلها واش دا واش أعملتي يا راشدة

نرسل لبوك أيجي غدا ويقبض عمرك و ما يلين

صلّوا على النبيّ كاملين

قالت يايما واش جاك ياك ما نرقد إلا احداك

وين أمشيتي نمشي معاك تتهميني بكلام شين

صلّوا على النبيّ كاملين

قللت يملها يابسا من ذيك الحللة الباخسة

واش انذير أقبال النسا وكلام للناس الحاقدين

صلّوا على النبي كاملين

كيفاه انذير مع أهلي من ذا الهمّ اللي صارلي

يا بنتي و اش اتسالي خليتينا متعذبين

صلّوا على النبيّ كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

قالت يا يمّا ـما اصرى إلاّ حكم المولى اجرى

لو نوجد الموت للمشرا و لا عصيان الوالدين

صلّوا على النبيّ كاملين

حين اسمع بوها ذا الخبر قلبو عاد أقسى من الحجر

قال لبنتو واش ذا الأمر ياقله ـمـا ـفـي الناقصين

صلّوا على النبي كاملين

قالت يا بويـا ـيا صديق حن عليّ وكون لي ارفيق

سال القاضي يلقى طريق سال العولامـا كاملين

صلّوا على النبي كاملين

واذا تقتلني ـبلا سباب كيفاه تعمل يوم الحساب

كي يسالك مالك الرقاب ربّي و ملاكو شاهدين

صلّوا على النبي كاملين

لله يهديكم ـيا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

كي قالت لو ذاك الكلام خاف من الغلط و الملام

خايف يظلم بنتو حرام و يصبّحها من النادمين

صلّوا على النبيّ كاملين

خلّى بنتو ومشى يسال في الجامع لزهر يا رجال

صاب السادات أهل الكمال ـفوق ازرابيهم جالسين

صلّوا على النبي كاملين

حين وصل تحا بالسلام ردّوا لو بوجاب الكلام

قالوا لو العولاما الكرام خير ما جابك يا حزين

صلّوا على النبيّ كاملين

ما طلقش ينطق باللسان وظهر الحزن عليه بان

خاف على بنتو من الهوان ـهاداك احنان الوالدين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم ـيا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

قالوا العولاما ما تقول واش اللي جابك يا خجول

ما تخجلش من أهل العقول هو ما لقطاب الناصحين

صلّوا على النبي كاملين

ـقال لهم لله يا حباب فيدوني بحديث الصواب

من تعصي مالك الرقاب واش دولها يا فاهمين

صلّوا على النبي كاملين

نطقوا السادات بصوتهم ـقللوا تترجم كلهم

ـنادوا للناس وجاوهم باللّي فارح باللّي حزين

صلّوا على النبي كاملين

جابوا المسكينة بالعزم حطّوها في باب الرجم

تبكي و الخاطر ينهزم وتنادي بجاه المرسلين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم ـيا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

كيف اجتمعوا ناس الفضول بحضور القاضي العدول

سمعوا واحد الصابي يقول و علاش اهنا متلايمين

صلّوا على النبي كاملين

ـقللوا الطفلة عصات لازم تترجم في الحياة

ـبالحجة وشهود الثبات والعولامـا وللوالدين

صلّوا على النبي كاملين

ـقال لهم وين أكبيركم نمشي لعندو و نجي لكم

و نسللو كيما اسألتكم ـكان عليها متفقين

صلّوا على النبي كاملين

راح الصابي من بعد عاد جلهم مع قاضي للبلاد

يتكلم بكلام للرشاد سمعولو قاع الحاضرين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

و جميع للناس تلايمو و مع ذا الملك اتكلموا

قال لهم ركم تندموا وتعودوا كامل ظالمين

صلّوا على النبي كاملين

اللي في رحمها واش دار ما عصا ربّي ما خان جار

درتو فيها راي الصغار وانتوما كبار و فاهمين

صلّوا على النبي كاملين

قالوا قول الصابي مليح كي جانا بالراي الصحيح

واللي درنا كلوا قبيح كنّا لعقولنا ناقصين

صلّوا على النبي كاملين

لو كان اصبرتو ياناس يوفاوو شهورها بالقياس

حتى يلحق شهر النفاس اتنللو حق الصابرين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

قالو لو يا هاذ الشباب بعثك ربّي لينا صواب

ماذا سلكت من الرقاب بعدما كلنوا حاصلين

صلّوا على النبي كاملين

حكم الله عليها خفاف و اطلقها بوها من الكتاف

قال لها سيري ولا تخاف و الله حسيب الظالمين

صلّوا على النبي كاملين

سارت البنت على وفا وسلكها مالك الخفا

تبكي و دموعها هايفا و تنادي بجاه الصالحين

صلّوا على النبي كاملين

قللت يماها يا غزال من فكّك من ذا الخبال

قالت صابي مثل الهلال يضوي ونجومو ساطعين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

صبرت الطفلة وأمها حتى وين ألحق يومها

جات غشاوة على فمها قللت يا ربّي يا حنين

صلّوا على النبي كاملين

شدّت وجات للقابلا وجابت صنعتها كاملا

و ابقات اتخمّم ذلهلا وما عرفتشي تبدا منين

صلّوا على النبي كاملين

صاحت صيحة طاح الشباب من فم البنت بلا عذاب

سلكها مالك الرقاب قدام عيون الحاسدين

صلّوا على النبي كاملين

سلكها مالك العباد وفات حسابها بالعناد

و منين كلات منين زاد بقدرة الله يا سلمعين

صلّوا على النبي كاملين

فرحو بسلاكها يا لختام زاد اكرمها من لا ينام

جاووا الناس يشوفو الغلام صبحت في مقام الصالحين

صلّوا على النبي كاملين

فرحت الطفلة وأمها سعدك باللي زاد عندها

ولات للناس لتزورها من كلّ قبيلة ولفدين

صلّوا على النبي كاملين

يا سعد اللّي جلها يزور يسعد بالفرحة والسرور

واللّي تدعي لو ما يبور يربح وأيلمو زاهرين

صلّوا على النبي كاملين

قللت حولي وقوتي إلاّ بالله وبنيتي

هو للّي سلّك حالتي وأصفاو قلوب الوالدين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

جا جدّو و دايرلو السّبوع بالحنة و ضواو الشموع

ماذا جاوه من السلوع و بفضل الله كانوا فارحين

صلّوا على النبي كاملين

كيف ارضع من أمو اللبا قام في الحين أمشا دبا

سبحان المولى في الصبا كان عزيز على الوالدين

صلّوا على النبي كاملين

ادّاووالصابي للفقيه يقر للقرآن يفوز بيه

في صغرو شيخو حار فيه عالم بعلوم العالمين

صلّوا على النبي كاملين

واكتب الله يا من تفيق طاحلهم في البير العميق

أوفى أجلو ولا غريق كتبو ربّي من الميتين

صلّوا على النبي كاملين

جا جدّو يفقد فالمقام حطّولو قوت من الطعام

قال لبنتو وين الغلام قالتلو راه منّايمين

صلّوا على النبي كاملين

قال لها روحي فيقيه قلبي ما يصبرشي عليه

لو كان درى ما صار بيه يبكي ودموعو سائلين

صلّوا على النبي كاملين

أمشات لعندو بالقدام وقالتلو نوض يا غلام

وزقات ـماردش بالكـلام ولات لعندو وبـعد حين

صلّوا على النبي كاملين

جاوو الجيران يخرجوه خافوا ليعود يفيق ـبوه

جابوا ـلو ـبـاش يكفنوه وخافوا على جدّو لحنين

صلّوا على النبي كاملين

قالوا لجيران اكفى لعوب ـما ينفعنا غير الهروب

لاش علينا ـهاذ ـلكذوب وللنـاس ـعلينا شـاهدين

صلّوا على النبي كاملين

قام الصابي وأتو حدوا ـلمّا شـافوه ـلتنـهدوا

ولاوو جميع يشـهدوا سبحان الله أمرو ـفي حين

صلّوا على النبي كاملين

سيدي محمد واش راك ناداها ـمن ـبعد ـلـهلاك

قال لجدّو رلني معاك بعدما كنت ـمع الميتين

أحيلني ـمولانا الكريم بعد ـما زرت أهل النعيم

جاهك عند المولى عظيم سعد اللّي معاك مجاورين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم ـيا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد للّي حاضرين صلّوا على النبي كلملين

أحيلني بعدما فنيت شربني ـقد ـما ارويت

وفلني بعدما حييت ذقت الموت على ـمرتين

صلّوا على النبي كاملين

بقيتك ـيا جدي بخير وقول ليمّا اصبري كثير

ولا اديرواعلي حضير ـقول لها رلني في النعيم

صلّوا على النبي كاملين

عند الشجرة ـثمّ اقبل ولنفتحتلو ـفيها ادخل

ـقوة جبدلتوا للسفل غاب على عيون الناظرين

صلّوا على النبي كاملين

ـهب الريح أخفى كلشي ـكأنه ـما ـكان شي

و ابقى خبرو ما غابشي عند ـللناس المتحدثين

صلّوا على النبي كاملين

كملت احديثي بالصواب عن لشياخ اقويت الكتاب

سلّمت لساداتي لقطاب لله ـيرحمهم ـكاملين

صلّوا على النبي كاملين

هوما غزّلين الحرير وأنا ـما عندي ـما ندير

نطلب ربّي العالي القدير يصفى غزلي ويعود زين

صلّوا على النبي كاملين

يصفى غزلي بفضالهم محال يجوز غيارهم

وأنا شليع بكلامهم ومسلّم للمتعلمين

صلّوا على النبي كاملين

في شعبان انظمت القصيد عسى اللّي فهموا يفيد

يا ربّي وفّيني شهيد لأنا وجميع السامعين

صلّوا على النبي كاملين

الله يهديكم يا سلام صلّيوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

عامر الربعين و رابع تاريخ حديثي واقع

متين أخرى تتابع بعد الألف متؤرخين

صلّوا على النبي كاملين

الله يرحم مول الكلام الهاشمي من جمل العلام

جدّو مولاي عبد السلام شاعر عمده عقلو رزين

واللّي سقّم هذا الكلام و احفظ بيلتو ملحطام

دال ورواية و ألف قام سنة احروفو كاملين

صلّوا على النبي كاملين

واللّي ينسب ذا القول ليه من بعد الشاعر واش ليه

يجحد اسمو خسارة ليه ولله وكيل الجاحدين

صلّوا على النبي كاملين

لله يهديكم يا سلام صلّوا على جدّ الحسين

يالجواد اللّي حاضرين صلّوا على النبي كاملين

الفهرس

مقدمة ..... أ

تمهيد 1

1- معنى القصص 4

2- نشأة القصص 7

3- القصص الديني 8

أ– مفهومه 8

أولا المقصدي 8

ثانيا الأسلوبي. 9

مصدر القصّة القرآنية 11

أ – البيئة 11

ب – العقلية العربية 11

4- القصص الشعبي 11

أ – المفهوم المقصدي 11

أهداف القصّة الشعبية 13

أ– تمجيد أفعال الأجداد 13

ب– تسجيل الأحداث 13

ج– التداول الفنّي للأساطير القديمة 13

أولية القصّة الشعبية وتطورها..... 15

4- أوجه التشابه والاختلاف 16

أ – أوجه التشابه 16

ب– أوجه الاختلاف 17

الفرق بين القصة في القرآن الكريم والقصة الشعبية 18

أ –النتيجة الأولى..... 19

ب – النتيجة الثانية 19

تحديد الإطار المعرفي والدّلالي للموازنة. 20

1- الإطار المعرفي..... 20

2- تاريخ ظهورها 21

3- الإطار الدلالي..... 23

الفصل الأول: قصة يوسف (عليه السلام)..... 25

أولا: القصة القرآنية 26

1- الرؤيا..... 27

2- تفسير الأب يعقوب للرؤيا 27

3- حقد إخوة يوسف وتآمرهم عليه..... 28

4- تحقيق الإخوة لمكيدتهم 30

5- عودة الإخوة بدون يوسف 31

6- يوسف والسيارة 31

7- يوسف في قصر العزيز 32

8- يوسف وامرأة العزيز زليخا. 33

9- نسوة المدينة..... 35

10- السجن والرؤيا 36

11- رؤيا الملك والتمكين..... 38

12– خروج يوسف من السجن..... 39

14- مكافأة الملك ليوسف..... 40

15- مجيء الإخوة..... 41

15- رجوع الإخوة ومعهم بنيامين 42

16- لقاء يوسف بأبويه وتحقق الرؤيا 44

ثانيا: القصة الشعبية..... 46

1- الهجرة..... 47

2- زواج يعقوب 47

3- ولادة يوسف ثم بنيامين..... 47

4- وفاة راحيل 48

5- زواج يعقوب الثاني 48

6- الرؤيا..... 48
7- تفسير يعقوب للرؤيا 49
8- حقد الإخوة والتّآمر عليه 49
9- يوسف في البئر 50
10- رجوع الإخوة بدون يوسف..... 50
11- القافلة السيّارة 51
12- يوسف في قصر العزيز 51
13- يوسف وامرأة العزيز 52
14- ظهور براءة يوسف 53
15- النسوة 53
16- دخول يوسف السجن 55
17- يوسف وصاحبي السّجن 55
18- نزول جبريل..... 56
19- رؤيا الملك..... 56
20- خروج يوسف من السّجن..... 58
21- مكافأة ملك مصر ليوسف 58
22- موت العزيز 59
23- سنين القحط..... 59

24- زواج يوسف بزوليخا..... 60

25- مجيء إخوة يوسف 60

26- مجيء بنيامين وحيلة يوسف للاحتفاظ به 61

27- تنفيذ يوسف لحيلته للإبقاء على بنيامين 62

28- رجوع الإخوة بدون بنيامين 63

29- أمر يوسف لإخوته بأخذ قميصه إلى أبيهم..... 63

30- ذهاب يعقوب إلى مصر واستقبال يوسف له..... 64

ثالثا: مقارنة وموازنة القصّتين القرآنية والشعبية 65

أ – أوجه التشابه 65

1. الحدث المحظور 65

2. الحدث المكذوب..... 66

3. الحدث العنيف..... 68

4. الحدث المفاجئ..... 72

5. الحدث الاستدراجي..... 74

6. الحدث الإعجازي..... 75

ب– أوجه الاختلاف 81

أولا الاختلاف الكلّي. 81

ثانيا الاختلاف الجزئي..... 86

ثالثا الاختلاف بالزيادة..... 88

رابعا الاختلاف بالنقصان. 91

الفصل الثاني: قصة مريم العذراء أم النبي عيسى عليه السلام 97

I- القصّة القرآنية 98

1- ولادة مريم العذراء 99

2- كفالة النبيّ زكريا لمريم 101

3- كيف كفل زكريا مريم 102

4- اصطفاء الله لمريم على النساء..... 104

5- بشارة مريم..... 106

6- مريم وروح الله المتمثّلة في جبريل الملك..... 108

7- حمل مريم بعيسى عليه السلام وولادته..... 110

8- مريم بعد الوضع 112

9- مريم واتهام قومها لها بالفاحشة 113

10- عيسى بن مريم يبرئ والدته من الفاحشة وهو في مهده صبيّا 114

II- القصة الشعبية..... 115

1- عمران العابد والشيطان..... 116

2- العابد والعظم المعجزة 117

3- ابنة العابد (مريم – راشدة)..... 118

4- إعجاب الطفلة بالشجرة ومذاقها 119

5- حمل الطفلة من أكلها ثمر الشجر 120

6- موقف أم راشدة منها 121

7- تخوف أم راشدة من كلام الناس 121

8- ردّ راشدة على أمها 122

9- ردّة فعل والد راشدة..... 123

10- تفسير راشدة لأبوها ما حدث 123

11- مساءلة الأب للعلماء 124

12- قرار مجلس العلماء 125

13- المفاجأة التي أوقفت الرّجم 126

14- إنقاذ الصّبي لراشدة 127

15- ندم العلماء على ما فعلوا 128

16- راشدة حية طليقة 130

17- راشدة تلد الصبيّ 130

18- فرحة القوم بالمولود 132

19- احتفال الجد بالصبي وولادته 133

20- الغلام المعجزة 133

21- موت الصبي..... 135

22- إحياء الله عز وجل للصبيّ 136

23- وفاة الصبي ثانية بدون رجعة 138

ثالثا موازنة القصتين القرآنية والشعبية 139

أ- أوجه التشابه..... 139

1. مريم العابدة والطائعة 139

2- اصطفاء الله لمريم واختيارها لأمره من دون النساء..... 140

3- حمل مريم بعيسي –عليه السلام- 141

4- ولادة مريم لعيسى –عليه السلام- 142

5- أمر الله قال له كن فكان 143

6- تمنّي مريم الموت قبل حدوث ما حدث لها..... 144

7- تبرئة مريم 145

ب – أوجه الاختلاف..... 145

1. الاختلاف الكلي 146

2. الاختلاف بالنقصان 163

3. الاختلاف بالزيادة 164

الفصل الثالث: مقارنة قصص الانبياء(اسماعيل–يوسف–مريم–عليهم السلام–) بين القرآن والكتب السماوية الأخرى. 166

مدخل إلى علم مقارنة الأديان 167

التعريف بعلم مقارنة الأديان 168

1- المقارنة 170

2- الدين 170

ظهور علم مقارنة الأديان 172

ك لـاحـتـئـلآ ك: مقارنة قصة إسماعيل الذبيح –عليه السلام– بين القرآن والمسيحية والتوراة 177

I- مقارنة قصة إسماعيل الذّبيح بين القرآن والمسيحية واليهودية 177

* هوية الذبيح بين العهد القديم والروايات الإسلامية 177

1- من هو الذبيح عند القدامى؟ (التوراة والإنجيل) 178

2- إسماعيل هو الذبيح بنص من التوراة..... 180

3- من هو الذبيح في القرآن الكريم؟..... 185

4- سر تحريف التوراة لشخصية الذبيح وعدم التصريح به في القرآن الكريم 187

الفداء بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى..... 190

تحديد مكان الذبح أو الفداء في الروايتين 192

خلاصة مقارنة قصة إسماعيل 194

ك لـاحـتـك تئمى: مقارنة قصة يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة 198

1- مقارنة القصتين القرآنية والتوراتية 198

1- حلم صاحب السقاية 202

نقاط تشابه القصتين في أحداث الإخوة والسجن 204

نقاط الاختلاف في القصتين في إطار أحداث رحلات الإخوة ومقابلتهم ليوسف..... 206

الفرق الشاسع بين القصّتين 209

نتائج مقارنة قصة النبي يوسف –عليه السلام– بين القرآن والتوراة 211

ك لاحتكاكات: مقارنة قصة مريم العذراء بين القرآن والإنجيل 214

أولا مقارنة نسب مريم ونشأتها وحياتها ووفاتها بين الإسلام والمسيحية..... 214

1. النسب والعائلة 214

2- قصة حمل حنة بمريم 216

3- نشأة مريم..... 216

4- علاقة مريم بيوسف النجار 218

5- وفاة مريم 219

ثانيا مقارنة موضوع حمل السيدة مريم بالمسيح وولادته بين المصادر الإسلامية والمسيحية.
..... 221

1- البشارة بالمسيح ومدة الحمل به 221

2- طبيعة حمل مريم بالمسيح 228

ثالثا مقارنة الوصف الديني للسيدة مريم ومكانتها الدينية بين المسيحية والإسلام. 232

أ– الوصف الديني لمريم في المسيحية 232

ب– أوصافها ورموزها في العهدين القديم والجديد 232

ج– فضائل مريم وأوصافها من القرآن والسنة 236

1- فضائلها وأوصافها في القرآن 236

2– فضائلها وأوصافها في السنة النبوية 238

خلاصة مقارنة قصة مريم القرآنية والمسيحية 241

خاتمة البحث 245

قائمة المصادر والمراجع 245

الملاحق 266

الملحق 1 267

الملحق 2 270

الملحق 3 286

الفهرس 304

ملخص :

تهدف دراستنا الى استقراء وموازنة قصص بعض الانبياء التي تناولها الشعراء الشعبيون واعتنوا بها وأسسوا من خلالها خطابات شعرية دينية . فولجت فيها العديد من الرموز و الاساطير القديمة مما جعلها تنزاح من النص الديني (القصص القراني) الى النص البشري بما فيه من غرائب وأعاجيب (القصص الشعبي).وبالموازنة بين قصص الانبياء اسماعيل و يوسف – عليهما السلام – والصديقة مريم العذراء بينا الفرق بينهما واستنتجنا ان الاصل دائما هو القران الكريم (الثابت) والفرع هو القصة الشعرية الشعبية (المتحول) التي تؤدي دورا هاما جادا وهادفا في الاوساط الشعبية..

الكلمات المفتاحية 'القصص القراني – القصص الشعري الشعبي– الثابت المتحول موازنة بين القصص الكتب السماوية – القران – الانجيل – التوراة.

RÉSUMÉ:

Notre étude vise à faire des déductions et une analogie entre les histoires de quelques prophètes auxquels certains poètes populaires se sont intéressés et dont ils se sont occupés pour construire des discours poétiques et religieux. Ceux-ci ont été pénétrés par d'anciens mythes et légendes qui les firent dévier des textes religieux (histoires du Coran) vers des textes écrits par l'homme avec tout ce que cela peut comporter comme étrangeté et fantastique (l'histoire populaire). A travers l'analogie nous avons mis en évidence la différence entre les histoires des prophètes Yousouf et Ismail (Que la Paix Soit sur Eux) et la Véridique Vierge Marie ; et nous avons ainsi déduit que le Coran (le constant) est toujours l'origine tandis que la branche est l'histoire populaire (le variable) qui joue un sérieux et important rôle dans les milieux populaires.

Mots clés : Histoires du Coran - histoires populaires - Le constant - le variable - Analogie entre les histoires - Les Livres célestes - Le Coran - L'Evangile - La Torah

SUMMARY:

Our study aims at making some deduction and analogy between the stories of some prophets that folk poets dealt with and cared about to come out with poetic and religious discourse. They were penetrated by many old myths and legends which made them deviate from the religious texts (Koran stories) to man-made texts including all kinds of strangeness and wonders (folk stories). We highlighted the difference between the stories of the prophets Yusuf and Ismail Peace Be Upon Them and the Veracious Virgin Miriam through analogy and we deduced that the Koran (the constant) is always the origin when the branch is the folk story (variable) which plays a serious and important role among the folks.

Key words: Koran stories - Folk poem stories - The constant - The variable - Analogy between stories - The Heavenly Books - The Koran - The Gospel - The Torah.